تَنْبِيْهُ العُقَّال

بالوسَطِيَّةُ وَالاعْتِدَال

بين الغلو والتمييع

في جميع المسائل والأحوال

تأليف الشيخ

أبي اليمان عدنان بن حسين بن أحمد المصقري

مكتبة دار الحديث

تنزانيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1439

مكتبة دار الحديث

مقدمة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله.

قرأت رسالة: **(تنبيه العقال بأن الدين وسطية واعتدال)** لأخينا الشيخ عدنان بن حسين المصقري.

وهي رسالة طيبة مفيدة مشحونة بالأدلة على المسائل.

فجزاه الله خيرا ونفع به.

كتبه:

يحيى بن علي الحجوري

في 28 شوال 1438هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله العليم الخبير الذي جعلنا أمة وسطًا، والصلاة والسلام على محمد النبي الامي الذي لم يقل زورا ولا شططًا، والذي جاهد الكفار ومن أمره فُرطًا، الذي أنارت بيناته ووضحت معجزاته ﷺ، الذي قال الله له: ﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**﴾[1] .

وعلى آله وصحبه المهتدين، من اتبعهم بإحسان تسليماً دائماً أبد الآبدين، الذين توسطوا فلم يغلوا مع الغالين، ولم ينحرفوا عن الدين، الذين رفعوا رايات النصح للمسلمين، فجعلهم الله أهل عزٍ وتمكين، لأنهم توسطوا بالحق المبين، واستقاموا على النهج الأمين، وهم السابقون الأولون من الأنصار والمهاجرين، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[2] .

وأشهد أن لا اله الا الله الَّذِي تفرد بالكمال، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أرسله الله واصطفاه بأجمل خصال، وهداه بفضله إلى الوسطية والاعتدال،

([1]) (النمل: 79).

([2]) (فصلت: 33).

فبين الدين والحق في كل مجال، ولن يهدى لذلك أحدٌ إلا بالبصيرة والبرهان، ولذا لم يأمره الله بطلب الزيادة الا في العلم الهادي إلى الإيمان، قال تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[1].

أما بعد:

فإن من طلب السلامة في حياته وأخراه، فلا بد أن يطلبها من الوحي الذي فيه هداه، وهو سبيلٌ من سلكه سهلَ اللهُ له طريقًا إِلى جنته ورضاه، وحرام على الجنة أن يدخلها من اتبع هواه، ممن قد يظن أن الوسطية في الحياة والدين أمرٌ محدث لا ينال بالوحي الرباني وإنما يدرك بما يدليه الفكر الإنساني، وتالله إن هذا من جنس التلبيس الشيطاني، قال تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[2].

وللأسف فإن من الناس من أساء الظن بالعلم والهدى فظن أنه لا يرفع صاحبه الى العلى، أو أنه لا يورثه العقل السديد ولا الرأي الرشيد، فذهب يتثقف من مجلات المستشرقين وأهواء المبتدعين وشقشقة المتكلمين، وظن أن ذكاءه هو المخرج والمعين، فضَلّ عن الاعتدال بسبب غروره، ومال الى الهوى بسبب تساهله وغلوه وفجوره، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ**

([1]) (سورة طه: 114).

([2]) (القصص: 50).

الْمُجْرِمِينَ﴾[1] .

واعلم أخي أن الإسلام هو دين الله الحق وشريعته السمحاء جعله الله خاتم الأديان، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام**﴾[2]، ويقول: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[3] .

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ عَنْ رَسولِ الله ﷺ أَنَّه قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْس محَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَع بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثمَّ يَموت وَلَمْ يؤْمِنْ بِالَّذِي أرْسِلْت بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[4].

فهو دين الله الحق، ونعمة الله الكبرى التي أضافها إلى نفسه، قال عز وجل: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا**﴾[5]، ومن ابتغى الحق في غيره ضل وغوى، ففضل الإسلام ويسره ومحاسنه كثيرة، فهو دين العفو وهو دين الرحمة، وهو دين الأخلاق الحسنة وهو دين العفة والكرم والشهامة والمروءة، وكل خير فيه، وهي كثيرة لا تحصى .

---

(1) (الأنعام: 55).

(2) (سورة آل عمران: 19).

(3) (سورة آل عمران: 85).

(4) «صحيح مسلم» (153).

(5) (سورة المائدة: 3).

وقد فضل الله تعالى وميز الإسلام على غيره، بأن جعله آخر الأديان وأفضلها وناسخاً لها، وجعله دينًا كاملاً وشرعه وسطًا يسراً شاملاً، وهذه الخمسة المميزات هي أفضل ما امتاز به ديننا الحنيف وقد ذكرتها باختصار بأدلتها في آخر الرسالة لأن بها صار الدين وسطاً عدلًا خيارًا ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾[1].

وإن من محاسن دين الإسلام، بل من أعظم مميزاته وأفضل شمائله أنه شامل لكل مجالات الحياة من عقيدة وعبادات ومعاملات، وشمولية هذا الدين تجملت وتزينت بحلة الوسطية بين الأديان كما أن عقيدة أهل الحق المبلغين للدين، منهجهم وسط بين الفرق والطوائف بين الغالي والجافي وبين الإفراط والتفريط قال الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾[2].

ونحن نؤمن أن الله تعالى حافظ دينه العتيق ومتم نوره الوثيق، ولو كره الكافرون وكثر الواشون وتجاهل المتعالمون وتعالم الجاهلون، قال تعالى: ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[3].

فلا بد من أن يتثقف القراء والكتاب، ويتذكر العلماء والطلاب، بل وجميع

([1]) (الأعراف: 29).

([2]) (سورة البقرة: 143).

([3]) (التوبة: 32).

العباد والأصحاب بشمولية الدين المشتملة على التصور التام للإسلام وأخذ الدين من جميع جوانبه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[1].

ولما كانت الوسطية من نعم الله على عباده وتعتبر من صميم الدين الذي يجب الحفاظ عليها من تحريف الغالين، وتصفيتها من تشويه الغلاة والمفرطين، وتبليغها بين الجاهلين والمبطلين، ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2].

ولما رأيت أيضًا غلط كثير من الناس في فهم الدين فمنهم من فرط وضيع واستهان بدينه وما استقام، ومنهم من شدد وغلا وأفرط حتى ضيق على نفسه وضيق على الأنام، وشوه دين الإسلام، ومنهم من جلس حائراً، ونظر، تائهاً، لا يدري ما الحق وما هو الدين، لجهلهم وبعدهم عن العلم والعلماء.

ورأيت قصور كثير من الناس في معرفة حقيقة الوسطية ومعنى الاعتدال الإسلامية الشرعية، وخاصة أصحاب الأهواء، فمنهم من ظن أن الوسطية هي التساهل وتضييع الدين والتنازلات فيه، وزعم الضرورة في كثير من محرماته، فالكثير منهم فهمها على غير مفهومها الصحيح، ففهم الوسطية يعتبر من أفضل التوفيق والامتنان، والله المستعان.

([1]) (البقرة: 208).

([2]) (الأعراف: 164).

لما رأيت ذلك كله وفق الله وأعان بفضله ورحمته أن كتبت في وسطية واعتدال دين الإسلام، ما تيسر من أدلة الكتاب والسنة، وبينت ذلك على أبواب العقيدة والفقه والمعاملات، مدعمًا بأدلة الكتاب والسنة وأقوال علمائنا، ليصير الكتاب متكاملاً ومقنعاً، لأن الحق والكفاية في أدلة الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[1].

وهناك كثير من الأحاديث والآثار الضعيفة في الباب، أعرضت عنها وتحريت الصحيح من الأحاديث والآثار في الباب على ما تقتضيه الدراسة الحديثية حتى يطمئن القارئ، وفي الصحيح الكفاية، وبينت حال الأحاديث والآثار التي ذكرها الشراح، في بعض الأبواب.

فإن كان من تقصير مخل أو تطويل ممل، فهو جهد المقل، وإني لمعترف في كل عملي وقولي بالتقصير والخلل، وما من خير وتوفيق إلا وهو من ربي الكريم، فإن يكُن صوابًا فمن الله وحده وإن يكن غير ذلك فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه بريئان، وأقول:

ومـن يجـد عيبًا أو اخـتلالا فليعطنا ونوله الإجلالا

هذا وما جمعته من الأبواب في الوسطية عبارة عن بعض المباحث المهمة في العقيدة والعبادة والمعاملة تنبيهًا على ما ينفع وإلا فالدين كله وسط في كل باب،

([1]) (سورة العنكبوت: 51).

وما من مسألة عند التحقيق إلا وفيها طرفان ووسط بين إفراط وتفريط، والله الموفق.

❍ قال ابن القيم[1]: «ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان إما إلى تفريط وإضاعة وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد» اهـ.

ولذلك كانت الوسطية هي الخيار في كل شيء، وفي ذلك أقول:

هو التوسط لا نبغي به بدلًا ... فكن على الحق والإسلام معتدلا
ولا تكن غالياً في الحكم تحكمه ... ولا تكن جافيًا للسوء مفتعلا
لا تكثرنَّ من الأعمال تسردها ... حتى تصيبك فيها يا أخي المللا
ولا تقصر عن الأعمال تتركها ... وكن على وسط حتى ترى الأجلا
لا تحتقر أحدًا من خلق خالقنا ... ولا تثق بجميع الناس والنزلا
لا تخرجنَّ على الوالي تكفره ... ولا تداهنه بالشر مشتملا
لا تغل في المدح للأخيار تذبحهم ... ولا تكن جارحا للغير محتملا
حقق وكن عاقلا سارع لمغفرة ... وكن على وجل ولتحسن الأملا
وكن سموحا مع الأبناء ذا خلق ... واحزم وناصحهم ولتحذر الهملا
ولا تكفر بذنب واخش معصية ... وارج الإله ولا تستبطء العملا

(1) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (468/2).

❍ وقال القحطاني[1]:

يأيهـا السـني خـذ بوصـيتي واخصص بذلك جملة الإخوان
واقبـل وصـية مشـفق متـودد واسمـع بفـهم حاضـر يقظـان
كـن فـي أمـورك كلها متوسطا عـدلًا بـلا نقـص ولا رجحـان

✍ **تنبيه:** ومن المشاكل التي واجهتني أنني لم أجد في كثير من الأبواب من نصوص العلماء ما يبين المراد وحتى من الذين ألفوا في الوسطية فهناك من ألف في الباب ولكن أراد مبحث الغلو، وتوسع فيه، ومنهم من أراد مبحث التمييع والجفاء، ومنهم من أراد الرد على الفرق كالأشاعرة ، ومنهم من أراد المقارنة فقط، وقد جمعت بحمد الله ما يحتاج اليه البحث من أبواب الوسطية ومعناها، وما يفارقه من مبحث الغلو والجفاء، والمقارنة بين المفرطين والغالين، وذكرت الأبواب التي تتجلى فيها الوسطية وتفتقر إليها، بلا إطالة ولا جفاء، وحليت الأبواب بالأدلة والشروح المختارة، بحمد الله.

وقد حذفت بعض الأبواب وكثيرًا من الشروح التي قد تسهب بهذا المختصر، وبعد الحذف والتنقيح والإضافة والتصحيح، اشتمل البحث على عشرة أبواب وتحت كل باب فصول، ثم توصيات وخاتمة نذكر أهمها:

الباب الأول: ذكرت فيه مفهوم الوسطية لغةً وشرعاً، وفضلها وأقسام الناس في

(1) «القصيدة النونية» (ص/22).

مفهومها.

الباب الثاني: فصول توافق الوسطية، ذكرت سورة الفاتحة وما فيها من دلالة الوسطية، وذكرت فيه الاستقامة، وحرص الصحابة على الوسطية وخيار الأعمال. وأن خير الأعمال أوسطها.

الباب الثالث: فصول تفارق الوسطية، فذكرت فصلاً في التوسط المذموم.

وذكرت تحريم الغلو وأنه ينافي الوسطية وغلو الخوارج المنافي للوسطية.

وذكرت التنطع وأنه من أسباب الهلاك، وذكرت فصلاً في النهي عن التمييع.

وذكرت فصلاً في أن التوسط يقتضي ترك التكلف.

الباب الرابع: أبواب الوسطية في العقيدة، ذكرت منها التوسط في الإيمان والأسماء والصفات، والوعد والوعيد والتوسط في الصحابة والتوسط في الإيمان بالقدر والخوف والرجاء، والنهي عن الغلو في الصالحين، وذكرت موقف أهل السنة من الصالحين.

الباب الخامس: أبواب الوسطية في الفقه، وأبواب الطهارة والصلاة، وأن الإسلام دين النظافة خلافًا لأهل الكتاب، وذكرت التوسط في الصلاة، وقيام الليل، والدعاء، والصوم السفر، والصدقة، وقراءة القران، والتوسط في رفع الصوت في القراءة، وعند ترتيل القرآن، التوسط في الحج وحصيات الرمي ونهي رسول الله ﷺ عن الغلو فيها، وغيرها.

الباب السادس نبذة عن الوسطية والاعتدال في جانب الحياة والمعاملات

والآداب: منها الوسطية والاعتدال في التقدم والتطور، ورؤية النفس، وطلب العلم، والتوسط في الدعوة الى الله، والتوسط في الزواج، ومع الزوجة، والتوسط والاعتدال في عمل المرأة والرجال، والتوسط في الطعام، واللباس، والنوم، والاعتدال في التنعم والترفه، وطلب الرزق، والتوسط في مسألة التعفف وقبول الهدية، والتوسط في الأخلاق، ومع الأبوين، وفي تربية الأولاد، والتوسط في الورع، وعند البلاء والرخاء، والتوسط في المصاحبة، وزيارات الإخوان، والمحادثة، والتوسط في التعامل مع الطلاب، ومع المُعلِّم، ومع المبتدع، ومع الكفار، والتوسط في الرياضات البدنية.

الباب السابع: أسباب الهداية الى الوسطية ذكرت منها عشرة أسباب، ثم ذكرت باختصار أسباب الانحراف عنها والوقوع في الغلو والجفاء.

الباب الثامن: ذكرت نماذج من اختيارات العلماء للوسطية.

الباب التاسع: ذكرت باختصار خمسةً من محاسن الإسلام، مما يؤيد الوسطية لأن بها صار الدين وسطاً خيارًا، وحتى لا يَظن ظانٌّ أنه ليس للإسلام مميزات غير الوسطية.

الباب العاشر: ذكرت وصايا مهمة للفرد والمجتمع، ثم خاتمة:

ثم وضعت فهرساً للمصادر والمراجع، ثم فهرساً للموضوعات.

هذا وكثيرٌ من الأبواب عند التحقيق يحتاج الى رسالة ومبحث مستقل، وقد أفردت بعضها في رسالة: كمحاسن الإسلام، وحسن المقال في خيار الأعمال، وعلامات أهل البدع والغلو.

وأحمد الله وحده الذي لا تحصى نعمه ولا يتناهى كرمه، ونسأله القبول إنه خير مأمول، وأن يجعل أعمالنا صالحة، ولوجهه خالصة، ومن باب قول نبينا ﷺ الذي رواه أبو داود[1] بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ: "**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**". أشكر كل من أعانني على الخير والعلم وفي مقدمتهم أبواي رعاهم الله الذين بذلا الغالي والرخيص في سبيل طلبي للعلم وتحفيظي كتاب الله تعالى وسنة رسوله والمتون العلمية أسأل الله أن يبارك لهما في دينهما ودنياهما، وأن يهديهم للعمل النافع والعمل الصالح، وأشكر كل من أعانني على العلم وكل مشايخي الأجلاء وكل من أعانني هذا البحث وشجعني عليه. والحمد لله أولًا وآخرًا.

كتبه/ أبو اليمان

عدنان بن حسين بن أحمد المصقري

بدار السلام (حاضرة تنزانيا) 20 شعبان / عام 1437هـ)

✵ ✵ ✵ ✵ ✵

([1]) «سنن أبي داود» (4/ 255) (4811) .

الباب الأول

فصول عامة تتعلق بمفهوم الوسطية

❋ مفهوم الوسطية في اللغة

من خلال التحقيق والنظر في كتب اللغة والفقهاء نجد: أن لفظ الوسط في اللغة قد يراد به واحدٌ من ثلاثة أمور:

الأول: الشيء بين الشيئين، فعلى هذا قد يكون ممدوحاً كالقراءة بين المخافتة والجهر، وقد يكون مذموماً كتوسط الواقفة بين الحق والباطل وكقول من قال في القرآن: (لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق)، فتوسطوا بين أهل الحق الذين قالوا: القرآن كلام الله وبين من قال: القرآن مخلوق. من الجهمية والمعتزلة. وكالشبهات التي هي وسط بين الحلال والحرام من وقع فيها فقد وقع في الحرام كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ "(1) .. الحديث.

ومنه قول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد(2) – بعد ذكر الأقوال في مسألة القروء – : فَهَذَا مَا احْتَجَّ بِهِ أَرْبَابُ هَذَا الْقَوْلِ اسْتِدْلَالًا وَجَوَابًا، وَهَذَا مَوْضِعٌ لَا

(1) «صحيح البخاري» (152) «صحيح مسلم» (1599) .

(2) « زاد المعاد في هدي خير العباد» (5/ 558).

يُمْكِنُ فِيهِ التَّوَسُّطُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، إِذْ لَا تَوَسُّطَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّحَيُّزِ إِلَى أَحَدِ الْفِئَتَيْنِ، وَنَحْنُ مُتَحَيِّزُونَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَى أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ وَقَائِلُونَ فِيهَا بِقَوْلِهِمْ إِنَّ الْقُرْءَ الْحَيْضُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الِاسْتِدْلَالُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ، فَنُجِيبُ عَمَّا عَارَضَ بِهِ أَرْبَابُ الْقَوْلِ الْآخَرِ، لِيَتَبَيَّنَ مَا رَجَّحْنَاهُ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. اهـ.

الثاني: قد يراد به الوسط بين مذمومين، أو الوسط بين طرفين نقيضين، وهما الغلو والجفاء، كالاعتدال في العبادة بين الغلو والتنطع والتفريط والتميُّع.

الثالث: قد يراد به خيار الأمور وأعدلها، أو أسهلها، والثاني والثالث هما المراد من بحثنا، ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [1].

قال **أبو نصر الجوهري الفارابي**: «**﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾** أي عدلاً. ويقال أيضا: شئ وسط، أي بين الجيد والردئ. وواسطة القلادة: الجوهر الذي في وَسَطها، وهو أجودها »[2].

قال إسحاق بن إبراهيم الفارابي: «والوسَطُ من الرِّجالِ ومِنْ كُلِّ شَيْءٍ: أَعْدَلُهُ وأفْضَلُهُ، قال الله جَلَّ وعزَّ: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾**»[3].

قال أبو منصور الأزهري: «قَالَ أَبُو إِسْحَاق فِي قَوْله: **﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾** قَولَانِ،

---

(1) (سورة البقرة: 113).

(2) «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (1167/3).

(3) «معجم ديوان الأدب» (215/3).

قَالَ بَعضهم: وسطًا عَدْلاً. وَقَالَ بَعضهم: خيارًا، واللفظان مُخْتَلِفَانِ وَالْمعْنَى وَاحِد، لِأَن العَدْل خيْر، والخيْر عدل»[1].

قال ابن فارس: « الوسط من كل شيء: أعدله، قال الله - جل ثناؤه -: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾»[2].

قال أبو طاهر الفيروزآبادى: «(الوسط)، محركة، من كل شيء: أعدله. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي: عدلًا خيارًا»[3].

قال **محمد بن أبي بكر الرازي:** «و(الْوَسَطُ) مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، أَعْدَلُهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أَيْ عَدْلًا. وَشَيْءٌ (وَسَطٌ) أَيْضًا بَيْنَ الْجَيِّدِ وَالرَّدِيءِ»[4].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [5]، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة[6]، أي: «أعدلهم وخيرهم».

([1]) «تهذيب اللغة» (21/13).

([2]) «مجمل اللغة لابن فارس» (924/1).

([3]) «القاموس المحيط» (ص/691).

([4]) «مختار الصحاح» (ص/338).

([5]) (سورة القلم: 28).

([6]) جامع البيان (23/ 550) رواها الطبري بسند صحيح إلى مجاهد وقتادة، أما أثر ابن عباس فلا يصح في سنده العوفي وهو ضعيف.

ويبين نبينا ﷺ أن الفردوس أوسط الجنة، ومعلوم أنها خير منازل الجنة وأعلاها. قال ﷺ: «إنَّ في الجنَّة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدَّرجتين كما بين السَّماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنَّه أوسط الجنَّة، أو أعلى الجنة»[1].

❍ قال الحافظ ابن حجر[2]: «قوله: «أوسط الجنة أو أعلى الجنة» المراد بالأوسط هنا: الأعدل والأفضل، كقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾».اهـ

❍ وكما قيل[3]:

لاَ تَـذْهَبَنَّ فِـي الأُمُـورِ فُرَطَـا لاَ تَسْـأَلَنَّ إِنْ سَـأَلْتَ شَـطَطَا

وَكُـنْ مِنَ النَّـاسِ جَمِيـعًا وَسَـطَا

(1) «صحيح البخاري» (2790).

(2) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (13/6).

(3) «أدب الدنيا والدين» (ص/24).

❋ تفسير قول الله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسطًا ﴾(1)

اعلم رحمك الله أن الله تعالى امتن على هذه الأمة أن جعلها أمة وسطاً بين الأمم.

فالوسطية هي الخيار، والإسلام دين الوسطية في عقيدة الأمة وأعمالها وأقوالها وآدابها وعباداتها، وكل ذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلو أن الناس تمسكوا بالدين الحق والعقيدة الصحيحة لسلكوا الوسطية التي يرضاها الله في حياتهم، ولكن لما عارض أهلُ البدع الحقَ والهدى، وحكموا الهوى،، واتبعوا الآراء، واتبعوا ما تشابه من الباطل بالحق، زلُّوا عن الخيرية وصاروا بلاءً على الأمة المحمدية وشوهوا الشريعة الزكية في أعين الجهلة من البشرية، وإلى الله المشتكى.

ومعنى الوسطية: اتباع الخيرية التي بينها دين الله الحقّ، واتباع منهج الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، ولا يخالف ذلك لقول أحد من الناس كائنا من كان.

❍ **قال الطبري** رحمه الله(2): «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾، كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم

(1) (سورة البقرة: 143).

(2) «جامع البيان في تأويل القرآن» (3/ 141 - 145) وهو صحيح إليه.

بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطا.اهـ

ثم روى ابن جرير الطبري في قوله: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ وعن ابن عباس: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ يقول: جعلكم أمة عدولاً: الوسط العدل[1].

وروى بسند صحيح عن عطاء ومجاهد عدولاً[2] وقال قتادة: عدولاً.[3]، وعن ابن زيد قال: هم وسط بين النبي ﷺ وبين الأمم.

❍ **قال ابن كثير**[4]: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾، أي: إِنَّمَا حَوّلناكم إِلَى قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ، عليه السلام، وَاخْتَرْنَاهَا لَكُمْ لَنَجْعَلَكُمْ خِيَارَ الْأُمَمِ، لِتَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَداء عَلَى الْأُمَمِ؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ مُعْتَرِفُونَ لَكُمْ بِالْفَضْلِ. وَالْوَسَطُ هَاهُنَا: الْخِيَارُ وَالْأَجْوَدُ، كَمَا يُقَالُ: قُرَيْشٌ أوسطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، أَيْ: خَيْرُهَا. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وسطًا فِي قَوْمِهِ، أَيْ: أَشْرَفُهُمْ نَسَبًا، وَمِنْهُ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى، التِي هِيَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ، وَهِيَ الْعَصْرُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ وَغَيْرِهَا، وَلَمَّا جَعَلَ

(1) «جامع البيان في تأويل القرآن» (3/ 141 - 145) وسنده ضعيف.

(2) «جامع البيان في تأويل القرآن» (3/ 141 - 145) وهو صحيح إليه.

(3) «جامع البيان في تأويل القرآن» (3/ 141 - 145) وهو صحيح إليه.

(4) «تفسير القرآن العظيم» (1/ 326، 327).

اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وسطًا خَصَّها بِأَكْمَلِ الشَّرَائِعِ وَأَقْوَمِ الْمَنَاهِجِ وَأَوْضَحِ الْمَذَاهِبِ، كَمَا **قال الله تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾** [1]».اهـ

وساق حديث أَبِي سَعِيدٍ بسنده قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بلَّغت؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، فَيُقَالُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ**» قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: **﴿وَكَذَلِكَ جعلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾** [2]. الْوَسَطُ: الْعَدْلُ، فَتُدْعَوْنَ، فَتَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَلَاغِ، ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ.

فلذلك قال الله تعالى: **﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [3]، فبيّن سبحانه أن الصراط إنما هو اتباع دين الحق، دين الوسطية والاعتدال، فقال سبحانه: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**.

فتبين مما سبق أن من أسباب نزول الآية، وهي قوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾**، هو الأمر باتباع القبلة التي أمر الله عز وجل نبينا ﷺ أن يتبعها،

([1]) (سورة الحج: 78).

([2]) «صحيح البخاري» (3339)، (4487).

([3]) (سورة البقرة: 142).

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[1]، وبعد أن قال الله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [2].

والسفهاء هنا هم اليهود الذين قالوا: هذا الرجل بالأمس يصلي إلى قبلتنا واليوم تحول عن قبلتنا، فلا يدري ما دينه، وكذلك المشركون، كانوا سفهاء لما قالوا: هذا الرجل اليوم اهتدى إلى قبلتنا أي الكعبة، وغدا سيتبع ملتنا ويقتدي بديننا، وأما المنافقون، فإنهم قالوا: أن هذا الرجل يتقلب لا يدري ما دينه.

قال النسفي رحمه الله [3]: فأصل السفه الخفة وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ أو المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء أو المشركون لقولهم رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم.اهـ

❍ **وقال أبو جعفر الطبري**[4]: «وأنا أرى أن (الوسط) في هذا الموضع، هو الوسط الذي بمعنى: الجزءُ الذي هو بين الطرفين، مثل وسَط الدار محرَّك الوَسط مثقَّله، غيرَ جائز في سينه التخفيف.

وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسَط، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا

([1]) (سورة البقرة: 144).

([2]) (سورة البقرة: 142).

([3]) (مدارك التنزيل وحقائق التأويل (1/ 136)

([4]) «جامع البيان في تأويل القرآن» (3/ 142).

فيه، ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها.

وأما التأويل، فإنه جاء بأن الوسط العدلُ. وذلك معنى الخيار، لأن الخيارَ من الناس عُدولهم».

وسئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: ما المراد بالتوسط في الدين، أو الوسطية؟.

فأجاب(1):«التوسط في الدين، أو الوسطية: أن يكون الإنسان بين الغالي والجافي، وهذا يدخل في الأمور العلمية العقدية، وفي الأمور العملية التعبدية، فمثلاً: في الأمور العقدية، انقسم الناس فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته إلى ثلاثة أقسام: طرفان، ووسط، طرفٌ غلا في التنزيه، فنفى عن الله ما سمَّى ووصف به نفسه، وقسمٌ غلا في الإثبات، فأثبت لله ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، لكن باعتقاد المماثلة، وقسمٌ وسط أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، لكن بدون اعتقاد المماثلة، بل باعتقاد المخالفة، وأن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته، هذا في العقيدة، كذلك أيضاً في الأعمال البدنية: مِن الناس مَن يغلو، فيزيد، ويشدد على نفسه، ومن الناس من يتهاون، ويفرط، فيضيع شيئاً كثيراً، وخير الأمور الوسط.

والوسط الضابط فيه: ما جاءت به الشريعة، فهو وسط، وما خالف الشريعة:

(1) «فتاوى نور على الدرب» (شريط 226، وجه ب).

فليس بوسط، بل هو مائل، إما للإفراط، وإما إلى التفريط. اهـ

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في «العقيدة الواسطية» خمسة أصول، بيَّن فيها رحمه الله أن أهل السنة فيها وسطٌ بين طوائف المبتدعة، فيا حبذا لو أن السائل رجع إليها؛ لما فيها من الفائدة» اهـ.

ومن خالف شيئاً من الوسطية في العقيدة عُد من أصحاب البدع، ولم يكن سنيًا، وهذا حكم إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه؛ حيث قال في مقدمة كتاب «السنة»: «هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها المقتدي بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت عليها من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها؛ فهو مخالف مبتدع وخارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق»[1].اهـ.

❋ الإخلاص لله في العمل بالوسطية

من أراد البركة في عمله، والسداد في قوله، وإصابة الخيرية والوسطية، فعليه بالإخلاص لله في ذلك كله ولا يقبل الله عملاً بلا إخلاص فيه ولا متابعة للسنة، حتى لو كان ظاهره السداد، **قال تعالى**: ﴿**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي**﴾[2].

([1]) «السنة» (ص/ 33، 34).

([2]) (سورة الزمر: 14).

وعن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[1].

❋ ادعاء المبطلين من المفرطين والغلاة للوسطية:

لا شك أن كل طائفة من طوائف الضلال والهوى لا بد أن يزعم أنه على الحق والوسطية، وأنه هو المعتدل وغيره هو المنحرف، سواء كان من فرق الأمة أو من الملل المنحرفة عن الإسلام، الذين يقول كل واحد منهم ليس الآخر على شيء؛ قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[2].

❍ قال شيخ الإسلام رحمه الله [3]:«كثير من الناس يخبر عن هذه الفِرَق بحكم الظن والهوى؛ فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة والجماعة، ويجعل من خالفها أهل البدع، وهذا ضلال مبين؛ فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى إن

(1) «صحيح البخاري» (1)، و«صحيح مسلم» (1907).

(2) (سورة البقرة: 113).

(3) «مجموع الفتاوى» (3/346 – 348).

هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ؛ فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة - كما يوجد ذلك في الطوائف من أتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك - كان من أهل البدع والضلال والتفرق.

وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعاً لها: تصديقاً وعملاً وحباً وموالاةً لمن والاها ومعاداةً لمن عاداها، الذين يروون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة؛ فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول؛ بل يجعلون ما بُعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف؛ فما كان من معانيها موافقاً للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان منها مخالفاً للكتاب والسنة أبطلوه، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم».

❋ الوسطية والاعتدال من هدي القرآن

من تدبر القرآن وتفهمه كان ذلك حرياً أن يهديه من ضلاله، ويجعله متوسطًا

بين الغلو والجفاء، ومن تدبر الشريعة وجد الوسطية تتجلى فيها في أبهى حللها وأسمى معانيها.

❍ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[1].

❍ قال ابن كثير رحمه الله [2]:«يمدح الله تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد، ﷺ وهو القرآن بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل».

❍ وقال القرطبي رحمه الله [3]: «ومعنى ﴿**لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ أي الطريقة التي هي أسدّ وأعدل وأصوب». اهـ.

❍ قال الشنقيطي رحمه الله [4]:«قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الْآيَةَ، ذَكَرَ جل وعلا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَأَجْمَعُهَا لِجَمِيعِ الْعُلُومِ، وَآخِرُهَا عَهْدًا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ جل وعلا، يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ؛ أَيِ الطَّرِيقَةُ الَّتِي هِيَ أَسَدُّ وَأَعْدَلُ وَأَصْوَبُ..

ثم قال: وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَجْمَلَ اللَّهُ جل وعلا فِيهَا جَمِيعَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْهُدَى إِلَى خَيْرِ الطُّرُقِ وَأَعْدَلِهَا وَأَصْوَبِهَا، فَلَوْ تَتَبَّعْنَا تَفْصِيلَهَا عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ

([1]) (سورة الإسراء: 9).

([2]) «تفسير القرآن العظيم» (45/5).

([3]) «الجامع لأحكام القرآن» (225/10).

([4]) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (17/3).

لَأَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِشُمُولِهَا لِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى إِلَى خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلَكِنَّنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى سَنَذْكُرُ جُمَلًا وَافِرَةً فِي جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هُدَى الْقُرْآنِ لِلطَّرِيقِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ بَيَانًا لِبَعْضِ مَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، تَنْبِيهًا بِبَعْضِهِ عَلَى كُلِّهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْعِظَامِ، وَالْمَسَائِلِ الَّتِي أَنْكَرَهَا الْمُلْحِدُونَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَطَعَنُوا بِسَبَبِهَا فِي دِينِ الإسلام، لِقُصُورِ إِدْرَاكِهِمْ عَنْ مَعْرِفَةِ حِكَمِهَا الْبَالِغَةِ، فَمِنْ ذَلِكَ تَوْحِيدُ اللَّهِ جل وعلا، فَقَدْ هَدَى الْقُرْآنُ فِيهِ لِلطَّرِيقِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الطُّرُقِ وَأَعْدَلُهَا، وَهِيَ تَوْحِيدُهُ جل وعلا فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَفِي عِبَادَتِهِ، وَفِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ. وَقَدْ دَلَّ اسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَى أَنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّوْحِيدِ جُبِلَتْ عَلَيْهِ فِطْرُ الْعُقَلَاءِ...» إلخ كلامه رحمه الله.

✵ ✵ ✵ ✵ ✵

❋ سورة الفاتحة وما فيها من دلالة الوسطية

الفاتحة أفضل سور القرآن والأدلة على فضلها كثيرة ومن فضل الله على العباد أن أمرهم بتلاوتها في كل ركعة، وأي صلاة بدونها فهي خداج، وذلك لحاجتهم إليها.

❍ **قال الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾** [1].

فبين سبحانه أن الصراط المستقيم وسط بين طريقين وهدى بين ضلالتين وهما طريقة اليهود وهي العلم بلا عمل، وطريق النصارى وهي العمل بلا علم.

❍ قال الجرجاني[2]: «وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور، من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي، فذلك هو الصراط المستقيم، كالصراط المستقيم في الآخرة».

❍ **قال ابن كثير** رحمه الله[3]: «وللفرق بين الطريقتين، لتجتنب كل منهما؛ فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا

(1) (سورة الفاتحة: 6، 7).

(2) «كتاب التعريفات» (ص/19).

(3) «تفسير القرآن العظيم» (1/ 55).

العمل، والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى، لأن من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم. والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه، لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال فيهم: ﴿**مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ**﴾ [1]، وأخص أوصاف النصارى الضلال [كما قال: ﴿**قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ [2]]، وبهذا جاءت الأحاديث والآثار».

❍ **قال ابن جرير الطبري**[3]: «إبانةٌ عن الصراط المستقيم، أيُّ الصراط هو؟ إذْ كان كلّ طريق من طرُق الحق صراطًا مستقيمًا. فقيل لمحمد ﷺ: قُلْ يا محمد: اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، بطاعتك وعبادتك، من مَلائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين».

وعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ**» وفي رواية: «**قُلِ اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ**»[4].

---

(1) (سورة المائدة: 60).

(2) (سورة المائدة: 77).

(3) «جامع البيان في تأويل القرآن» (1/ 177).

(4) «صحيح مسلم» (2725).

وعن الحكم بن حزن الكلفي أنه سمع النبي ﷺ يقول على المنبر يوم الجمعة: «**أيها الناس! إنكم لن تطيقوا** – أو: **لن تفعلوا** – **كل ما أمرتكم؛ ولكن سددوا وأبشروا**»[1].

❍ **قال ابن رجب**[2]: «وَالِاسْتِقَامَةُ: هِيَ سُلُوكُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ مِنْ غَيْرِ تَعْرِيجٍ عَنْهُ يُمْنَةً وَلَا يُسْرَةً، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ فِعْلَ الطَّاعَاتِ كُلِّهَا، الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَتَرْكَ الْمَنْهِيَّاتِ كُلِّهَا كَذَلِكَ، فَصَارَتْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ جَامِعَةً لِخِصَالِ الدِّينِ كُلِّهَا.

وَفِي قَوْلِهِ عز وجل: ﴿**فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي الِاسْتِقَامَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا، فَيُجْبَرُ ذَلِكَ بِالِاسْتِغْفَارِ الْمُقْتَضِي لِلتَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الِاسْتِقَامَةِ، فَهُوَ كَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِمُعَاذٍ: «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**». وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ لَنْ يُطِيقُوا، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا».

فَالسَّدَادُ: هُوَ حَقِيقَةُ الِاسْتِقَامَةِ، وَهُوَ الْإِصَابَةُ فِي جَمِيعِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْمَقَاصِدِ، كَالَّذِي يَرْمِي إِلَى غَرَضٍ، فَيُصِيبُهُ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ عز وجل السَّدَادَ وَالْهُدَى، وَقَالَ لَهُ: «اذْكُرْ بِالسَّدَادِ تَسْدِيدَكَ السَّهْمَ،

([1]) «مسند الإمام أحمد» (4/ 212)، و«سنن أبي داود» (1096) وهو حديث صحيح.

([2]) «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم» (1/ 510، 511).

وَبِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ» اهـ.

وقد بين نبينا ﷺ أن الحق وسط بين الاعوجاج يمينًا وشمالاً، كما في حديث النّواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضرب الله مثلا صراطًا مستقيمًا، وعلى كَنَفي الصّراط سوران فيهما أبواب مفتّحة، وعلى الأبواب ستور مُرخاة، وعلى الصّراط داعٍ يدعو يقول: يا أيّها النَّاس اسلكوا الصّراط جميعًا، ولا تعوجّوا، وداع يدعو على الصّراط، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه فإنَّك إن تفتحه تلجه، فالصراط: الإسلام، والسّتور حدود الله، والأبواب المفتَّحة محارم الله، والداعي الذي على رأس الصّراط كتاب الله، والدّاعي من فوقه واعظ الله يذكر في قلب كل مسلم**»[1]. فالحق هو التوسط بالكتاب والسنة لا بالأهواء والبدع.

يا أيها الناس استقيموا بالهدى ... ولتســتجيبوا يــا أولــي الألبــاب
وسطية الإسلام ليست بالهوى ... لكــن بفعــل الحــق والأســباب

(1) والحديث في «الصحيح المسند» للإمام الوادعي رحمه الله، و«مسند الإمام أحمد» (4/ 182، 183)، و«المستدرك للحاكم» (1/ 73)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علّة، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قال الألباني: وهو كما قالا، وقال الترمذي: هذا حديث غريب. **قال الألباني**: وكأنه عنى الطريق التي أخرجها منه، وهي إحدى طريقي المسند انظر: «المشكاة» (191). و«سنن الترمذي» (2859)،.

❋ الاستقامة على الصراط وسطية

الاستقامة هي السداد تقول: استقم على الطريق ولا تنحرف.

❍ **قال الجرجاني**[1]: «الاستقامة: وأن يجمع بين أداء الطاعة واجتناب المعاصي، وقيل: الاستقامة ضد الاعوجاج، وهي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل»، والاستقامة هي الاعتدال والعدالة.

❍ و**قال الجرجاني**[2]: «العدالة: في اللغة: الاستقامة، وفي الشريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا».

وقد أمر تعالى بالاستقامة فقال سبحانه: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا**﴾[3]..

وأخبر عن فرعون أنه طغى، والطغيان مجاوزة الحد، تقول طغى الماء أي ارتفع عن حده، قال تعالى لموسى: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾[4].

(1) «التعريفات» (ص/ 19).

(2) «التعريفات» (ص/ 147).

(3) (سورة هود: 112).

(4) (سورة طه: 43).

وذكر تعالى عقوبة الطاغي فقال: ﴿**فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[1] .

ومن ترك الطغيان واستقام فقد التزم منهج الوسطية والاعتدال، ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾.

وتبيّن مما سبق، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾.

وقد تحدّث كثير من المفسرين أنّ قوله سبحانه: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾، أن (الكاف) للربط بين هذه الآية والتي قبلها، فآخر الآية التي قبلها: ﴿**قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾..

فتبين أن الهداية للصراط المستقيم في الهداية للوسطية الحق، فكل حقّ هو وسطية، و هو دين الخيار ودين العدل ودين الحق.

وقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا، ثم قال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا**

([1]) (سورة النازعات: 37 - 39).

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[1]، ولذا قال أهل العلم في الاستقامة: «هي السداد».

وبين سلفنا الصالح ماهي الطرق المنحرفة عن الوسطية، فروى الدرامي بسند صحيح عن مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**قال: «هي البدع والشبهات».

وقال عمر بن الخطاب: «استقاموا والله بطاعة الله، ثم لم يروغوا روغان الثعلب»[2].

❍ **وقال النووي**[3]: «قالَ الْعُلَمَاءُ: معنَى الاستقَامَةِ: لُزومُ طَاعِةِ اللَّهِ تَعالى، قالُوا: وَهِي مِنْ جوامِعِ الْكلِم، وهِيَ نِظَامُ الأمُورِ، وباللَّه التَّوفيق» اهـ.

وهكذا الاستقامة، هي دين الحق وهي الإخلاص والمتابعة والتقوى والبعد عن المحرمات، كل هذه تدخل في معنى الاستقامة؛ وفقنا الله وإياكم لها.

---

(1) «مسند الإمام أحمد بن حنبل» (4142)، وأخرجه الدارمي في «سننه» في المقدمة (باب في كراهة أخذ ارأي)، وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (13/1)، وهذا الحديث ثابت، وحسّنه الشيخ الألباني رحمه الله كما في «مشكاة المصابيح» (166).

(2) «الزهد» (ص/ 95).

(3) «رياض الصالحين» (ص/ 62).

❍ وتأمل قول الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [2].

فالاستقامة هي السداد على الدين والسنة، بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط، ولا تكون الاستقامة إلا بالوسطية والاعتدال في جميع الأعمال.

❋ الوسطية هي التيسير والتخفيف وما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما

اعلم أن ما شرعه الله تعالى لنا فهو الخيار المختار، واعلم ان الدين كله يسر لا مشقة فيه ولا تعسير.وما كان من عملفيه مشقة بسبب في العامل فقد يسر الله له وخفف عليه وجعل له كفارة أو سقوط العمل عنه.

❍ قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [3].

❍ وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [4].

([1]) (سورة هود: 112).

([2]) (سورة الشورى: 15).

([3]) (سورة البقرة: 185).

([4]) (سورة النساء: 28).

❍ **وقال عز وجل: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾** [1].

وقد رفع الله الحرج عن الأمة، فقال جل وعلا: **﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾**[2].

❍ **وقال سبحانه** في سورة البقرة: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾**[3].

وفي الآية نفسها: **﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾**.

❍ **فقال الله تعالى** كما في الحديث الصحيح: «**قد فعلت**»[4]، وكذلك قوله: **﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾**[5].

واعلم أنه إذا تعارض أمران فعليك باختيار الأيسر والاسهل فهو الذي يحبه الله مالم يكن إثماً.

❍ **وفي سورة الطّلاق: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾**[6].

([1]) (سورة الأعلى: 8).

([2]) (الحج: 78).

([3]) (سورة البقرة: 286).

([4]) «صحيح مسلم» (126).

([5]) (سورة البقرة: 286).

([6]) (سورة الطلاق: 4).

❍ **وقال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾**[1].

❍ **قال القاسمي** في تفسير آية البقرة[2]: «قال الشعبي: إذا اختلف عليك أمران، فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق».اهـ

وقد ذكر المفسّرون في تفسيرهم لهذه الآيات أن الله أراد لهذه الأمَّة اليسر ولم يرد لها العسر[3].

❍ **قال القرطبي**[4]: «قوله تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾** الآية. أصل في سقوط التكليف عن العاجز، فكل من عجز عن شي سقط عنه، فتارة إلى بدل هو فعل، وتارة إلى بدل هو غرم، ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال، ونظير هذه الآية قوله تعالى: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾**، وقوله: **﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾**».

ولا يختار رسول الله ﷺ إلا الخيار وأفضل الأعمال فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ، فَإِذَا

([1]) (سورة الطلاق: 7).

([2]) «محاسن التأويل» (2/ 26).

([3]) «جامع البيان في تأويل القرآن» (2/ 156)، و«تفسير القرآن العظيم» (1/ 217)، وغيرهما.

([4]) «الجامع لأحكام القرآن» (8/ 226).

كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ، وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ».

❋ حرص الصحابة رضي الله عنهم على الوسطية وخيار الأعمال

تبين مما سبق وتقرر أن الوسطية هي خيار الأمور وأفضلها وأعدلها،فاعلم وفقك الله أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا في أشد الحرص على أن يكونوا في أعلى مراتب الخيرية والوسطية، فتجد سؤالات الصحابة تدل أن هممهم عالية عندما يسألون عن أفضل الإسلام وأفضل الهجرة وأي المسلمين خير، وأي الناس خير، وهكذا نتعلم من هذا علو الهمة، واختيار أحسن الأعمال وأفضلها، ولذا كان ﷺ يدعوا الله أن يهديه لأحسن الأخلاق.

وإليك بعض الأدلة التي تبين ما سبق فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»(1).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الإسلام خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»(2).

---

(1) «صحيح البخاري» (26)، و«صحيح مسلم» (83).

(2) «صحيح البخاري» (28). و«صحيح مسلم»(39)

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ، وَأُهْرِيقَ دَمُهُ»[1].

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «العَجُّ وَالثَّجُّ»[2].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»[3].

وعن جابر بن عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ»[4].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ تَبِعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ»، قُلْتُ: مَا الإسلام؟ قَالَ: «طِيبُ الْكَلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ»، قُلْتُ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ»، قُلْتُ: أَيُّ الإسلام أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، قُلْتُ: أَيَّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «خُلُقٌ حَسَنٌ»، قُلْتُ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقُنُوتِ» قُلْتُ: أَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْ تَهْجُرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ»، قُلْتُ: أَيُّ

([1]) «مسند الإمام أحمد» (14210)، والحديث صحيح.

([2]) «سنن الترمذي» (827). وهو حسن بمجموع طرقه

([3]) «صحيح البخاري» (10).

([4]) «سنن الترمذي» (3383).

الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وَأُهْرِيقَ دَمُهُ»، قُلْتُ: أَيُّ السَّاعَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرِ،»[1].

والباب واسع جداً، والأحاديث في فضل الناس والأعمال والأقوال كثيرة، وقد يسر الله جمعها في مبحث واسع مستقل، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على حسن تربية رسول الله ﷺ لهم، على حب الوسطية وتعليمهم أن الوسطية هي أفضل الأمور وخيارها، فقد علمهم أن: «خيركم من تعلم القران وعلمه» وقال: «خيركم خيركم لأهله» وقال: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله» وقال: «خير الناس أنفعهم للناس». نسأل الله أن يجعلنا من خيار عباده .

❃ما جاء في خير الأعمال أوسطها وفضل الحسنة بين الحسنتين

هذا ورد حديثًا ولا يصح، ومعناه صحيح على أن أوسط الأمور خيرها وأعدلها.

❍ **قال الشاطبي**[2]: «الْحَسَنَةَ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ»: أَنَّ الْحَسَنَةَ هِيَ الْقَصْدُ وَالْعَدْلُ، وَالسَّيِّئَتَيْنِ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ وَالتَّقْصِيرُ، وَهُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَى مَعْنَاهُ قَوْلُ اللَّهِ

([1]) «المنتخب من مسند عبد بن حميد» (300).

([2]) «الاعتصام» (394/1).

تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾[1] الْآيَةَ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾[2] الْآيَةَ.

وَمَعْنَى الْحَقْحَقَةِ: أَرْفَعُ السَّيْرِ، وَإِتْعَابُ الظَّهْرِ، وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْغُلُوِّ وَالْإِفْرَاطِ.

وَنَحْوُهُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مُرَّةَ الْجُعْفِيِّ؛ قَالَ: «الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ، وَالْحَسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ»».

❍ قال المناوي[3]: «الوسط بين طرفين مذمومين إذ كل خصلة حسنة لها طرفان مذمومان.

فالسخاء وسط بين البخل والتبذير والشجاعة بين الجبن والتهور وأبعد الجهات والمقادير من كل طرفين وسطهما فإذا كان في الوسط فقد ابتعد عن المذموم بقدر الإمكان.

(ودين الله تعالى بين القاسي والغالي) يشير إلى أن المتدين ينبغي أن يكون سائسا لنفسه مدبرا لها، فإن للنفس نفورا يفضي بها إلى التقصير، ووفورا يؤول إلى سرف وقيادها عسر.

ولها أحوال ثلاثة: فحال عدل وإنصاف، وحال غلو وإسراف، وحال تقصير

(1) (سورة الإسراء: 29).

(2) (سورة الفرقان: 67).

(3) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (385/4).

وإجحاف.

فالأول: أن يختلف قوي النفس من جهتين متقابلتين طاعة مسعدة وشفقة كافة فطاعتها تمنع من التقصير وشفقتها تصد عن السرف، وهذه أحمد الأحوال لأن ما منع من التقصير تام وما صد عن السرف مستديم فالنمو إذا استدام فأخلق به أن يستكمل، ومن ثم قال الحكماء: طالب العلم وعامل البر كآكل الطعام، إن أخذ منه قوتا عصمه وإن أسرف فيه بشمه، وربما كانت فيه منيته.

وأما حال التقصير فبأن تختص النفس بقوة الشفقة وتقدم قوى الطاعة فيدعوها الإشفاق إلى المعصية فيكون خائنا مغبوناً، (والحسنة بين السيئتين لا ينالها إلا الله)، قال أبو عبيد: أراد أن الغلو في العمل سيئة والتقصير عنها سيئة والحسنة كما جاء في خبر في فضل قارئ القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه فالغلو فيه التعمق والجفاء عنه التقصير وكلاهما سيئة»؛ اهـ.

❍ **قال المناوي**[1]: «قد عدوه من الحكم والأمثال»، وهو عن بعض أصحاب النبي ﷺ مرفوعًا: «الْعِلْمُ أَفْضَل مِنَ العَمَلِ، وَخَيْرُ الأعْمَالِ أَوْسَطُهَا وَدِينُ اللهِ بَيْنَ القَاسِي وَالْغَالِي وَالْحَسَنَةُ بَيْنَ الشَّيْئَين لَا يَنَالُهَا إلا بالله، وَشرُّ السَّيْرِ الحَقْحَقَةُ»[2].

❊❊❊❊❊

([1]) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (386/4).

([2]) «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة» (3940).

الباب الثالث

فصول في ما يفارق الوسطية

❋ التوسط المذموم

لما كانت الوسطية في النفوس محبوبة، وعند الكثير من العباد مرغوبة، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بها، وامتن على أهل الإسلام أنّهم من أهلها، فلذلك ادّعى كثير من الناس أنهم من أهل الوسطية، مع التنازل عن شيء من الدين، والبعد عن شيء من الواجبات، وارتكاب المحرمات، والتساهل في التشبه بالكفار والكافرات والاختلاط بالنساء الأجنبيات، وغير ذلك من الأمور التي حرمها الإسلام.

وبعض الأدعياء يدندن «**الإسلام دين الوسطية**» ويريد الوقوف في الوسط بين الحق والباطل، وترك الحق، فهو مذبذب بين السنَّة والبدعة، فلا ينكر البدعة، ولا يقبل السنَّة مطلقاً !، ولا ينكر التصوف ولا ينصره، بل يزعم أنه من أهل العدالة فهذا لا للسنَّة نصر ، ولا للبدعة كسر.

❍ **كما قال الطحاوي** رحمه الله [1]: «وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الإسلام إِلَّا عَلَى

(1) «تخريج العقيدة الطحاوية» (ص/ 43).

ظَهْرِ التسليم والاستسلام فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْإِقْرَارِ والإنكار، موسوسا تائها شاكًا، لا مؤمنًا مصدقًا ولا جاحدًا مكذبًا».

❍ **وقال أبو المظفر السمعاني** رحمه الله [1]: «والقول بين القولين إنما يُسْتحب اختياره، وسلوك طريق بين الغالي والمقصر، إنما يكون أولى إذا أمكن تمشيته؛ فأما إذا لم يمكن تمشيته، فلا» اهـ.

وهذا من التشبه بالكفار الذين زعموا أنهم أهل وسطية وهم بعيدون من الوسطية كل البعد.

❍ **قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾** [2].

فأخبر الله سبحانه عن اليهود قاتلهم الله أنهم ادعوا أنهم على مذهب وسط وأنهم متوسطون في أمورهم وبئست الوسطية تلك لأنها ترك بعض الدين مما لم يعجبهم ويناسب أهوائهم والأخذ ببعض ما تيسر لهم.

([1]) «قواطع الأدلة في أصول الفقه» (5/ 256).

([2]) (سورة البقرة: 85، 86).

ولقد اتبعهم في هذا بعض عصاة المسلمين، ويزعمون أنهم أهل الاعتدال والوسطية.

ولهذا **قال الله تعالى**: **﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**[1]، أي بسبب مخالفتهم، **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾** جزاء على مخالفتهم للحق **﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾** أي قدموا الدنيا على الآخرة فكان جزاؤهم **﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾**.

❍ **وقال الله تعالى**: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾**[2].

❍ **وقال ابن كثير**[3]: «يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض بمجرد التشهي والعادة وما ألفوا عليه آباءهم لا عن دليل قادهم إلى ذلك فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية فاليهود. عليهم لعائن الله. آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام والنصارى آمنوا

---

(1) (سورة البقرة: 85).

(2) (سورة النساء: 150-151).

(3) «تفسير القرآن العظيم» (2/ 394).

بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران والمجوس يقال إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت ثم كفروا بشرعه فرفع من بين أظهرهم والله أعلم والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا إنما هو عن غرض وهوى وعصبية ولهذا **قال الله تعالى**: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ**﴾ بالله ورسله فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله أي في الإيمان ﴿**وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾ أي طريقًا ومسلكًا ثم أخبر تعالى عنهم. فقال: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا**﴾ أي كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به لأنه ليس شرعيا إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره وبمن هو أوضح دليلا وأقوى برهانا منه أو نظروا حق النظر في نبوته»؛ اهـ.

❍ **قلت**: وكل من جعل الدين على حسب حاجته ورأيه يأخذ منه ما يشاء ويترك ما شاء، ويسمي هذا الفعل: وسطية أو انفتاح. فقد شابه اليهود والنصارى الذين قالوا: ﴿**نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾ ، فقال الله فيهم: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**﴾، والعياذ بالله.

❋ باب تحريم الغلو

❍ **قال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي**[1]: «والغلو: الإفراط ومجاوزة الحد، ومنه غلا السّعر، وقال الزجاج: الغلو: مجاوزة القدر في الظلم. وغلو النصارى في عيسى: قول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو ابن الله، وقول بعضهم: هو ثالث ثلاثة. وعلى قول الحسن غلو اليهود فيه قولهم: إنه لغير رشدة، وقال بعض العلماء: لا تغلوا في دينكم بالزيادة في التشدّد فيه» اهـ.

❍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**[2]: «الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده، أو ذمه، على ما يستحقه ونحو ذلك».

❍ **وقال الإمام أبو الليث السمرقندي**[3]: «وقال بعض أهل اللغة: الغلو مجاوزة القدر في الظلم. ويقال: الغلو أن تجاوز ما حدَّ لك، وقال القتبي: يعني لا تفرطوا في دينكم، فإن دين الله بين المقصر والغالي. وغلا في القول إذا تجاوز المقدار. وقال ابن عباس: وذلك أن اليعقوبية وهم صنف من النصارى قالوا: عيسى هو الله. وقالت النسطورية: هو ابن الله. وقالت المرقوسية – ويقال لهم الملكانية–: هو ثالث ثلاثة، فنزل: ﴿**يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾. قال مقاتل: الغلو في الدين أن يقول على الله غير الحق. ويقال: لا تتعمقوا في

(1) «زاد المسير في علم التفسير» (ص/ 501).

(2) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (1/ 328).

(3) «بحر العلوم (تفسير السمرقندي)» (1/ 360).

دينكم» اهـ.

وعرف الحافظ ابن حجر الغلو بأنه: «المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد»(1).

❍ قال القحطاني رحمه الله (2):

فاقصد هديت ولا تكن متغاليا إن القدور تفور بالغليان
دن بالشريعة والكتاب كليهما فكلاهما للدين واسطتان

وهذه التعاريف كلها متقاربة، وتفيد أن الغلو هو: تجاوز الحد الشرعي بالزيادة أو التنطع أو التكلف.

❍ **قال الله تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خيرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾**(3).

---

(1) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (13/ 278).

(2) «القصيدة النونية» (ص/23).

(3) (سورة النساء: 171، 172).

❍ **قال الطبري** رحمه الله[1]: «قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: **﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ﴾** ، يا أهل الإنجيل من النصارى **﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾** يقول: لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق، فإن قيلكم في عيسى إنه ابن الله، على الله غير الحق. لأن الله لم يتخذ ولدًا فيكون عيسى أو غيره من خلقه له ابنًا="ولا تقولوا على الله إلا الحق".

وأصل"الغلو"، في كل شيء مجاوزة حده الذي هو حدّه. يقال منه في الدين:"قد غلا فهو يغلو غلوًّا"، و"غَلا بالجارية عظمها ولحمها"، إذا أسرعت الشباب فجاوزت لِدَاتها="يغلو بها غُلُوًّا، وغَلاءً"، ثم روى عن الربيع قال: صاروا فريقين: فريق غلَوا في الدين، فكان غلوهم فيه الشك فيه والرغبة عنه، وفريق منهم قصَّروا عنه، ففسقوا عن أمر ربهم. اهـ.

❍ **قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾** [2].

❍ **قال ابن كثير** رحمه الله[3]: «قَالَ تعالى: **﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾** أَيْ: لَا تُجَاوِزُوا الْحَدَّ فِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَلَا تُطْرُوا مَنْ

---

(1) «جامع البيان في تأويل القرآن» (9/ 415).

(2) (سورة المائدة: 77).

(3) «تفسير القرآن العظيم» (3/ 144).

أُمِرْتُمْ بِتَعْظِيمِهِ فَتُبَالِغُوا فِيهِ، حَتَّى تُخْرِجُوهُ عَنْ حَيِّزِ النُّبُوَّةِ إِلَى مَقَامِ الْإِلَهِيَّةِ، كَمَا صَنَعْتُمْ فِي الْمَسِيحِ، وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَجَعَلْتُمُوهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِاقْتِدَائِكُمْ بِشُيُوخِ الضَّلَالِ، الَّذِينَ هُمْ سَلَفُكُمْ مِمَّنْ ضَلَّ قَدِيمًا، ﴿**وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ أَيْ: وَخَرَجُوا عَنْ طَرِيقِ الِاسْتِقَامَةِ وَالِاعْتِدَالِ، إِلَى طَرِيقِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ»؛ اهـ.

والغلو في العبادات والأحكام بدعة في الدين، وقولٌ على الله بلا علم، كمن يزيد في صلاته أو صيامه أو حجه أو عبادته مما لم يشرعه الله تعالى ويرضاه.

وفي الأحكام من يحكم على سنة أنها واجب أو معصية أنها كفر او على فاسق أنه كافر أو عاص أنه مبتدع فقد وقع في الغلو. فملازمة الحق في كل ذلك واجب والله عز وجل أمرنا أن نكون قوامين بالقسط.

❍ **قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾** [1].

❍ **قال ابن كثير** رحمه الله[2]: «ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق

(1) (سورة النساء: 135).

(2) «تفسير القرآن العظيم» (2/ 477).

المنزلة التي أعطاها الله إياه فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقًا أو باطلًا، أو ضلالًا أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾.

وروى أحمد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله**»» اهـ.

❍ **وقال الحافظ ابن حجر**[1]: «وقوله: «**لا تطروني**»، والإطراء: المدح بالباطل، تقول: أطريت فلانا، مدحته فأفرطت في مدحه، وقوله: «**كما أطرت النصارى ابن مريم**» أي: في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك» اهـ.

ومن الغلو غرور العبد بنفسه، وإعجابه بعمله، أو بما من الله عليه من علم أو عمل، بل هذا هو سبب الغلو وأصله.

❍ **قال الله تعالى**: ﴿**فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[2].

❍ **وقال تعالى عن قارون**: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ**

---

(1) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (6/ 490).

(2) (سورة الزمر: 49).

أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [1].

فإن العجب بالنفس والغرور، مشابهة لما وقع فيه قارون من الغرور بنفسه عندما قال: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ أي إنما أوتيت المال على علم عندي ولم أوتاه من الله سبحانه وتعالى، فهذا من الغلوّ، فغرور العبد بنفسه سواء بعلمه أو بعمله أو بصوته الحسن أو جمال وجهه أو حسن قامته، هذا كله سبب لغلوّه في نفسه ومخالفته للوسطية التي هي دين الله الحق.

والله تعالى يقول: ﴿**أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾[2] فقد ذكر سبحانه في الآية الأولى أنه إذا آتى الإنسان وخوله نعمة منه يقول: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾ **قال الله تعالى:** ﴿**بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ**﴾ ، أي صارت النعمة والمنة، فتنة لأنه نسبها إلى نفسه وادعى أنه إنما أوتيها على علم أو ذكاء وقوة وحرص منه ليست نعمة من الله سبحانه وتعالى ولا منّة منه.

قال الله: ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، فعلى الإنسان أن يستعيذ بالله من العجب والغرور، وأن يكون متوسطاً في رؤيته لنفسه، والله أعلم.

وذلك لأن الحق واسطة بين الإفراط والتفريط، يقول عمر بن عبد العزيز في كتاب أرسله إلى رجل يسأله عن القدر: «.. وقد قصر قوم دونهم فجفوا،

([1]) (سورة القصص: 78).

([2]) (سورة الزمر: 60).

وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم».

وقال الحسن: «سنتكم والله الذي لا إله إلا هو بينهما بين الغالي والجافي»[1]، أي: هدي وسط، لا غلوَّ فيه ولا تقصير.

ويبين نبينا ﷺ أن نلزم الهدي المعتدل والقاصد المقتصد فعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيّ قَالَ: خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَاجَةٍ، فَإِذَا أَنَا بِالنَّبِيِّ ﷺ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيَّ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا، فَإِذَا نَحْنُ بَيْنَ أَيْدِينَا بِرَجُلٍ يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتُرَاهُ يُرَائِي؟**» فَقُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَتَرَكَ يَدِي مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يُصَوِّبُهُمَا وَيَرْفَعُهُمَا وَيَقُولُ: «**عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا. عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا. عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ**»[2].

وكان من دعاء النَّبي - ﷺ -: «**وأسألك القصد في الفقر والغنى**»؛ فعَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: صَلَّى عَمَّارٌ صَلَاةً كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوهَا فَقَالَ: أَمَا إِنِّي دَعَوْتُ دُعَاءً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خيرًا لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى،**

([1]) «مسند الدارمي» (235)، وهو ثابت إليه.

([2]) «مسند الإمام أحمد» (22963)، وإسناده صحيح. وأخرجه الحاكم (312/1) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد.

وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ وَلَذَّةَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءٍ مُضِرَّةٍ وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ»[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»**[2].

ومنه الغلو في بعض الأماكن، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**[3]:«واعلم أن تلك البقعة وإن كان قد تنزل عندها الملائكة والرحمة، ولها شرف وفضل، لكن دين الله تعالى بين الغالي فيه والجافي عنه.

فإن النصارى عظموا الأنبياء حتى عبدوهم، وعبدوا تماثيلهم، واليهود استخفوا بهم حتى قتلوهم، والأمة الوسط عرفوا مقدارهم؛ فلم يغلوا فيهم غلو النصارى، ولم يجفوا عنهم جفاء اليهود، ولهذا قال ﷺ فيما صح عنه: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله** »؛ اهـ.

([1]) «السنة» (467).

([2]) «صحيح البخاري» (6463)، «صحيح مسلم» (2816).

([3]) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (2/ 193).

وقد قرر العلماء أن الحق واسطة بين الإفراط والتفريط ، وهو معنى قول مطرف بن عبد الله: «خير الأمور أوسطها، الحسنة بين السيئتين، وشر الأمور الحقحقة»[1].

فالغلو من أعظم أسباب أبواب الزيغ والضلال، عياذًا بالله بل وهو سبب الخذيلة، نسأل الله العافية والهداية ونعوذ به من شر أنفسنا وسيئات أعمالنا.

إن الهدى بين الغلو كذا الجفا فالزم هدى القرآن والإيمان
فاعبد وصل ولاتكن متكاسلاً إن الغلو يضر بالأبدان
وسطية الايمان تدعوا للهدى والعلم والأعمال بالإتقان
فترى الذين تفرقوا في دينهم بين الغلو وجفوة البطلان

❋ الغلو ينافي الوسطية

اعلم رحمك الله أنه يجب على كل إنسان أن يكون متوسطًا في عقيدته وأعماله وأقواله وأحكامه، لأن الغلوّ هو مجاوزة الحد في الأعمال والأقوال والأحكام وذلك كله من صفة أهل الكتاب.

والغلو من أعظم الأمراض الخطيرة والمصائب الكبيرة وهو رأس الشبهة

(1) وهو من كلام مطرف لابنه ولا يثبت. انظر: كنز العمال (10/ 132)، وسبق أنه مثل، ولا يثبت رفعه.

وعلامة الشهوة، وباب عظيم من البلايا على هذه الأمة.

فإن كثيرًا من الناس جنح إلى الغلو في العقيدة وأبواب العبادات والمعاملات، وذلك لعدم فهمه لدين الحقّ دين الوسطية، فلم يعتدل في عقيدته وعبادته ومعاملاته على الحق الذي أمره الله تعالى، ويتوسّط في ذلك كله، فلذا يجنح إلى الغلوّ لمرض في قلبه - والعياذ بالله -.

ووقع في الغلوّ اليهودُ والنصارى ومن تبعهم من ضُلّال المسلمين، وهذا مصداق حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا شبرا وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»[1].

فبين نبينا ﷺ وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[2]، أن هذه الأمة ستتبع سنن من كان قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع.

ولما ترى كثيرًا من هذه الأمة يقع في ما وقع فيه أهل الكتاب يزداد إيمانك بهذا الحديث، مع أن الإنسان المؤمن يحزن على إخوانه المسلمين، كيف يقعون في مشابهة أعدائهم، ولكنّ هذا أمر أراده الله كونًا، وأخبر بوقوعه نبينا ﷺ ونهى عنه شرعًا، فوقوعه يزيد الإيمان.

([1]) «صحيح البخاري» (7320).

([2]) (سورة النجم: 4).

ولكن على المؤمن أن يجتنب صفات أهل الكتاب، لأن نبينا ﷺ حذّر من ذلك، فعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[2]، فأهل الكتاب نسوا الله ونسوا دينه وشرعه وخالفوا أمره، **﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾** أي أنساهم مصالح أنفسهم.

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الغلو الذي وقع فيه أهل الكتاب، ويحذر من التفريط الذي وقع فيه أهل الكتاب. فكل من الإفراط والتفريط، من صفات أهل الكتاب.

وكما يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» في عدة من أبواب: أنه لا يجوز موافقة أهل الكتاب.

قال رحمه الله: في شرح حديث ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[3] وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم [4].اهـ

(1) «سنن أبي داود» (4031).

(2) (سورة الحشر: 19).

(3) «سنن أبي داود» (4031).

(4) (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) (1/ 270) .

فمن خالف الوسطية التي شرعها الله عز وجل لنا، ورضيها لنا دينا، لابد أن يزيغ: إما إلى الغلو أو إلى التفريط والضياع – عياذًابالله –.

وقال الشاعر:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

❋ غلو الخوارج المنافي للوسطية

❍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**[1]: «الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك».

والناس في ولاة الأمور والحكام بين إفراط وتفريط، فمنهم من يتابع الحكام في أعمالهم ويوافقهم، ولا ينكر عليهم بل يداهنهم ويسكت عن منكراتهم، ومنهم من يخرج عليهم بسبب بعض معاصيهم، ومخالفاتهم وأخطائهم.

والحق هو الوسطية: وهو مادل عليه الكتاب والسنة والدين الحنيف.

وهو طاعتهم والدعاء لهم بالصلاح ومناصحتهم سراً لمن استطاع ذلك وهذا هم منهج أهل السنة والجماعة الذي تكاثرت الأدلة بتوضيحه.

فمن الأدلة على ذلك عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: «**أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ**»، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: «**أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ**

---

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (1/ 328).

بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ، أَوْلَى بِهِ. يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا»[1].

ومناصحتهم جهرًا مع سوء الظن بهم من الغلو الذي سار عليه الخوارج.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قَالَ: «**وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «**مَعَاذَ اللهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(1) «مسند الإمام أحمد بن حنبل» (14441)، وعبد الرزاق (20719)، ومن طريقه أخرجه عبد بن حميد (1138)؛ وهو صحيح الإسناد.

(2) «صحيح مسلم» (1063).

يقول: «**يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئا، وينظر في القدح فلا يرى شيئا، وينظر في الريش فلا يرى شيئا، ويتمارى في الفوق**»[1].

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهُهُ فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتةً جاهليّةً**»[2].

وعن أبي هُريرة عن النبي ﷺ أنّهُ قال: «**من خرج من الطّاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتةً جاهليّةً ومن قاتل تحت رايةٍ عمّيّةٍ يغضبُ لعصبةٍ أو يدعُو إلى عصبةٍ أو ينصُرُ عصبةً فقُتل فقتلةٌ جاهليّةٌ ومن خرج على أُمّتي يضربُ برّها وفاجرها ولا يتحاش من مُؤمنها ولا يفي لذي عهدٍ عهدهُ فليس منّي ولستُ منه**»[3].

وعن زيد بن مُحمّدٍ عن نافعٍ قال جاء عبد اللّه بن عُمر إلى عبد اللّه بن مُطيعٍ حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن مُعاوية فقال اطرحُوا لأبي عبد

([1]) «صحيح البخاري» (5058).

([2]) «صحيح البخاري» (7054)، و«صحيح مسلم» (1849).

([3]) «صحيح مسلم» (1848).

الرحمن وسادةً فقال إني لم آتك لأجلس أتيتُك لأُحدّثك حديثًا سمعت رسُول اللّه ﷺ يقُولُهُ سمعت رسُول اللّه ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعةٍ لقي اللّه يوم القيامة لا حُجّة له ومن مات وليس في عُنُقه بيعةٌ مات ميتةً جاهليّةً**»[1].

❍ **قال ابن حجر**[2]: « وفيه الزجر عن الأخذ بظواهر جميع الآيات القابلة للتأويل التي يفضي القول بظواهرها إلى مخالفة إجماع السلف وفيه التحذير من الغلو في الديانة والتنطع في العبادة بالحمل على النفس فيما لم يأذن فيه الشرع وقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة وإنما ندب إلى الشدة على الكفار وإلى الرأفة بالمؤمنين فعكس ذلك الخوارج كما تقدم بيانه وفيه جواز قتال من خرج عن طاعة الإمام العادل ومن نصب الحرب فقاتل على اعتقاد فاسد ومن خرج يقطع الطرق ويخيف السبيل ويسعى في الأرض بالفساد وأما من خرج عن طاعة إمام جائر أراد الغلبة على ماله أو نفسه أو أهله فهو معذور ولا يحل قتاله وله أن يدفع عن نفسه وماله وأهله بقدر طاقته».

❍ **وقال ابن حجر**[3]:«فقد مات ميتة جاهلية بكسر الميم أي على حالة الموت الجاهلي».

---

(1) «صحيح مسلم» (1851).

(2) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (12/ 301).

(3) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (1/ 191).

❍ **وقال النووي**[1]: «قوله ﷺ: «**من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية**»، هي بكسر الميم أي على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمام لهم».

❍ **قلت**: وقد اتبع الجاهليين في الخروج على الحكام ونزع البيعة، والخروج من الطاعة كثير من المسلمين وقد قال أبو قلابة الجرمي[2]: ما ابتدع رجل بدعة إلا رأى السيف، وخرج على ولاة الأمور.

وأشدهم الرافضة وجماعة الفساد وفصائلهم، كفانا الله والمسلمين شرهم.

❁التنطع من أسباب الهلاك

لما كانت الوسطية هي دين الحق الوسط بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والجفاء، وبين التنطع والتميّع، نهى الإسلام عن التنطع وهو التعمق في الشيء والتكلف فيه.

فمن يُسر للإسلام ومحاسنه العظيمة أنه نهى عن التنطع ونهى عن التشدد والتعمق الذي يعود على الإنسان بالشر والهلاك والضيق ويعود عليه كذلك بما لا يحمد عقباه.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسْعُود، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»[3]، قَالَهَا ثَلَاثًا.

([1]) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (12/ 238).

([2]) «مسند الدارمي» (107)، رواه الدارمي بسند صحيح.

([3]) «صحيح مسلم» (2670).

❍ **قال الخطابي**[1]: «المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم».

❍ **قال القرطبي**[2]: «والمراد بالمُتَنَطِّعين المتعمقون فيما لا ينفع فيه التعمق وإن كان التعمق له مكانه، وله مجالاته، ولكن إن كان في الحقائق الناصعة فإنه يؤدي إلى خلاف المقصود».

❍ **قال النووي** رحمه الله[3]: «أَيِ الْمُتَعَمِّقُونَ الْغَالُونَ الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ».

❋ النهي عن التمييع

أمر الله عز وجل بالاستقامة على الدين، ونهى عن الغلو والإفراط، ونهى عن التمييع والتضييع، فالتمييع هو التفريط في أمر الله، ويعتبر التمييع فتنة عظيمة افتتن بها كثير من المسلمين خاصة مع أهل الهوى والغوى، فجالسوا المبطلين وخالفوا أهل الدين وسعوا إلى ما يزعمون أنه وسطية وهو تفريط في دين الله.

---

(1) «معالم السنن» (4/ 300).

(2) «المعلم بفوائد مسلم» (1/ 128).

(3) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (16/ 220).

فالتميّع هو كالسكوت عن أهل الباطل ومجالسة أهل البدع وتصحيح مذاهب أهل الهوى كالجهمية والرافضة، بل وللأسف – عياذًا بالله – أن كثيرا ممن ينتسب إلى العلم والدين يدعو إلى وحدة الأديان وتقاربها مع المسلمين، ويحضر مؤتمرات وحدة الأديان الطغوتية.

والله تعالى قد أخبر أنه لا يقبل دينا سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ (1)، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام**﴾(2)، وقال عز وجل: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾(3).

فالتميّع مع أهل الباطل قد يكون تصحيحا لمذهبهم، وهذا يعتبر ناقضًا من نواقض الإسلام، إن صحح مذهب أهل الكفر والزندقة، ومن الناس من يقول إن الرافضة أو الشيعة إخواننا، وليسوا بإخوان لنا ما داموا يسبون الصحابة ويطعنون في أبي بكر وعمر وعائشة ويتهمون القرآن بالنقص.

فأين التوسط والوسطية عند هؤلاء الذين يزعمون أنهم على الوسطية الحق وهم يتنازلون عن دينهم؟!

فالوسطية الحق أن تثبت على دين الله، وأن تقول بما قال الله، وأن تثني

(1) (سورة آل عمران: 85).

(2) (سورة آل عمران: 19).

(3) (سورة آل عمران: 93).

على صحابة رسول الله كما أثنى الله سبحانه وتعالى، وأن تخالف مذاهب أهل الهوى والكفر وتحذر منهم، وقد قال الله سبحانه وتعالى عن اليهود والنصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[2]، فأخبر أنهم كفار سبحانه وتعالى. وقال عز وجل في كتابه الكريم: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[3].

فكثير من الناس ما عرف الوسطية الحق التي أمر الله والتي تنجّيه يوم القيامة، فإرضاء اليهود أو النصارى بشيء من الأفكار أو شيء من التقارب يغضب الله سبحانه وتعالى، لأن الله تعالى أمرنا بمجانبتهم والحذر منهم.

فاقرأ سورة البقرة تجد أكثرها في التحذير من طرق اليهود وغلوهم ومخالفتهم للدين والوسطية الحق.

وسورة آل عمران أغلبها في التحذير من النصارى وبيان غلوهم وإفراطهم وتفريطهم.

وهكذا كثير من القرآن يحذّرنا ربنا وينهانا عن الإفراط والتفريط والتميّع مع هؤلاء.

---

(1) (سورة المائدة: 17).

(2) (سورة المائدة: 73).

(3) (سورة الفاتحة: 7).

فإياك يا عبد الله أن تجالس أو تصاحب من يضرك في دينك.

❍ **قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾** [1]، الكفار والذين ينافقون معهم أو يجالسونهم أو يصححون مذاهبهم.

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة**»[2].

فالاستقامة والاعتدال أن تبتعد عن مجالسة من يضرك في دينك.

وسيأتي معنا إن شاء الله تعالى باب التوسط في التعامل مع الكفار والوسطية في ذلك، وأنه لا حرج أن الإنسان يتبايع معهم أو يعاملهم معاملة دنيوية، ولكنا أردنا بالتمييع هو تصحيح مذاهبهم والتقارب معهم والتماس الأعذار لهم وأنهم أصحاب دين سماوي وأصحاب كتاب إلاهي، وغير ذلك مما يتكلم فيه أصحاب التقارب مع الكفار - عياذًا بالله -.

❍ **قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا**

---

(1) (سورة النساء: 140).

(2) «صحيح البخاري» (5534)، و«صحيح مسلم» (2628).

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

❍ **قال ابن جرير** رحمه الله[2]: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاستقم أنت، يا محمد، على أمر ربك، والدين الذي ابتعثك به، والدعاء إليه، كما أمرك ربك ﴿**وَمَنْ تَابَ مَعَكَ**﴾ ، يقول: ومن رجع معك إلى طاعة الله والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره ﴿**وَلَا تَطْغَوْا**﴾ ▯ يقول: ولا تعدوا أمره إلى ما نهاكم عنه. ﴿**إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ ، يقول: إن ربكم، أيها الناس، بما تعملون من الأعمال كلها، طاعتها ومعصيتها، ﴿**بَصِيرٌ**﴾، ذو علم بها، لا يخفي عليه منها شيء، وهو لجميعها مبصر. يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله، أيها الناس، أن يطلع عليكم ربكم وأنتم عاملون بخلاف أمره، فإنه ذو علم بما تعلمون، وهو لكم بالمرصاد»اهـ.

وعلى العبد بالوسطية والاعتدال في كل حال وليحذر من التميع والضياع عند الفتور والكسل فعَنْ عبد الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هلك**»[3].

([1]) (سورة هود: 112).

([2]) «جامع البيان في تأويل القرآن» (15/ 499).

([3]) «السنة» لابن أبي عاصم (51).

❃ التوسط يقتضي ترك التكلف المنهي عنه

❍ قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (1).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ(2).

فنهانا الله سبحانه وتعالى ونهانا نبينا ﷺ عن التكلف في كل شيء، لأنه ينافي الوسطية، فالتوسط في الأعمال أن الإنسان لا يكلّف نفسه ما لا يطيق، وسواء في ذلك كلّف نفسه ما لا يطيق من العبادات أو كلّف نفسه ما لا يطيق من الفتوى، وكان السلف يكرهون التكلّف في الفتوى، كما سيأتي.

فلابدّ أن يتوسط الإنسان في عمله بأن يعمل بالسنة في صلاته وصيامه وعبادته ومعاملته للناس، ولا يتكلف، فإن التكلّف منهي عنه، وهذه هي الجبلّة التي خلقنا الله بها، وأمرنا الله بها وشرعها لنا، ترك التكلف.

ولذلك الناس يكرهون من يرونه يتكلّف، سواءً تكلّف ما ليس له كالتشبع بما لم يعط الإنسان، أو تكلّف ما ليس عنده كالبلاغة، أو أنه صاحب صوت حسن وليس كذلك.

فما أعطاه الله سبحانه وتعالى من جهد عمل به، وما أعطاه من صوت قرأ به، وما أعطاه من خلق تخلّق به، وإذا كان خلقه سيئا فعليه أن يعمل بما

---

(1) (سورة ص: 86).

(2) «صحيح البخاري» (7293).

أوجب الله عليه في الكتاب والسنة فإن الله عز وجل لم يأمرنا إلا بما نستطيع، قال الله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[1].

فالوسطية هي أن لا تتكلف، وأن تعمل بما أعطاك الله سبحانه وتعالى، وبما يسّر لك من قوة، فتصلي بقدر ما تستطيع وتصوم بقدر ما تستطيع وتعبد الله بقدر ما تستطيع، فهذه هي الوسطية الحق، والله المستعان.

يقول - تعالى - في وصف نبيه محمد، ﷺ في كلامه عز وجل مع قوم موسى، عليه السلام: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾[2]. كما أن من جملة دعاء رسول الله، ﷺ والمؤمنين: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا**﴾[3]، وقد جاء في الحديث: «**قال الله: قد فعلت**». وفي رواية: «**قال: نعم**»[4].

والإصر هو العهد الثقيل الذي في تحمّله أشدّ المشقّة، والأغلال هي الشّدائد التي كانت في عباداتهم.

❍ **قال الطبري**[5]: «عن الربيع، قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا**

([1]) (سورة البقرة: 286).

([2]) (سورة الأعراف: 157).

([3]) (سورة البقرة: 286).

([4]) «صحيح مسلم» (126).

([5]) «جامع البيان في تأويل آي القرآن» (9/ 85).

كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، يقول: التّشديد الذي شدّدته على من قبلنا من أهل الكتاب.

وقال مالك: الإصر: الأمر الغليظ، وقال سعيد: الإصر: شدّة العمل. اهـ

والتكلف يقرب من الغلو لكنه يقصد به في الغالب بتكلف الإنسان وغلوّه في عبادته، وتكليفه لنفسه ما لم يأذن الله تعالى به من الطاعات والعبادات، كما يقع في ذلك كثير من الخوارج والمتصوفة.

ولما كان التكلف ينافي الوسطية، نذكر شيئاً من الأدلة على نهي الإسلام عن التكلف المنافي للوسطية:

ومنه التكلف في الصلاة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا الحَبْلُ؟**» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ**» رواه البخاري ومسلم(1)، وفي لفظ له أنها كانت لا تنام الليل.

(1) «صحيح البخاري» (1150)، و«صحيح مسلم» (784).

التكلف في الصوم لا يجوز

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي سَفَرٍ فَرَأَى رَجُلًا قَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَقَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «**مَا لَهُ؟**» قَالُوا: رَجُلٌ صَائِمٌ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «**لَيْسَ مِن البِرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ**». متفق عليه(1).

فالصوم في السفر يجوز وهو مشروع، وقد صام النبي ﷺ في بعض أسفاره، ولكن لما كان هذا السفر فيه مشقّة على الصائمين، ورأى النبي ﷺ رجلا قد شقّ على نفسه، فأمره بالتيسير على نفسه فقال: «**لَيْسَ مِن البِرِّ**»، أي ليس من الطاعة أن تصوموا في السفر.

سيأتي بيان الوسطية في باب الصيام أن الإنسان إذا سافر واستطاع أن يصوم، فيجوز له أن يصوم ولا نقول واجب عليه، وإن لم يستطع أن يصوم فالواجب عليه أن يُفطر، وإن استطاع الصوم وفيه شيء من التعب فيجوز له الصوم ويجوز له الإفطار، فعلى كلّ هذا هو الوسطية الحق التي شرعها الله تعالى لنا.

ـ ومنه تكلف الحج ماشيًا لا يجوز

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ قَالَ: «**مَا**

(1) «صحيح البخاري» (1946)، و«صحيح مسلم» (1115).

بَالُ هَذَا؟» قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ. قَالَ: «**إِنَّ الله عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ**». متفق عليه[1].

❍ **قلت**: ما أراد الله تعالى أن يُعذِّبنا بالعبادات، فقد أخبر نبينا ﷺ أن الله غني عن تعذيب الإنسان لنفسه، فأمره رسول الله أن يعمل ما يستطيع وما لا ليس فيه تكليف على نفسه، فأمره أن يرقد، وأمره كذلك أن يوفي بنذره بأن يمشي إلى المسجد الحرام، كما جاء في رواية.

ـ التكلف في النذر لا يجوز

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**»[2].

فانظر إلى نبينا ﷺ كيف أمره بالوسطية الشرعية، فلم يأمره بترك النذر كلّه ولم يأمره بوفائه بنذره كلّه، بل أمره بالتوسط في ذلك، فما كان يشقّ عليه نهاه أن يعمل به لأنه ليس من طاعة الله، فليس من طاعة الله أن يشقّ الإنسان على نفسه.

فالرجل نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل في الظل، أي أن يجلس في الشمس ولا يتكلم. فأمره أن يتكلم لأن الصمت ليس من العبادة في شريعتنا،

---

(1) «صحيح البخاري» (1865)، و«صحيح مسلم» (1642).

(2) «صحيح البخاري» (6704).

وأمره أن يستظل لأن الجلوس في الشمس ليس من عبادتنا وشرعنا، وأن يقعد لأن القيام ليس عبادة في غير الصلاة، وأمره أن يتم صومه لأن هذا عبادة، وهذه هي الوسطية لكلّ ذي عينين.

ـ التكلف في السؤال عما لا يعني السائل

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ**». متفق عليه[2].

وأقسام الناس في السؤال الخمسة، وهي:

– **الأول**: أن يسأل الإنسان عما ينفعه، وهذا هو الوسطية التي أمرنا الله بها في باب السؤال.

– **الثاني**: أن يسأل الإنسان لينفع غيره كما جاء جبريل ليسأل النبي ﷺ عن أمور الدين، فقال النبي ﷺ: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[3].

---

(1) «صحيح البخاري» (6473) و«صحيح مسلم»(593).

(2) «صحيح البخاري» (7289)، و«صحيح مسلم» (2358).

(3) «صحيح مسلم» (8).

– **الثالث**: أن يسأل تعنتًا وهذا لا يجوز.

– **الرابع**: أن يسأل تعجيزًا، وهو أن يسأل يريد أن يُعجِّز المسئول أو يعجّز المفتي، وهذا لا يجوز.

– **الخامس**: أن يسأل عما لم يقع، وهذا ليس في شرعنا بل لا يصدر إلا من المتكلفين.

فالوسطية في السؤال أن الإنسان يسأل عما ينفعه، ويترك السؤال عما لا ينفعه، ويكون قصده بالسؤال التفقه في الدين، ونفع نفسه والآخرين.

ـ التوسط في الفتوى وترك تكلف الفتوى بغير علم

هذا الباب من أهم أبواب الوسطية، فكثير من الناس ضلّ في مسألة الفتوى، فتصدَّر للفتوى بغير علم، وكلّف نفسه ما لا يطيق بل وسع باب الحرام بحجة الضرورات، بلا تأصيل ولا دليل ويزعم الناس أن هذه هي الفتاوى الوسطية وهذا هو الاعتدال وما علموا أنه عالم سوء يسوقهم إلى الهاوية.

وبعض الناس ممن عنده علم وفقه ورزقه الله عز وجل من العلم ما رزقه، يبتعد عن نفع الآخرين، وإذا سُئل عن مسألة ربما زهِد في جوابها ونفع الناس بها.

فالتوسط في هذا الباب أن الإنسان إذا سئل عن علم يعلمه فلا يجوز كتمانه سواء كان عالما أو جاهلا، لكنه عالم بهذه المسألة.

فالعالم لا يجوز له السكوت عما يعلم إذا سئل عنه، فقد قال النبي ﷺ: «**من**

سئل عن علمٍ فكتمه ألجمه الله بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة»[1].

ولا يتسرع الطالب في الفتوى والتصدر لها، فإنّ ذلك سبب للضلال - والعياذ بالله -، وتكليف النفس ما لا تطيق، ولا يبتعد عمّا ينفع الناس من العلم، فيقعون في ما حرّم الله سبحانه وتعالى.

❍ **قال الخطيب البغدادي** رحمه الله [2]: «قلّ من حرص على الفتوى وسابق إليها وثابر عليها إلا قال توفيقه واضطرب في أمره، وإذا كان كارها لذلك غير مختار له وما وجد مندوحة عنه وقدر أن يحيل بالأمر فيه على غيره، كانت المعونة له من الله أكثر والصلاح في فتاويه وجوابه أغلب». اهـ

❍ **قلت**: وهذا مصداق حديث النبي ﷺ: «**يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها**»[3].

وإليك بعض الأدلة التي تبيّن الوسطية في الفتوى، لتعلم خطورة هذا الباب ومخالفة كثير من الناس للوسطية في الفتوى، وما وقع فيه ما وقع كثير من المسلمين إلا بسبب فتاوى كثير من المدّعين للعلم والمتصدرين له ممن ليسوا من العلم في شيء، فَضَلّ وأضلّ، وقد قال النبي ﷺ: «**وإن من أخوف ما**

---

(1) «سنن أبي داود» (3657).

(2) «الفقيه والمتفقه» (2/ 350).

(3) «صحيح مسلم» (1652).

أخاف على أمتي الأئمة المضلين»[1].

❍ **قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾**[2].

❍ **وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾** [3].

وعن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ قال: «**من كتم علمًا يعلمه جاء يوم القيامة ملجّمًا بلجامٍ من نارٍ»**[4]. فلا بد أن يعلم أن الفتوى على الجاهل خطيرة جدًا.

❍ **قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**[5].

❍ **وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ**

([1]) «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان» (6714).

([2]) (سورة البقرة: 159).

([3]) (سورة آل عمران: 187).

([4]) «مسند الإمام أحمد بن حنبل» (10487).

([5]) (سورة الأعراف: 33).

بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[1].

وعن عامر بن عبد الله بن الزّبير عن أبيه قال قلت للزّبير إِنِّي لاَ أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا يُحَدِّثُ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ؟ قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ، وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[2]، وعن أبي سعيدٍ الخدريّ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من كذب عليّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده من النّار**»[3].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه**»، زاد سليمان المهري في حديثه: «**ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه**»[4].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سئل عن علمٍ فكتمه ألجمه الله بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة**»[5].

([1]) (سورة الحاقة: 44 - 47).

([2]) «صحيح مسلم» (107).

([3]) «صحيح مسلم» (3004).

([4]) «سنن أبي داود» (3657)، وحسنه الألباني، وانظر: «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (6069)، و«مشكاة المصابيح» (242).

([5]) «سنن أبي داود» (3657).

❍ **قال النووي**[1]: «الإفتاء فرض كفاية فإذا استفتى وليس في الناحية غيره تعين عليه الجواب فان كان فيها غيره وحضرا فالجواب في حقهما فرض كفاية وإن لم يحضر غيره فوجهان أصحهما لا يتعين لما سبق، عن ابن أبى ليلى والثاني يتعين وهما كالوجهين في مثله في الشهادة: ولو سأل عامي عما لم يقع لم يجب جوابه؛ ولا يمنع المحدث الفتوى ويبذل نفسه للناس». اهـ

❍ **قال الإمام ابن القيم** رحمه الله[2]: **الوعيد على الإفتاء**: وأمّا المفتي ففي سنن أبي داود من حديث مسلم بن يسّارٍ قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من قال عليّ ما لم أقل فليتبوّأ بيتًا في جهنّم، ومن أفتى بغير علمٍ كان إثمه على من أفتاه ومن أشار على أخيه بأمرٍ يعلم الرّشد في غيره فقد خانه**»[3] فكلّ خطرٍ على المفتي فهو على القاضي، وعليه من زيادة الخطر ما يختصّ به، ولكن خطر المفتي أعظم من جهةٍ أخرى؛ فإنّ فتواه شريعةٌ عامّةٌ تتعلّق بالمستفتي وغيره.اهـ

❍ **قال النووي** رحمه الله[4]: «اعلم أن الإفتاء عظيم الخطر كبير الموقع كثير الفضل لأن المفتي وارث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وقائم بفرض

(1) «المجموع شرح المهذب» (1/ 45).

(2) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (1/30، 31).

(3) الحديث فيه ضعف، وقال الشيخ الألباني: «حسن»، وانظر: «صحيح الجامع الصغير وزياداته» حديث رقم (6068).

(4) «المجموع شرح المهذب» (1/ 40، 41).

الكفاية لكنه معرض للخطأ ولهذا قالوا المفتي موقع عن الله تعالى: وروينا عن ابن المنكدر قال: العالم بين الله تعالى وخلقه فينظر كيف يدخل بينهم.

وروينا عن السلف وفضلاء الخلف من التوقف عن الفتيا أشياء كثيرة: معروفة نذكر منها أحرفا تبركًا: وروينا عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسئل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول.

وفي رواية ما منهم من يحدث بحديث إلا ودان أخاه كفاه إياه ولا يستفتى عن شيء إلا ودان أخاه كفاه الفتيا، وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم قالا: من أفتى عن كل ما يسئل فهو مجنون.

وعن الشعبي والحسن وأبى حصين بفتح الحاء التابعين قالوا: إن أحدكم ليفتى في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر.

وعن مالك أيضا: أنه ربما كان يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها وكان يقول: من أجاب في مسألة فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب: وسئل عن مسألة فقال: لا أدرى فقيل: هي مسألة خفيفة سهلة فغضب وقال: ليس في العلم شيء خفيف ؛.. اهـ. ـالخ كلامه رحمه الله.

❍ **قال أبو بكر الطرطوشي المالكي**[1]: «فتدبر هذا الحديث؛ فإنه يدل على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل علمائهم، وإنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم؛ أفتى من ليس بعالم، فيؤتى الناس من قبله، وقد صرف عمر هذا المعنى تصريفا، فقال: «ما خان أمين قط، ولكنه اؤتمن غير أمين فخان».

ونحن نقول: ما ابتدع عالم قط، ولكنه استفتي من ليس بعالم؛ فضل وأضل.

وكذلك فعل ربيعة؛ قال مالك: «بكى ربيعة يومًا بكاء شديدًا، فقيل له: أمصيبة نزلت بك؟ فقال: لا، ولكنه استفتي من لا علم عنده» اهـ.

فتأمل هذا الباب فهو من أهم أبواب الوسطية وهو باب خطير وإياك ومن يزعم أنه على الوسطية في الفتوى من دعاة التيسير في الباطل والتغرير ودعاة التقارب مع المبطلين، فإنهم قد ضلوا وأضلوا كما روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبضه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم؛ اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[2].

❁ ❁ ❁ ❁

الباب الرابع

الوسطية في العقيدة

---

(1) «الحوادث والبدع» (ص/ 77).

(2) «البخاري» (77). «مسلم»(2673).

العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، فمن المهم أن يعرف الإنسان عقيدة الحقّ في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، ليتّبع الوسطية الحقّ التّي تعبّد الله الأمة بها.

ولا بد من وجود الخلاف بين الحق والباطل حتى قيام الساعة ليعلم الله تعالى الصادق من الكاذب قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [1].

والناس في عقائدهم شتى قال الله تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**﴾ [2].

فمنهم من غلا في عقيدته وأفرط، ومنهم من جفا في وفرّط، وكل أهل الأهواء والبدع، الذين خالفوا أهل السنة والجماعة في عقيدتهم إما أنهم أفرطوا وغلَوا، وإما أنهم فرَّطوا وتميَّعوا واتبعوا الشبهات والشهوات.

بل إن اليهود والنصارى لما خالفوا الوسطية وخالفوا دين الله، غضب الله عز وجل عليهم وأضلَّهم على علم، ولم يقبل منهم لا فرضاً ولا نفلاً، بل جاء في الحديث عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ عَنْ رَسولِ الله ﷺ أَنَّه قَالَ: «وَالَّذِي نَفْس محَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَع بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأمَّةِ يَهودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثمَّ يَموت وَلَمْ يؤْمِنْ بِالَّذِي

(1) (سورة الليل: 1 – 4).

(2) (سورة هود: 118 – 119).

أرْسِلْت بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[1].

فاليهود غَلَوْا في كثير من عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وطهارتهم، والنصارى فرَّطوا وتميَّعوا في كثير من أعمالهم وعقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وطهارتهم، وقد وقع اليهود في التفريط الذي وقع فيه النصارى، ووقع النصارى في الغلوّ الذي وقع فيه اليهود.

ومن ضلّ من علماء هذه الأمة فقد شابه اليهود الذين علّمهم الله ولم يعملوا بالعلم، فمن تشبّه باليهود في قليل أو كثير من ذلك ناله شيء من الغضب - عياذًا بالله -.

ومن تشبّه بالنصارى فعبد الله على جهل، ناله نصيب من ضلالهم، فكان الواجب على المسلم أن يتوسط في عقيدته.

وتوسط أهل السنة والجماعة في باب وعيد الله، بين المرجئة وبين الوعيدية من القدرية وغيرهم.

المرجئة قالوا: إن العبد إذا مات وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله بلسانه، أو يعتقد ذلك بقلبه فهو في الجنة، وإن عمل ما عمل من المنكرات والكبائر والمحرمات.

والوعيدية من الخوارج والمعتزلة، قالوا: إن العبد إذا مات ولو كان مسلمًا كامل الإيمان وهو على معصية فإنه في النار خالدًا مخلدًا فيها.

---

(1) «صحيح مسلم» (153).

فتوسط أهل السنة في باب وعيد الله، فقالوا: ما دلّ عليه كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ أن العبد إذا مات على الإسلام يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فهو مؤمن بإيمانه، وعده الله عز وجل بمغفرته ورضوانه، فإذا مات على معصية أو كبيرة ولم يتب منها فأمره إلى الله وهو تحت المشيئة إن شاء سبحانه غفر له وعفا عنه، وإن شاء عذّبه بذنوبه ثم يخرج من أهل النار لأنه من أهل التوحيد، هذا إن لم يتب من معاصيه وكبائره.

أما إن تاب فالله عز وجل قد وعد بالتوبة من تاب، قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا**﴾[1]. وقال النبي ﷺ: «**فمن تاب تاب الله عليه**»[2].

وتوسط أهل السنة في باب الإيمان والدين والحكم على أهل المعاصي بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية.

فالحرورية والخوارج والمعتزلة اتهموا الذي يعمل المعاصي أو يعمل بعضها أو يعمل كبيرة من الكبائر أنه كافر في الدنيا، هذا قول الخوارج.

والمعتزلة قالوا: في منزلة بين المنزلتين أي لا مؤمن ولا كافر. وأما المرجئة والجهمية في هذا الباب فقالوا: إن صاحب المعاصي نحكم عليه أنه مؤمن كامل الإيمان في الدنيا، تقبل شهادته ويُصلّى عليه، وهو في منزلة جبريل

(1) (سورة الفرقان: 71).

(2) «سنن ابن ماجه» (1081).

وميكائيل في إيمانه.

فتوسط أهل السنة بما دلّ عليه الكتاب والسنة، وقالوا: صاحب المعاصي مؤمن بإيمانه، فاسق بعصيانه، كما قال حافظ حكمي رحمه الله تعالى:

إيماننا يزيد بالطاعات ... وتارة ينقص بالزلات
والفاسق الملي ذو العصيان ... لم ينف عنه مطلق الإيمان
لكن بقدر الفسق والمعاصي ... إيمانه لازال في انتقاص
ولا نقول إنه في النار ... مخلد بل حكمه للباري

وتوسط أهل السنة في أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج، وبين الروافض وكذلك النواصب.

فالنواصب والخوارج يتهمون آل بيت رسول الله ﷺ وخاصة النواصب يطعنون في آل بيت رسول الله منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والخوارج يكفرون كثيرا من الصحابة ومنهم من يفسِّق كل الصحابة الذين شاركوا في القتل والقتال، قتال الفتنة.

أما الروافض فيطعنون في الصحابة ويغلون في آل بيت رسول الله ﷺ.

وكل هؤلاء في ضلال بعيد، وليس منهم قول رشيد، ولا دليل صحيح، ولا نقل صريح، يدل على ما قالوه.

بل الحق أن نقول في أصحاب رسول الله ﷺ ما قاله الله تعالى فيهم، **قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ**

دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(1).

وقال سبحانه وتعالى: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾**(2).

ولا نغلوا في آل بيت رسول الله، ونقول هم أفضل من غيرهم نسبا، وأقرب إلى رسول الله ﷺ شرفا.

ونقول فيهم ما قاله الله تعالى فيهم، وما قاله رسول الله ﷺ فيهم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه**»(3)، وقال: «**يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا**»(4).

(1) (سورة الحديد: 10).

(2) (سورة الفتح: 29).

(3) «صحيح مسلم» (2699).

(4) «صحيح مسلم» (204).

فلا نطعن في آل بيت رسول الله، ولا في صحابة رسول الله، ونرى حب قرابة رسول الله أفضل من قرابتنا، ولا نطعن فيهم أبدا، ونواليهم ولا نعاديهم، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، والعشرة المبشرون بالجنة، وكل الصحابة لا نقول فيهم إلا كل خير.

وما وقع فيهم وبينهم من الفتن لا نخوض فيها، ونتركها وإن صحت، مع أن بعض أهل العلم قد ذكروا أن بعض المؤرخين أدخلوا في التاريخ ما ليس منه وما ليس بصحيح، فحاولوا بالتاريخ أن يطعنوا في بعض الصحابة، وأن يوغروا صدور الناس على صحابة الرسول ﷺ، حتى قال القحطاني رحمه الله في نونيته[1]:

دع ما جرى بين الصحابة في الـــــــــوغى	بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم	وكلاهما في الحشر مرحومان
والله يوم الحشر ينزع كل ما	تحوي صدورهم من الأضغان
لا تقبلن من التوارخ كلما	جمع الرواة وخط كل بنان

وهكذا وسطية أهل السنة في كل باب من مسائل العقائد -كما سيأتي- بين المُفْرِطِين والمُفَرِّطين، وبين الغلاة والجافين، وبين المميّعين والمتشددين، وكانوا أهل حكم وسط بالكتاب والسنة، والحمد لله على هدايته.

(1) «القصيدة النونية» (ص/ 28، 29).

❍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**[1]: «فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة.

بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ. فَهُمْ وَسَطٌ فِي: بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سبحانه وتعالى. بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ «الْجَهْمِيَّةِ»، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ «الْمُشَبِّهَةِ».

وَهُمْ وَسَطٌ فِي: بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى. بَيْنَ «الْقَدَرِيَّةِ»، «وَالْجَبْرِيَّةِ».

وَفِي: بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ. بَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ»، وَبَيْنَ «الْوَعِيدِيَّةِ» مِنَ «الْقَدَرِيَّةِ» وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي: بَابِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ. بَيْنَ «الْحَرُورِيَّةِ» «وَالْمُعْتَزِلَةِ»، وَبَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» «وَالْجَهْمِيَّةِ».

وَفِي: أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. بَيْنَ «الرَّوَافِضِ»، وَبَيْنَ «الْخَوَارِجِ».اهـ

قد أكرم الله عز وجل أهل الإسلام بأنه لا تزال منهم طائفة على الحق ظاهرين بأمر الله، يقومون بالحق ويقولون به، ويحذرون من الباطل ويبتعدون عنه، وهم أهل الوسطية الحقّ، وممّا امتاز به الإسلام على غيره من الأديان أنه دين محفوظ باق إلى قيام الساعة.

وأخبرنا نبينا ﷺ أنه يقوم بحفظ الدين وتبليغه إلى قيام الساعة الطائفة

---

(1) «العقيدة الواسطية» (ص/ 82).

المنصورة، وهم الفرقة الناجية الذين قال فيهم نبينا ﷺ: «**لا تزال أمة من أمتي قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي الله وهم ظاهرون على الناس**»[1].

ثبت هذا عن جمع من الصحابة، عن المغيرة بن شعبة وغيره في الصحيحين وغيرهما، وهؤلاء هم الطائفة المنصورة الذين يحفظ الله عز وجل بهم الدين والذين يتوسطون في عقائدهم على ما جاء في الكتاب والسنة.

وسأذكر شيئاً من وسطية أهل السنة في أبواب العقائد بشيء من التوسع، فأقول مستعيناً بالله:

- **بيان من هم أهل السنة والجماعة؟**

اعلم أن أهل السنة هم أهل الوسطية وأهل الاعتدال والذين تمسكوا بها ولم يخالفوا شيئاً من أصولها وهم: **أولا**: أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنهم الذين أخذوا الوحي والشرع من نبينا محمد ﷺ.

ثانيا: التابعون ومن تبعهم بإحسان، وهم المقتفون آثار نبينا، من أهل الحديث والأثر، الذين نقلوا إلينا الدين.

ثالثا: من تبعهم بإحسان إلى قيام الساعة، سواءً كانوا علماء أو محدثون فقهاء،، وسواءً كانوا تجاراً أو مزارعين أو على أي عمل دنيوي، ما داموا على السنة متمسكين ولها مناصرين وعنها مدافعين لا يتعصبون لفكر ولا مذهب ولا

(1) انظر «صحيح البخاري (7311) ومسلم (1073) » وما بعد.

شخص غير نبيهم صلى الله ﷺ، جعلنا الله منهم إنه جواد كريم.

❍ **قال الإمام ابن حزم**[1] في بيان من هم أهل السنة: «وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة فإنهم: الصحابة رضي الله عنهم، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلًا فجيلًا إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم».اهـ .

فقد بيّن أهل السنة والجماعة من قديم الزمان وحديثه أن الحق هو الوسطية سواء في توحيد الله، فردوا على الذين يشركون بالله ويتوسلون بالقبور، وردوا على الذين يفرطون في توحيد الله سبحانه وتعالى فيدعون الأولياء، وهذا مبين في الكتاب والسنة.

وردوا أيضا على الذين يرفعون النبي ﷺ فوق منزلته ويجعلون الأولياء في مرتبة الأنبياء، ومنهم من جعل الأولياء في مرتبة رب العالمين، وهؤلاء هم الصوفية.

فبيّن أهل السنة عقائد أهل الهوى وأفكارهم في كتب كثيرة، وبينوا أن عندهم غلوا في باب الأولياء والصالحين والقبور، وأنهم أصحاب جفاء وتفريط في باب توحيد الله وفي باب اتباع رسول الله ﷺ، فيبتدعون بدعا كثيرة في صلاتهم وصيامهم وحجهم وعباداتهم وأذكارهم.

وبيّنوا أن الحق هو في توحيد الله والإخلاص له، قال الله سبحانه وتعالى:

([1]) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (2/ 113).

﴿**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي**﴾ [1]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [2].

وكذلك في اتباع رسوله ﷺ، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [3].

فمن عمل عملا ليس عليه أمر رسول الله وسنته فهو رد، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد**» متفق عليه[4] وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[5].

❋ التوسط في الإيمان بالأسماء والصفات

ردّ أهل السنة والجماعة على الذين خالفوا الوسطية في باب العقائد بشتى أنواعهم، فردوا على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم الذين عطلوا صفات الله وتأولوا بعضها، عطلوا الله عز وجل عن صفاته زاعمين أن هذا تعظيم لله وبعد عن التشبيه، وردوا على أهل التشبيه الذين قالوا: إن الله عز وجل يشبه خلقه في

(1) (سورة الزمر: 14).

(2) (سورة البينة: 5).

(3) (سورة آل عمران: 31).

(4) «صحيح البخاري» (2697)، و«صحيح مسلم» (1718).

(5) «صحيح مسلم» (1718).

كل صفاته.

فقال أهل السنة: الحق هو الوسط، نثبت لله أسماءه وصفاته التي وردت في الكتاب والسنة بلا تمثيل الممثلة وتشبيه المشبهة، وبلا تعطيل المعطلة وتأويل المُأوِّلة، فمن هُدي إلى ذلك فقد هدي إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والسلف الصالحين.

وهذا هو الحق الذي يدل عليه الكتاب والسنة، فإن الله تعالى خاطبنا في الكتاب والسنة بما نعقله ونفهمه، قال الله تعالى: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ [1]، وقال سبحانه: ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [2].

❍ **قال الله تعالى:** ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [3].

❍ **وقال الله تعالى:** ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [4].

❍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله[5]: «وقد عُلم أن طريقة سلف

([1]) (سورة الشعراء: 195).

([2]) (سورة الزمر: 28).

([3]) (سورة الشورى: 11).

([4]) (سورة الأعراف: 180).

([5]) «التدمرية» (ص/ 7).

الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه - مع ما أثبته من الصفات - من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته، كما **قال الله تعالى**: **﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** ، **وقال الله تعالى**: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[1]».

❍ **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية**[2]: «ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العلى، ويحرّفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته».

❍ **قال الآلوسي**[3]: «قال بعض العلماء: المعطل يعبد عدمًا، والممثل يعبد صنمًا. المعطل أعمى، والممثل أعشى، ودين الله سبحانه بين الغالي فيه

([1]) (سورة فصلت: 40).

([2]) «الفتوى الحموية الكبرى» (1/ 267).

([3]) «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» (ص/ 449).

والجافي عنه، وقد **قال الله تعالى:** ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [1]، والسنة في الإسلام كالإسلام في الملل، وأهل السنة وسط في الصفات بين أهل التمثيل وأهل التعطيل، وهذا هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

فنسأل الله تعالى العظيم أن يجعلنا وسائر إخواننا منهم - وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين»؛ اهـ.

❍ **يقول الإمام ابن عبد البر** في ذلك[2]: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يجدون فيه صفة محصورة».

❍ **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية**[3]: «ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف وتمثيل، يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، يثبتون له صفات الكمال، وينفون عنه ضروب الأمثال،

([1]) (سورة البقرة: 143).

([2]) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (7/ 145).

([3]) «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية» (2/ 111).

ينزهون عن النقص والتعطيل، عن التشبيه والتمثيل إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ رد على الممثلة، ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [1] رد على المعطلة». فمذهبهم إذًا بين التمثيل والتعطيل، دائر على الإثبات والتنزيه.

ولهم في ذلك منهج وسط، وقواعد مثلى عليها يدور مذهبهم، وقولهم في أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وهي قواعد دل عليها كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ؛ فهي مستوحاة منهما، وكل من ضل في هذا الباب فإنما حصل له ذلك بسبب التفريط والإعراض عن شيء منها.

أن لا يوصف الله عز وجل إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث. وكان مطرف يقول: الحمد لله الذي من العلم به الجهل بغير ما وصف به نفسه. وقال سحنون: من العلم بالله السكوت عن غير ما وصف به نفسه. فمن وصفه بما لم يصف به نفسه، أو يصفه به رسوله فقد ضل، وقال على الله بلا علم، ومن ذلك صنيع الفلاسفة الذين سموه العقل الفعال، والمعتزلة الذين جعلوا القدم أخص صفاته، وهذا الاسم إلى كونه ليس في كتاب الله فإنه لا يؤدي المعنى الذي أناطوه به. واللفظ الشرعي الوارد في قوله: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ**﴾ [2] أدل على المعنى المطلوب وأرضى للرب.

ومن لم يصفه بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله؛ فقد ضيع وفرط وضل وعطل الله عز وجل عن أسمائه وصفاته التي دلت عليها نصوص الكتاب

---

(1) (سورة الشورى: 11).

(2) (سورة الحديد: 3).

والسنة.اهـ

❃ التوسط في الإيمان بالوعد والوعيد

❍ **قال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري**[1]: «وأما الوعيد: فقول المعتزلة فيه وقول الخوارج قول واحد، لأنهم يقولون: إن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم في النار خالدون فيها مخلدون غير إن الخوارج يقولون: أن مرتكبي الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين والمعتزلة يقولون: إن عذابهم ليس كعذاب الكافرين».

❍ **قلت**: وقابلهم المرجئة القائلون أن العصاة من المسلمين في الجنة لا يعذبون، وقول أهل السنة وسط وهدى بين الضلالتين: أنهم يوم القيامة هم إلى الله إن شاء عفا عنهم وإن شاء عاقبهم.

❃ التوسط في الصحابة

❍ **قال شيخ الإسلام** رحمه الله[2]: «أهل السنة والجماعة. هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ.

إلى أن قال: وفِي: أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ «الرَّوَافِضِ»، وَبَيْنَ «الْخَوَارِجِ».

(1) «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» (1/ 109).

(2) «العقيدة الواسطية» (ص/ 82).

قلت: وبين النواصب القائلين بسب آل بيت رسول الله ﷺ.

❍ **قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾**[1].

[1] **وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «خير النّاس قرني ثمّ الّذين يلونهم ثمّ الّذين يلونهم ثمّ يجيء أقوامٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»**[2].

[2] **وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «خير أمّتي القرن الّذين بعثت فيهم ثمّ الّذين يلونهم - والله أعلم أذكر الثّالث أم لا-، قال: ثمّ يخلف قومٌ يحبّون السّمانة يشهدون قبل أن يستشهدوا»**[3].

([1]) (سورة الفتح: 29).

([2]) «صحيح البخاري» (2652)، (3651)، و«صحيح مسلم» (2533).

([3]) «صحيح مسلم» (2534).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**خيركم قرني ثمّ الّذين يلونهم ثمّ الّذين يلونهم**»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجلٌ النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أيّ النّاس خيرٌ؟ قال: «**القرن الّذي أنا فيه ثمّ الثّاني ثمّ الثّالث**»[2].

فهذا فيه فضل الصحابة رضوان الله عليهم. ومما في الباب ما أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيدٍ الخدريّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**يأتي على النّاس زمانٌ يبعث منهم البعث فيقولون انظروا هل تجدون فيكم أحدًا من أصحاب النبيّ** صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ **فيوجد الرّجل فيفتح لهم به ثمّ يبعث البعث الثّاني فيقولون هل فيهم من رأى أصحاب النّبيّ** صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ **فيفتح لهم به ثمّ يبعث البعث الثّالث فيقال انظروا هل ترون فيهم من رأى من رأى أصحاب النبي** صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ **ثمّ يكون البعث الرّابع فيقال انظروا هل ترون فيهم أحدًا رأى من رأى أحدًا رأى أصحاب النّبيّ** صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ **فيوجد الرّجل فيفتح لهم به**»[3].

---

(1) «صحيح البخاري» (2651)، «صحيح مسلم» (2535).

(2) «صحيح مسلم» (2536).

(3) «صحيح مسلم» (2532).

❍ **قال النووي** رحمه الله[1]: «اتّفق العلماء على أنّ خير القرون قرنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والمراد أصحابه، وقد قدّمنا أنّ الصّحيح الّذي عليه الجمهور أنّ كلّ مسلم رأى النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولو ساعة فهو من أصحابه، ورواية (خير النّاس) على عمومها، والمراد منه جملة القرن، ولا يلزم منه تفضيل الصّحابيّ على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولا أفراد النّساء على مريم وآسية وغيرهما، بل المراد جملة القرن بالنّسبة إلى كلّ قرن بجملته»؛ اهـ.

❍ **قال ابن كثير** رحمه الله[2] في تفسير قول الله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ** ...﴾: «يخبر تعالى عن محمد صلوات الله عليه، أنه رسوله حقًا بلا شك ولا ريب، فقال: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**﴾ وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثنى بالثناء على أصحابه فقال: ﴿**وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ كما **قال الله تعالى**: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[3]، وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفًا على الكفار، رحيما برًّا بالأخيار، غضوبًا عَبوسًا في وجه الكافر، ضحوكا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن، كما **قال الله تعالى**: ﴿**يَاأَيُّهَا**

([1]) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (16/ 84، 85).

([2]) «تفسير القرآن العظيم» (7/ 336 - 338).

([3]) (سورة المائدة: 54).

الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[1]، وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسّهر**»، وقال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**» وشبك بين أصابعه. كلا الحديثين في الصحيح.

وقوله: ﴿**تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**﴾: وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة، وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله، عز وجل، والاحتساب عند الله جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله، وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول، كما قال: ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ [2].

وقوله: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾: قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ**﴾ يعني: السمت الحسن.

وقال مجاهد وغير واحد: يعني: الخشوع والتواضع.أهـ. وهو الصحيح.

وقال: وقال مالك، رحمه الله: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: «والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا». وصدقوا

([1]) (سورة التوبة: 123).

([2]) (سورة التوبة: 72).

في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد نوّه الله بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿**ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ**﴾ ثمّ قال: ﴿**وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ**﴾، ﴿**أَخْرَجَ شَطْأَهُ**﴾ أي: فِراخه، ﴿**فَآزَرَهُ**﴾ أي: شده ﴿**فَاسْتَغْلَظَ**﴾ أي: شب وطال، ﴿**فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ**﴾ أي: فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع، ﴿**لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾.

ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله، في رواية عنه–بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم»؛ اهـ.

❍ **وكما قال الإمام الطحاوي** رحمه الله: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين – أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر –، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل»**اهـ**.

❍ **قال الهراس**[1]: «ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، ولا كان ولا يكون

---

(1) «شرح العقيدة الواسطية» (ص/ 250).

مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم، وأكرمها على الله»**اهـ**.

وقال أبو توبة الربيع بن نافع: معاوية سترٌ لصحابة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه.

فأهل السنة يتميزون عن غيرهم بأنهم أهل اعتدال وتوسط مرضي وهو عدم الغلو والجفاء والبعد عن الإفراط والتفريط.

والشيعة بأنواعهم غلوا في آل البيت وجفوا باقي الصحابة. **والنواصب** غلوا وجفوا. **والصوفية** غلوا وجفوا.

❍ **قال الأشعري**[1] في الشيعة: «وهم ثلاثة أصناف: **الغالية**: وهم الذين غلو في علي، وقالوا فيه قولًا عظيمًا وهم طوائف، **الرافضة الإمامية**: وسموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر: هذا قول الأشعري، وقال بعضهم: سموا رافضة لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما خرج عن هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر وعمر منعهم من ذلك وتولاهما، فرفضوه ولم يبق معه إلا مئتا فارس؛ فقال لهم زيد: رفضتموني. قالوا: نعم؛ فبقي عليهم هذا الاسم.

الزيدية: وهم الذين تمسكوا بقول زيد بن علي بن الحسين. قال

([1]) انظر: «مقالات الإسلاميين» (1/ 65، 88، 136)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص/ 52)، و«الملل والنحل» (1/ 146).

الشهرستاني: ويجمعهم – أي: الشيعة القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولًا وفعلًا وعقدًا إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك».

ولا يخفى سبهم وشتمهم أفاضل الصحابة رضي الله عنهم؛

فمن ذلك: لعنهم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وتسميتهما بالجبت والطاغوت، وصنمي قريش ووضعوا في ذلك دعاء يعرف بذلك، وفيه: «اللهم العن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما وابنتيهما» يقصد قبحه الله أبا بكر وعمر وابنتيهما عائشة وحفصة رضي الله عنهم أجمعين.

❍ **وقال السكسكي**[1]: «وقالوا –أي: الرافضة: بتفضيل علي على سائر الصحابة، وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ وتبرؤوا من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة رضي الله عنهم إلا فرقة الزيدية».

وأما تكفير الرافضة للصحابة رضي الله عنهم؛

فمن ذلك: ما جاء في كتاب «الكافي» وهو أعظم كتبهم وأصحها لديهم وهو عندهم بمثابة «صحيح البخاري» عند أهل السنة، ذكر فيه عن «الرضا» أنه قال: «إن الله لم يقبض نبيه ﷺ حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملا؛ فقال عز وجل: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ وأنزل في

([1]) «البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» (ص/ 65).

حجة الوداع وهي آخر عمره ﷺ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا**﴾، وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض ﷺ حتى بين لأمته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم عليًا علمًا وإمامًا وما ترك لهم شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بينه؛ فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، ومن رد كتاب الله؛ فهو كافر به» اهـ.

وفي «الكافي» أيضًا: «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي»[1].

وجاء في كتاب سليم بن قيس العامري: «أن الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله غير أربعة»[2].

وغير ذلك من كلامهم الذي يستحى من ذكره ونقله، قبحهم الله ولعنهم، والحمد لله على العافية.

❍ **قال القحطاني** [3]:

(1) «الأصول من الكافي» (1/ 154).

(2) «كتاب سليم بن قيس العامري» (ص/ 92)، ط. دار الفنون – بيروت، منقول من كتاب: «الشيعة وأهل البيت» (ص/44).

(3) «تخريج العقيدة الطحاوية» (ص/ 84).

واحفظ لأهل البيت واجب ... واعرف عليا أيما عرفان
حقهم **لا تنتقصه ولا تزد في** ... فعليه تصلى النار طائفتان
قدره ... وتنصه الأخرى إلها ثاني
إحداهما لا ترتضيه خليفة ... أعناقهم غلت إلى الأذقان
والعن زنادقة الجهالة إنهم ... بفساد ملة صاحب الإيوان
جحدوا الشرائع والنبوة واقتدوا ... **شتموا الصحابة دون ما برهان**
لا تركنن إلى الروافض إنهم ... ووداهم فرض على الإنسان
لعنوا كما بغضوا صحابة أحمد ... ألقى بها ربي إذا أحياني
حب الصحابة والقرابة سنة

❃ التوسط في الإيمان بالقدر

❍ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [1].

❍ وقال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [2].

❍ وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ

(1) (سورة القمر: 47- 49).

(2) (سورة المرسلات: 21، 22).

فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

❍ وقال الله تعالى: **﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[2].

❍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله[3]: «ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله. كما **قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾**[4] الآية. وقال الله تعالى: **﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾**[5]، وقال: **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾**[6]. والقرآن قد أخبر بأن العباد

---

(1) (سورة الإنسان: 29 - 31).

(2) (سورة التكوير: 28، 29).

(3) «مجموع الفتاوى» (8/ 459، 460).

(4) (سورة المدثر: 54 - 56).

(5) (سورة الإنسان: 29 - 30).

(6) (سورة التكوير: 27 - 28).

يؤمنون ويكفرون ويفعلون ويعملون ويكسبون ويطيعون ويعصون ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجون ويعتمرون ويقتلون ويزنون ويسرقون ويصدقون ويكذبون ويأكلون ويشربون ويقاتلون ويحاربون فلم يكن من السلف والأئمة من يقول: إن العبد ليس بفاعل ولا مختار ولا مريد ولا قادر. ولا قال أحد منهم: إنه فاعل مجازا بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله. وأول من ظهر عنه إنكار ذلك هو الجهم بن صفوان وأتباعه فحكي عنهم أنهم قالوا: إن العبد مجبور وأنه لا فعل له أصلا وليس بقادر أصلا وكان الجهم غاليا في تعطيل الصفات فكان ينفي أن يسمى الله تعالى باسم يسمى به العبد فلا يسمى شيئاً ولا حيا ولا عالما ولا سميعا ولا بصيرا. إلا على وجه المجاز. وحكي عنه أنه كان يسمي الله تعالى قادرا؛ لأن العبد عنده ليس بقادر فلا تشبيه بهذا الاسم على قوله. وكان هو وأتباعه ينكرون أن يكون لله حكمة في خلقه وأمره وأن يكون له رحمة ويقولون: إنما فعل بمحض مشيئة لا رحمة معها وحكي عنه أنه كان ينكر أن يكون الله أرحم الراحمين وأنه كان يخرج إلى الجذمى فينظر إليهم ويقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا بهؤلاء وكان يقول: العباد مجبورون على أفعالهم ليس لهم فعل ولا اختيار. وكان ظهور جهم ومقالته في تعطيل الصفات وفي الجبر والإرجاء في أواخر دولة بني أمية بعد حدوث القدرية والمعتزلة وغيرهم فإن القدرية حدثوا قبل ذلك في أواخر عصر الصحابة فلما حدثت مقالته المقابلة لمقالة القدرية أنكرها السلف والأئمة كما أنكروا قول القدرية من المعتزلة وغيرهم».اهـ

وقد رد أهل السنة، أهل الحق والوسطية، على الذين خالفوا في باب أفعال

الله وهم القدرية والجبرية.

فالقدرية قالوا لا قدر، وأن العبد يعمل كل عمل بلا إرادة لله سبحانه وتعالى في عمله، بل إنه هو الذي يشاء أعماله، وهو الذي يفعل ذلك بلا مشيئة لله.

وكذبوا في ذلك، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [1]، وقال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [2].

والجبرية غلوا في إثبات القدر، حتى قالوا: إن العبد مجبور على كل أفعاله وأعماله، وعلى كل ما اختاره وشاءه، فهو مجبور على الصلاة كما هو مجبور على الزنا، وهو مجبور على الصيام إن صام، كما أنه إذا سرق فهو مجبور على السرقة.

وقيل فيهم:

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له   إيــاك إيــاك أن تبتــل بالمــاء

فتوسط أهل السنة فأثبتوا أن للعبد مشيئة، ما شاءه عمله من الأعمال، ولله تعالى عز وجل مشيئة وهي فوق المشيئات كلها، ولا يشاء العبد شيئاً إلا بعد مشيئة الله وإرادة الله تعالى له، فإذا أراد الله هدايته بسبب أعماله الصالحة،

([1]) (سورة الإنسان: 30).

([2]) (سورة الصافات: 96).

وبما علم سبحانه من أنه يستحق الهداية هداه سبحانه، وإذا علم سبحانه زيغ عبده وكبر قلبه وأن فيه من الغلو والكبر ومن الجفاء والتفريط ومن الظلم وأسباب الضلال، إذا علم سبحانه وتعالى أن عبده لا يستحق الهداية بسبب ما عنده من أسباب الضلال أضله على علم سبحانه وتعالى، قال الله: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [1].

❃ التوسط في الخوف والرجاء

الوسطية لابد أن تكون في كل ما يعتقده الشخص وما يخفيه وما يعلنه، فعلى المسلم أن يتعدل في خوفه ورجائه، فكثير من الناس من الصوفية وغيرهم، يخاف من عقاب الله وغضبه وناره خوفا غاليا زائدا عن الحدّ المشروع، فتراه لا يتزوّج ولا يأكل ولا يشرب، ويأخذ بالرهبانية التي نهى عنها ديننا، فيَدَّعي أنه خائف من غضب الله عز وجل، بل بعض الصوفية قال بأنه لا يخاف من نار الله، وإنما يخاف من الله، حتى قال قائلهم: «اللهم إني لا أعبدك خوفا من نارك، وإنما أعبد خوفا من غضبك».

ومنهم من فرّط في هذا فيعمل المنكرات، ويعصي الله سبحانه وتعالى بلا خوف من الله عز وجل، ويدَّعي أن الله غفور رحيم، ولم يعمل بقول الله: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[2].

([1]) (سورة الصف: 5).

([2]) (سورة المائدة: 98).

وأفضل الخوف ما صدَّك عن المعصية، كما ذكر أهل العلم – منهم شيخ الإسلام ابن تيمية –، فهذا هو الخوف الشرعي الصحيح، هو الذي يصدّ الإنسان عن المعصية ويجعله يبتعد عن غضب الله سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم: [1] وَسَمِعْتُ شَيْخَ الإسلام ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ يَقُولُ: الْخَوْفُ الْمَحْمُودُ مَا حَجَزَكَ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ. اهـ

ليس الخوف أن تجلس باكيا ليلك ونهارك حتى ينخلع قلبك، وتُقصِّر في حقوق أهلك وأولادك في جوانب العبادة وطلب العلم والدعوة إلى الله وغير ذلك.

وليس الرجاء فقط أن ترجو الله سبحانه وتعالى وأنت مُقصِّر في العمل، فأفضل الرجاء ما حفَّزَك على الطاعة.

❍ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[2]..

فأخبر الله أن أهل الرجاء حقيقة، والذين يتوسطون في رجائهم وخوفهم هم الذين يعملون العمل الصالح، والذين يؤمنون بالله، ويهاجرون من أجل الله، ويجاهدون في سبيل الله.

وأهل السنة والجماعة بين خوف الخوارج ورجاء المرجئة، وهذا الواجب على

---

(1) "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" (1/ 511).

(2) (سورة البقرة: 218).

كل عبد.

❍ قال الله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾[1].

❍ وقال الله تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[2].

❍ **قال القحطاني** رحمه الله[3]:

احذر عقاب الله وارج ثوابه ... حتى تكون كمن له قلبان

أما أهل البدع وأصحاب الغلو فأعينهم عوراء في هذا الباب وغيره، **فمنهم** من أخذ بأدلة الخوف حتى كفر من عمل المعاصي من الموحدين، وحكم عليهم بالخلود في النار وهم الخوارج، ومن شابههم من المعتزلة. **ومنهم** من نظر إلى أدلة الرجاء وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله والإيمان في القلب، وكل هؤلاء في ضلال، والخوارج كلاب النار، والمرجئة أضل.

([1]) (سورة الإسراء: 57).

([2]) (سورة الزمر: 9).

([3]) «القصيدة النونية» (ص/29).

✵ التوحيد والنهي عن الغلو في الصاحين

لما كان التوحيد هو الحق والوسطية الشرعية، كان الغلو في الصالحين سبب ضلال وشرك كثير من المتقدمين والمتأخرين فعن عَائِشَةَ، وَعَبْد اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[1].

فالواجب إنزال الصالحين منازلهم وعدم الغلو فيهم وتعظيمهم فوق ما شرع الله.

ولذا نهينا عن الإطراء والغلو كما أطرت النصارى ابن مريم، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ – رضى الله عنه – يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**»[2].

قلت: وهذا يعم كل من أطرى وغلى في شخص أو جماعة فرفع البعض فوق منزلته، أو جعل المستحب واجبًا، أو الصالح عالـمًا، أو العالم نبيًا...، إلى غير ذلك من الغلو في الأشخاص والأعمال وغيرها.

---

(1) «صحيح البخاري» (435)، «صحيح مسلم» (531).

(2) «صحيح البخاري» (3445).

قال ابن القيم[1]: ومثال هذا التوسط في حق الأنبياء عليهم السلام : أن لا يغلو فيهم كما غلت النصارى في المسيح ولا يجفو عنهم كما جفت اليهود فالنصاري عبدوهم واليهود قتلوهم وكذبوهم والأمة الوسط : آمنوا بهم وعزروهم ونصروهم واتبعوا ما جاءوا به ومثال ذلك في حقوق الخلق : أن لا يفرط في القيام بحقوقهم ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله أو عن تكميلها أو عن مصلحة دينه وقلبه وأن لا يجفو عنها حتى يعطلها بالكلية فإن الطرفين من العدوان الضار وعلى هذا الحد فحقيقة الأدب : هي العدل والله أعلم. اهـ.

❍ قال الشنقيطي رحمه الله [2]: «قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: كَمَا يَصْنَعُ النَّاسُ فِي مُلَازَمَتِهَا وَتَسْنِيمِهَا بِالْحِجَارَةِ وَالرُّخَامِ وَتَلْوِينِهَا شَرَفًا، وَبَيَانِ النَّوَاوِيسِ عَلَيْهَا، أَيِ الْفَوَانِيسِ، وَهِيَ السُّرُجُ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو حَيَّانَ، وَابْنُ عَطِيَّةَ: لَمْ يَرَ إِلَّا قُبُورَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَى مَا يَتَبَاهَى بِهِ أَهْلُ مِصْرَ فِي مَدَافِنِهِمْ بِالْقَرَافَةِ الْكُبْرَى وَالْقَرَافَةِ الصُّغْرَى، وَبَابِ النَّصْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَمَا يَضِيعُ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ، لَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَلَرَأَى مَا لَمْ يَخْطُرْ بِبَالٍ. اهـ.

وَأَمَّا التَّبَاهِي بِالزِّيَارَةِ: فَفِي هَؤُلَاءِ الْمُنْتَمِينَ إِلَى الصُّوفِيَّةِ أَقْوَامٌ لَيْسَ لَهُمْ شُغْلٌ إِلَّا زِيَارَةُ الْقُبُورِ: زُرْتُ قَبْرَ سَيِّدِي فُلَانٍ بِكَذَا، وَقَبَرَ فُلَانٍ بِكَذَا، وَالشَّيْخَ فُلَانٍ

---

(1) « مدارج السالكين» [2/ 393].

(2) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (9/80، 81).

بِكَذَا، وَالشَّيْخَ فُلَانٍ بِكَذَا، فَيَذْكُرُونَ أَقَالِيمَ طَافُوهَا عَلَى قَدَمِ التَّجْرِيدِ. وَقَدْ حَفِظُوا حِكَايَاتٍ عَنْ أَصْحَابِ تِلْكَ الْقُبُورِ وَأُولَئِكَ الْمَشَايِخِ، بِحَيْثُ لَوْ كُتِبَتْ لَجَاءَتْ أَسْفَارًا. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْرِفُونَ فُرُوضَ الْوُضُوءِ وَلَا سُنَنَهُ.

وَقَدْ سَخَّرَ لَهُمُ الْمُلُوكُ وَعَوَامُّ النَّاسِ فِي تَحْسِينِ الظَّنِّ بِهِمْ وَبَذْلِ الْمَالِ لَهُمْ، وَأَمَّا مَنْ شَذَّ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ لِلْعَامَّةِ فَيَأْتِي بِعَجَائِبَ، يَقُولُونَ: هَذَا فَتْحٌ مِنَ الْعِلْمِ اللَّدُنِّيِّ عَلَى الْخَضِرِ.

حَتَّى إِنَّ مَنْ يَنْتَمِي إِلَى الْعِلْمِ، لَمَّا رَأَى رَوَاجَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ، وَنَقَلَ كَثِيرًا مِنْ حِكَايَاتِهِمْ، وَمَزَجَ ذَلِكَ بِيَسِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ طَلَبًا لِلْمَالِ وَالْجَاهِ وَتَقْبِيلِ الْيَدِ. وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ عز وجل أَنْ يُوَفِّقَنَا لِطَاعَتِهِ. اهـ. بِحُرُوفِهِ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ رحمه الله مِنْ أَعْظَمِ مَا افْتَتَنَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ مَعًا.

أَمَّا فِي دِينِهِمْ: فَهُوَ الْغُلُوُّ الَّذِي نَهَى عَنْهُ ﷺ، صِيَانَةً لِلتَّوْحِيدِ مِنْ سُؤَالِ غَيْرِ اللَّهِ.

وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ الْكَثِيرَ مِنْ هَؤُلَاءِ يَتْرُكُونَ مَصَالِحَ دُنْيَاهُمْ مِنْ زِرَاعَةٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ، وَيَطُوفُ بِتِلْكَ الْأَمَاكِنِ تَارِكًا وَمُضَيِّعًا مَنْ يَكُونُ السَّعْيُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ.

مِمَّا يَلْزَمُ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، أَنْ يُرْشِدُوا الْجَهَلَةَ مِنْهُمْ، وَأَنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ عَامَّةً خَطَأَ وَجَهْلَ أُولَئِكَ، وَأَنَّ الرَّحِيلَ لِتِلْكَ الْقُبُورِ لَيْسَ مِنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَلَا كَانَ مِنْ عَمَلِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَلَا مِنْ

عَامَّةِ الصَّحَابَةِ وَلَا التَّابِعِينَ، وَلَا مَنْ عَمَلِ أَئِمَّةِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ. وَإِنَّمَا كَانَ عَمَلُ الْجَمِيعِ زِيَارَةَ مَا جَاوَرَهُمْ مِنَ الْمَقَابِرِ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِمْ وَالدُّعَاءِ لَهُمْ، وَالِاتِّعَاظِ بِحَالِهِمْ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِمَا صَارُوا إِلَيْهِ. نَسْأَلُ اللَّهَ الْهِدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ لِاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالِاقْتِفَاءِ بِآثَارِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، آمِينَ» اهـ.

❋ موقف أهل السنة من الصالحين

أهل الحق في الصالحين والأولياء وسط بين ضلالتي الغلو والجفاء. **فالأنبياء** عند أهل السنة لا يبلغون مرتبة الألوهية. **والصحابة** وآل بيت رسول الله ﷺ لا يبلغون مرتبة النبوة، **والأولياء** لا يبلغون مرتبة الصحبة. **والفساق** لا يبلغون مرتبة الأولياء.

وخالف في هذا **الصوفية** غلوا في الجميع. **والرافضة** غلوا في آل البيت وطعنوا وجفوا باقي الصحابة. **والخوارج** طعنو وكفروا كثيراً من الصحابة. **والنواصب** طعنوا في آل بيت رسول الله ﷺ. **والمرجئة** غلوا في حكمهم على الفساق أنهم في أعلى مراتب الإيمان. وقد سبق بعض أقوالهم المخالفة للوسطية والاعتدال في الأقوال والأحكام.

❍ **قال الإمام الطحاوي**[1]: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم».

---

(1) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (9/80، 81).

❍ **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** [1]: «ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات».

❍ **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله [2]: «أجمع جميع سلف المسلمين وأئمة الدين من جميع الطوائف: أنه ليس بعد رسول الله ﷺ أحد معصوم ولا محفوظ لا من الذنوب ولا من الخطايا».

❍ **وقال الإمام الشوكاني**[3]: «واعلم أن الأولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين؛ بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين» **اهـ** ، والرافضة غلوا في آل البيت وطعنوا وجفوا باقي الصحابة.

❋ التوسط في الأحكام

المؤمن مأمور بالوسطية في قوله وفعله، والاعتدال في الأحكام التي يعتقدها أو يقولها، وقول الحق هو التوسط والاعتدال.

هذا ولا بد على كل من رأى منكرًا من العلماء أو غيرهم أن ينكره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان، كما دل على ذلك حديث أبي سعيد قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ**

---

(1) «الوسطية» (16).

(2) «جامع الرسائل» (266/1).

(3) «ولاية الله والطريق إليها» (ص/233، 234).

مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[1].

وهذا باب عظيم يعتبر دفاعاً عن عرين الشريعة ودين الأمة وسنة رسولنا الله ﷺ من بدع المتبدعين وكذب الكذابين وافتراء المفترين وتفرق المتفرقين، وما أكثرهم لا كثرهم الله.

والإنكار على المخالفين وتجريح المجروحين من هذا، فقد أجمع العلماء على ذلك وليست من الغيبة المحرمة.

❍ **قال النووي** رحمه الله [2]: «اعْلَمْ أنَّ الغِيبَةَ تُبَاحُ لِغَرَضٍ صَحيحٍ شَرْعِيٍّ لا يُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَيْهِ إِلاَّ بِهَا، وَهُوَ سِتَّةُ أَسْبَابٍ» اهـ. ثم فصلها.

وقد ذكرت في هذه أبيات:

والذم ليس بغيبة في ستة	متظلم ومعرف ومحذر
ومجاهر فسقًا ومستفت ومن	ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

❍ **وقال النووي** رحمه الله [3]: «مِنْهَا: جَرْحُ المَجْرُوحينَ مِنَ الرُّوَاةِ والشُّهُودِ، وذلكَ جَائِزٌ بإجْمَاعِ المُسْلِمينَ، بَلْ وَاجِبٌ لِلْحَاجَةِ».

(1) «صحيح مسلم» (49).

(2) «رياض الصالحين» (ص/ 432).

(3) «رياض الصالحين» (ص/ 432).

وذكر من الأدلة[1]: «حديث عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنَّ رَجُلاً استأْذَن عَلى النبيّ ﷺ فقَالَ: «**ائذَنُوا لهُ، بِئسَ أخُو العشِيرَةِ**»؟ متفقٌ عَلَيْهِ[2]. احْتَجَّ بهِ البخاري في جَوازِ غيبةِ أهلِ الفسادِ وأهلِ الرِّيبِ.

وعنْهَا قَالَتْ: قَالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: «**مَا أَظُن فُلاناً وفُلاناً يعرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئاً**» رواه البخاريُّ. قَالَ الليثُ بنُ سعْدٍ أحدُ رُواةِ هَذَا الحَدِيثِ: هذَانِ الرَّجُلانِ كَانَا مِنَ المُنَافِقِين.

وعنْ فَاطِمةَ بنْتِ قَيْسٍ رضي الله عنها قَالَتْ: أَتيْتُ النبيَّ ﷺ، فقُلْتُ: إنَّ أَبَا الجَهْمِ ومُعاوِيةَ خَطباني؟ فَقَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أمَّا مُعَاوِيةُ، فَصُعْلُوكٌ لاَ مالَ لَهُ، وأمَّا أَبُو الجَهْمِ فَلاَ يضَعُ العَصا عنْ عاتِقِهِ**» متفقٌ عَلَيْهِ[3]. وفي روايةٍ لمسلمٍ: «**وأمَّا أبُو الجَهْمِ فضَرَّابٌ للنِّساءِ**» وَهُوَ تفسير لرواية: «**لا يَضَعُ العَصا عَنْ عاتِقِهِ**»، وقيل: معناه: كثيرُ الأسفارِ».

ولكن لا بد على من تمكن من العلم وكان له قبول بين الأنام واختاره الله لذلك المقام أن يتوسط كل الوسطية وأن يعتدل كل الاعتدال.

فلا يحكم على مبتدع أنه كافر،، أو ولي أنه نبي، أو نبي، أو ولي أنه إله،

([1]) «رياض الصالحين» (ص/ 433).

([2]) «صحيح البخاري» (6032)، و«صحيح مسلم» (2591).

([3]) وهِم النووي رحمه الله في قوله: «متفق عليه» فإنه من مفاريد مسلم (1480).

أو فاسق أنه كافر، فهذا كله من الغلو المذموم وصاحبه مبتدع مشؤوم.

وليحذر المتكلم أن يغلو أو يميل في هذا الباب فإنه باب خطير مع شرفه فعَنْ يَحْيَى بْنِ رَاشِدٍ، قَالَ: جَلَسْنَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَخَرَجَ إِلَيْنَا فَجَلَسَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء به أحدهما**»[2].

وعَنْ جُنْدَبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، حَدَّثَ «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»[3] أَوْ كَمَا قَالَ.

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «**أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بِرَجُلٍ وَهُوَ سَاجِدٌ فَوَطِئَ عَلَى رَقَبَتِهِ، فَقَالَ: أَتَطَؤُ عَلَى رَقَبَتِي وَأَنَا سَاجِدٌ، لَا وَاللَّهِ، لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ هَذَا أَبَدًا،**

---

(1) «سنن أبي داود» (3597)، وصححه الألباني.

(2) «صحيح البخاري» (6103)، «صحيح مسلم» (60).

(3) «صحيح مسلم» (2621).

قَالَ: فَقَالَ اللَّهُ: أَتَتَأَلَّى عَلَيَّ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ»[1].

فديننا الحنيف يأمرنا بالوسطية في الأحكام على الآخرين، ولا ينبغي للإنسان أن تأخذه عاطفة في ذلك فيحكم بغير ما حكم الله، ولا ينبغي للإنسان أن يأخذه بغضه لغيره أن يحكم بغير ما حكم الله.

❍ **قال الله** عز وجل في كتابه الكريم: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾**[2]..

فإن الله أمر بالقول الحق والقيام في الشهادة بالقسط، وأن نكون شهداء لله في أحكامنا، وذلك إنما يكون بالوسطية الحقّة وباتباع العدل والعدالة، فلا ينبغي للإنسان أن يحكم على من يبغضه أنه كذا وكذا دون مرتبته التي هو فيها، ولا يحكم لمن يحبه أنه كذا وكذا فوق منزلته التي أنزله الله عز وجل إياها.

والحق هو القول بالعدل، وعلى الإنسان أن يستعين بالله في ملازمة الصواب.

❍ **قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ**

([1]) «جامع معمر بن راشد» (20275).

([2]) (سورة النساء: 135).

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [1]، فبين سبحانه أن من أسباب ترك الوسطية والعدل في الآخرين هو ما يحمل بعض الناس من بغضه للآخرين أن يحكم عليهم بما ليس فيهم، وقوله: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ**﴾ أي يحملنَّكم، ﴿**شَنَآنُ قَوْمٍ**﴾ أي بغض قوم، ﴿**عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا**﴾ أي على أن لا تعدلوا فيهم.

وقوله: ﴿**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾أي اعدلوا فإن ذلك هو التقوى.

فالواجب على الإنسان أن يلازم الحق في أحكامه، ألا ترى هذا الرجل الذي ذكره النبي ﷺ أنه حكم على أخيه أن الله لا يغفر له، فقال الله: «**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**».

لما جانب الوسطية وغلا في حكمه على أخيه، غفر الله لأخيه، وأحبط عمله وهو يظن أنه أفضل من أخيه عملاً، وكان أكثر عملاً من أخيه، ولكن لبعده عن الصواب والحق في حكمه عليه كان سببًا في إحباط عمله – عياذًا بالله –.

❋التوسط عند المصائب

الواجب على المؤمن أن يصبر ويحتسب عند المصيبة والناس في هذا الباب بين القاسي والقانط.

❍ **قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ**

([1]) (سورة المائدة: 8).

وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1].

وقد بين نبينا ﷺ تمام الواسطية والاعتدال عند المصيبة فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «**يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**» ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»[2].

فمن الناس من لا يتأثر عند فقد ولده أو أحد أقربائه ولا يحزن، كالصوفية الذين يعتقدون أن البكاء ينافي التوكل، ومنهم من يجزع ويقنط ويبكي أكثر من المشروع.وسيأتي بيان ذلك قريباً. والله المستعان.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الباب الخامس

([1]) (سورة البقرة: 155، 156).

([2]) «صحيح البخاري» (1303)، و«صحيح مسلم» (2315).

❋ العمل بالسنة هو التوسط في الأعمال

ديننا الحنيف أمرنا بأن نتوسط في أعمالنا حتى تقبل، ولن تقبل أعمالنا حتى تكون خالصة لوجه الله وعلى سنة رسول الله ﷺ بين الإفراط والتفريط في جميع أنواع العبادات والمعاملات.

والمراد بالوسطية هو موافقة السنة والحق،متابعة رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فالذي يخالف السنة خالف الوسطية وإن زعم أنه على وسطية مزعومة مبتدعة، فليست الوسطية إلا في اتباع السنة.

❍ **قال الله تعالى** في كتابه الكريم: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [1].

❍ **وقال الله تعالى** في كتابه الكريم: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [2].

فاعلم أن الوسطية الحق هي ما جاء بها نبينا ﷺ، وما ثبت عنه من الأقوال

([1]) (سورة آل عمران: 31).

([2]) (سورة الأعراف: 157).

والأفعال، ومن خالف ذلك فقد ضل.

ولذلك أمرنا الله عز وجل أن نسلك سبيله وطاعته وأخبرنا أن ذلك هو الهداية، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿**وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [2]، فالهداية في اتباعه.

والهداية لا تكون إلا بالصراط المستقيم، الصراط الذي بين صراط المغضوب عليهم وبين صراط النصارى. فهو الصراط المستقيم الذي يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه لنا ديناً ومنهجاً في حياتنا وعباداتنا ومعاملاتنا، فهنيئا لمن وُفِّق للسنة والعمل بالسنّة وإن سمّاه الناس متشدداً غالياً.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: **الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**»[3].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**» متفق عليه[4].

وسحقا لمن خالف السنّة، وتبّا لمن خالف هدي رسوله ﷺ وإن سمّاه الناس

(1) (سورة النور: 54).

(2) (سورة الأعراف: 158).

(3) «مسند الإمام أحمد» (2107)، و«صحيح الأدب المفرد» (ص/ 122) برقم (220/287).

(4) «صحيح البخاري» (6125)، و«صحيح مسلم» (1734).

متوسطًا وأنه على وسطية مزعومة، فما حال هؤلاء إلا كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا**﴾ [1]، فالله أمرنا بأخذ الدين من جميع الجوانب. قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ [2]، فليس التوسط أنك تأخذ بعضا من الدين وتترك بعضه.

ورجح شيخ الإسلام[3]: أن الصحيح في معنى الآية، أي ادخلوا في الدين من جميع جوانبه»،.

فمن كلف نفسه عبادة لم يشرعها الله فلن تقبل منه فعن قيس بن أبي حازم، قال: دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب، فرآها لا تكلم، فقال: «**ما لها لا تكلم؟**» قالوا: حجت مصمتة، قال لها: «تكلمي، فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية»، فتكلمت، فقالت: من أنت؟ قال: «**امرؤ من المهاجرين**»، قالت: أي المهاجرين؟ قال: «من قريش»، قالت: من أي قريش أنت؟ قال: «إنك لسئول، أنا أبو بكر»، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: «بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم»، قالت: وما الأئمة؟ قال: «أما كان لقومك رءوس وأشراف، يأمرونهم

(1) (سورة النساء: 150، 151).

(2) (سورة البقرة: 208).

(3) «مجموع الفتاوى» (7/ 266)، منقول بتصرّف.

فيطيعونهم؟» قالت: بلى، قال: «فهم أولئك على الناس» [1].

ومن شق على نفسه بعبادة فليس من البر لأن الله قد يسرها، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم، قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه، فقال: «**ما هذا؟**»، فقالوا: صائم، فقال: «**ليس من البر الصوم في السفر**»[2].

وعن ابن عباس، قال: بينا النبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي ﷺ: «**مره فليتكلم وليستظل وليقعد، وليتم صومه**» [3].

وقد بين نبينا ﷺ أن نلزم القصد والسنة فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن ينجي أحدا منكم عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا**» [4].

وعَنْ بُرَيْدَةَ، قَالَ: خَرَجْتُ يَوْمًا أَمْشِي فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَظَنَنْتُهُ يُرِيدُ

(1) «صحيح البخاري» (3834).

(2) «صحيح البخاري» (1946).

(3) «صحيح البخاري» (6704) وصحيح مسلم (1115).

(4) «صحيح البخاري» (6463) «صحيح مسلم»(2816).

حَاجَةً فَعَارَضْتُهُ حَتَّى رَآنِي فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا فَإِذَا رَجُلٌ بَيْنَ أَيْدِينَا يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تُرَاهُ مُرَائِيًا؟**» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَأَرْسَلَ يَدِي فَقَالَ: «**عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ**» (1).

❋ التوسط في العبادة

لما كان التنطع والتشدد في العبادة من الغلو، والغلو من صفات أهل الكتاب، ومن أسباب الهلاك، نهى عنه نبينا ﷺ وشدد في ذلك كما مر معنا في أبواب سبقت.

ففي حديث أبي هريرة مرفوعا: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»(2)، و«**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**»(3). رواه البخاري وغيره.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا

---

(1) «مسند أبي داود الطيالسي» (847).

(2) «صحيح البخاري» (39).

(3) «صحيح البخاري» (1/ 16) (كتاب الإيمان/ باب الدين يسر).

فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[1]، فالغلوّ في العبادة مذموم صاحبه.

❍ **قال ابن بطال**[2]: «الغلو في الدين مذموم والتشديد فيه غير محمود لقوله ﷺ: «**إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين**». فإذا أوجب الإنسان على نفسه شيئاً شاقًا عليه من العبادة فادحًا له ثم لم يقدر على التمادي فيه كان ذلك إثمًا، ولذلك نهى النبي ﷺ أصحابه عن الترهب. قال أبو قلابة: «بلغ النبي ﷺ أن قومًا حرموا الطيب واللحم، منهم عثمان بن مظعون وابن مسعود وأرادوا أن يختصوا، فقام النبي ﷺ على المنبر فأوعد في ذلك وعيدًا شديدًا، ثم قال: **إني لم أبعث بالرهبانية، وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة، وإن أهل الكتاب إنَّما هلكوا بالتشديد، وشدَّدوا فشدد عليهم**، ثم قال: **اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت واستقيموا يستقم لكم**»».

عَن أبي هريرة، قال النبي ﷺ: «**إنّ لكلِّ شَيْءٍ شِرَّةً ولكلِ شِرَّةٍ فَتْرَةً فإنْ**

---

(1) «صحيح البخاري» (5063)، و«صحيح مسلم» (1401).

(2) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (405/8).

كان صاحبُها سَدَّدَ وقارَبَ فارْجُوهُ وإنْ أُشِيرَ إلَيْهِ بالأصابعِ فَلا تَعُدُّوه»[1].

❍ **قال المناوي**[2]: «قال القاضي: الشرة الحرص على الشيء والنشاط فيه وصاحبها فاعل فعل دل عليه ما بعده... (ولكل شرة فترة) أي وهنا وضعفا وسكونا يعني أن العابد يبالغ في العبادة أو لا وكل مبالغ تسكن حدته وتفتر مبالغته بعد حين. وقال القاضي: المعنى أن من اقتصد في الأمور سلك الطريق المستقيم واجتنب جانبي الإفراط الشرة والتفريط الفترة فارجوه ولا تلتفتوا إلى شهرته فيما بين الناس واعتقادهم فيه (فإن صاحبها سدد وقارب) أي إن سدد صاحب الشرة أي جعل عمله متوسطًا أي دنا من التوسط وسلك الطريق الأقوم وتجنب طريقي إفراط الشرة وتفريط الفترة (فارجوه) يعني ارجوا الصلاح والخير منه فإنه يمكنه الدوام على الوسط وأحب الأعمال إلى الله أدومها (وإن أشير إليه بالأصابع) أي اجتهد وبالغ في العمل ليصير مشهورا بالعبادة والزهد وصار مشهورا مشارا إليه بالعبادة (فلا تعدوه) أي لا تعتدوا به ولا تحسبوه من الصالحين لكونه مرائيا ذكره القاضي. وقال الطيبي: معناه إن لكل شيء من الأعمال الظاهرة والأخلاق الباطنة طرفين إفراطا وتفريطا فالمحمود القصد بينهما فإن رأيت أحدا يسلك سبيل القصد فارجوه أن يكون من الفائزين فلا تقطعوا له بأنه من الفائزين فإن الله هو الذي يتولى السرائر وإن رأيته يسلك طريق الإفراط والغلو حتى يشار إليه بالأصابع فلا تبتوا القول فيه بأنه من

(1) «سنن الترمذي» (2453)، وانظر: «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (2151).

(2) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (512/2).

الخائبين فإن الله هو الذي يطلع على الضمائر»؛ اهـ.

❍ **فالتوسط في العبادة يكون بأمور:**

- **أولا**: أن لا نكلف أنفسنا ما لا طاقة لنا به من الأعمال.

- **ثانيا**: أن نعلم أن كل ما أمر الله عز وجل به من الواجبات، أنه ليس فيه تشدد ولا كلفة ولا تنطع، وأنه كله مما يستطيعه على العباد، وما كان فيه كلفة ومشقة فقد أمر الله عز وجل فيه باليسر، كالحامل رخص الله تعالى لها أن تُفطر في رمضان وتقضي، والمرضع كذلك، والكبير في السن الذي لا يستطيع الصيام سقط عنه هذا الفرض على الصحيح، والمسافر إذا أراد أن يفطر وعليه الصوم في عدة من أيام أخر، وكذلك من شق عليه القيام في الصلاة لمرض أو كبر فليصل جالساً.

وكل ما أمر به الله عز وجل ففيه يسر وليس فيه مشقة، ومن شق عليه شيء من ذلك فإن الله تعالى يسّر له ورخّص له.

- **ثالثا**: أن نعلم أنّ من شقّ على نفسه وتشدد في العبادة لابد أن ينقطع في الطريق، وأن يترك العبادة، لأنه خالف السنة في العبادة، فمن صام كل يوم مثلا فقد خالف السنة، وقد قال النبي ﷺ: «**لا صام ولا أفطر**»[1].

ومن قام كل الليل، قد خالف السنة، ولابد أن ينقطع، وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني**

([1]) «صحيح مسلم» (1162).

أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

فإياك يا عبد الله أن تكلف نفسك ما لا تطيق من الأعمال والعبادات فتنقطع، أو يصل بك الحد إلى أن تكره العبادة وتترك السنة، بل وتترك الهداية بسبب تركك للوسطية وبعدك عن الوسطية في العبادة.

- **رابعا**: أن الوسطية لا تكمل إلا بموافقة السنة في العبادة، فمن صلى على السنة، وقام الليل على السنة، وصام على السنة، وقرأ القرآن على السنة، فإنه يعان بإذن الله على عبادته. ومن خالف السنة فإنه قد يشق على نفسه بالبدع.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾[2]، وقال سبحانه عن النصارى: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ**﴾ [3].

فمن كلّف نفسه ما لم يشرعه الله، وما لم يأذن الله به، فهو مبتدع، ولو زين الشيطان له عمله فأكثر منه وهو على غير سنة فلن يقبل الله عز وجل هذا العمل، ويكون مخالفا للوسطية التي يرضاها الله تعالى ويأذن بها ويوفق أهلها.

---

(1) «صحيح البخاري» (5063).

(2) (سورة الشورى: 21).

(3) (سورة الحديد: 27).

قَالَ الْحَسَنُ: «عَمَلٌ قَلِيلٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ فِي بِدْعَةٍ»[1]، فهذه هي الوسطية لو كانوا يعقلون.

مسائل في الطهارة والصلاة

✵ الإسلام دين النظافة

سماحة الإسلام وسط بين الإفراط والتشدد، وبين التساهل والتفريط خلافًا لأهل الكتاب اليهود تكلفوا والنصارى تساهلوا، وإليك باختصار بيان بعض ذلك في الطهارة من الكتاب والسنة وأقوال علمائنا.

- **قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾**[2].
- **وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾** [3].

عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ عن النبي ﷺ: **«الْفِطْرَةِ خَمْسٌ أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ الْخِتَان وَالِاسْتِحْدَاد وَنَتْف الْإِبْطِ وَتَقْلِيم الْأَظْفَارِ وَقَصّ الشَّارِبِ»**[4].

---

(1) «جامع بيان العلم وفضله» (2367)، ولم يثبت رفعه؛ وعَنْ مَطَرٍ الوراق في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (3/ 76).

(2) (سورة البقرة: 22).

(3) (سورة المائدة: 6).

(4) «صحيح البخاري» (5889)، «صحيح مسلم» (257).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ أَنَسٌ وقّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَنَتْفِ الْإِبِطِ وَحَلْقِ الْعَانَةِ أَنْ لَا نَتْرك أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً(1).

وعَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قِيلَ لَه: قَدْ عَلَّمَكمْ نَبِيّكمْ ﷺ كلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ قَالَ فَقَالَ أَجَلْ لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ(2).

وعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسول الله ﷺ: «**إِذَا وَلَغَ الْكَلْب فِي إِنَاءِ أَحَدِكمْ فَلْيرِقْه ثمَّ لِيَغْسِلْه سَبْعَ مِرَارٍ**»(3).

وعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قَالَ: «**اتَّقوا اللَّعَّانَيْنِ**» قَالوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسولَ الله قَالَ: «**الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ**»(4).

❍ **قال ابن القيم**(5): «وكذلك هم وسط – أي أهل الإسلام – في المطاعم والمشارب بين اليهود الذين حرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم وبين النصارى الذين يستحلون الخبائث فأحل الله لهذه الأمة الوسط الطيبات وحرم عليهم الخبائث وكذلك لا تجد أهل الحق دائما إلا وسطًا بين طرفي الباطل».

---

(1) «صحيح مسلم» (258).

(2) «صحيح مسلم» (262).

(3) «صحيح مسلم» (279).

(4) «صحيح مسلم» (269).

(5) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (243/2).

❍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله[1]: «كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله من جميع الأجناس هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق قبلهم وجعلهم وسطًا عدلًا خيارًا فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته وفي الإيمان برسله وكتبه وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام.

فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث لم يحرم عليهم شيئاً من الطيبات كما حرم على اليهود ولم يحل لهم شيئاً من الخبائث كما استحلتها النصارى ولم يضيق عليهم باب الطهارة والنجاسة كما ضيق على اليهود ولم يرفع عنهم طهارة الحدث والخبث كما رفعته النصارى فلا يوجبون الطهارة من الجنابة ولا الوضوء للصلاة ولا اجتناب النجاسة في الصلاة بل يعد كثير من عبادهم مباشرة النجاسات من أنواع القرب والطاعات حتى يقال في فضائل الراهب له أربعون سنة ما مس الماء ولهذا تركوا الختان».

❋ الإسلام وسط في الحيض بين غلو اليهود وتساهل النصارى

❍ **قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ**

([1]) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (1/ 69).

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا أَمَرَهَا رَسول الله ﷺ فَتَأْتَزِر بِإِزَارٍ ثمَّ يبَاشِرهَا[2].

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ لِي رَسول الله ﷺ: «**نَاوِلِينِي الْخمْرَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ**»، قَالَتْ فَقلْت إِنِّي حَائِضٌ فَقَالَ: «**إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْستْ فِي يَدِكِ**»[3].

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْيَهودَ كَانوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَة فِيهِمْ لَمْ يؤَاكِلوهَا وَلَمْ يجَامِعوهنَّ فِي الْبيوتِ فَسَأَلَ أَصْحَاب النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾** إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَقَالَ رَسول الله ﷺ: «**اصْنَعوا كلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ**» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهودَ فَقَالوا مَا يريد هَذَا الرَّجل أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شيئاً إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ فَجَاءَ أسَيْد بْن حضَيْرٍ وَعَبَّاد بْن بِشْرٍ فَقَالَا يَا رَسولَ الله إِنَّ الْيَهودَ تَقول كَذَا وَكَذَا فَلَا نجَامِعهنَّ فَتَغَيَّرَ وَجْه رَسولِ الله ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهمَا فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا[4].

([1]) (سورة البقرة: 22).

([2]) «صحيح مسلم» (293).

([3]) «صحيح مسلم» (298).

([4]) «صحيح مسلم» (302).

❍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله[1]: «واليهود إذا حاضت عندهم المرأة لا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يقعدون معها في بيت واحد والنصارى لا يحرمون وطء الحائض وكان اليهود لا يرون إزالة النجاسة بل إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه بالمقراض والنصارى ليس عندهم شيء نجس يحرم أكله أو تحرم الصلاة معه».

❍**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله[2]:«حتى أن الحائض لا يؤاكلونها ولا يساكنونها ولا يجامعونها وكانوا لا يرون إزالة النجاسة من الثوب بل يقرض موضعها ويستخرجون الدم من العروق إلى غير ذلك من الآصار والأغلال التي كانت عليهم.

وأما النصارى ففي مقابلتهم تجد عامتهم لا يرون شيئاً حراما ولا نجسا إلا ما كرهه الإنسان بطبعه ويصلون مع الجنابة والحدث وحمل النجاسات ويأكلون الخبائث كالدم والميتة ولحم الخنزير إلا من كره منهم شيئاً فتركه والمسلمون وسط كما قال تعالى فيهم: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [3] أي عدلًا خيارًا»؛ اهـ.

وهكذا حث الإسلام على التنزه من الدم فعَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى

(1) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (1/ 70).

(2) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (2/ 136).

(3) (سورة البقرة: 143).

النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ إِحْدَانَا يصِيب ثَوْبَهَا مِنْ دَمِ الْحَيْضَةِ كَيْفَ تَصْنَع بِهِ قَالَ: «**تَحتّه ثمَّ تَقْرصه بِالْمَاءِ ثمَّ تَنْضَحه ثمَّ تصَلِّي فِيهِ**»[1].

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غسْلِ الْمَحِيضِ فَقَالَ: «**تَأْخذ إِحْدَاكنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطَهَّر فَتحْسِن الطّهورَ ثمَّ تَصبّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلكه دَلْكًا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلغَ شؤونَ رَأْسِهَا ثمَّ تَصبّ عَلَيْهَا الْمَاءَ ثمَّ تَأْخذ فِرْصَةً ممَسَّكَةً فَتطَهَّر بِهَا**» فَقَالَتْ أَسْمَاء وَكَيْفَ تَطَهَّر بِهَا فَقَالَ: «**سبْحَانَ الله تَطَهَّرِينَ بِهَا**» فَقَالَتْ عَائِشَة كَأَنَّهَا تخْفِي ذَلِكَ تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ وَسَأَلَتْه عَنْ غسْلِ الْجَنَابَةِ فَقَالَ: «**تَأْخذ مَاءً فَتطَهَّر فَتحْسِن الطّهورَ أَوْ تبْلِغ الطّهورَ ثمَّ تَصبّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلكه حَتَّى تَبْلغَ شؤونَ رَأْسِهَا ثمَّ تفِيض عَلَيْهَا الْمَاءَ**» فَقَالَتْ عَائِشَة نِعْمَ النِّسَاء نِسَاء الْأَنْصَارِ لَمْ يَكنْ يَمْنَعهنَّ الْحَيَاء أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ[2].

فاليهود يشددون في هذا الباب والنصارى يتساهلون، والإسلام وسط بين الإفراط والتفريط فالحمد لله على نعمه والشكر له على منته.

❃ التوسط في الصلاة

التوسط بين شيئين فاضلين ليس المقصود من بحثنا، إنما المراد الوسطية الخيار، العادلة، التي اختارها الله عز وجل لهذه الأمة.

---

(1) «صحيح البخاري» (227) «صحيح مسلم» (291).

(2) «صحيح مسلم» (332).

والوسط بين شيئين فاضلين أو أحدهما فاضل والآخر مفضول،فالأول كصلاة العصر والثاني كأن يجتمع للعبد طلب العلم والجهاد وبر الوالدين،فيقدم بر الوالدين وطلب العلم أفضل والجهاد يلي في الفضل، قال الله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾[1].

وجاء في حديث جابر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا**»[2].

وصلاة العصر تعتبر وسطى وليس المعنى أنها بين شيئين مذمومين، إنما هي وسطى في الصلوات التي كلها مما يحب الله عز وجل ويرضى.

والصلاة تعتبر هي الركن الأعظم من أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي صلة بين العبد وربه، ولكن لمّا كثُر التفريط فيها أو الغلوّ فيها كان البيان لازماً،لأن الصلاة التي أمر الله بها هي ما أقيمت على الوسطية وكانت على ما أمر الله عز وجل بها، ورسوله ﷺ.

وقد بيّن النبي ﷺ لأمتّه كيف يتوسطون في الصلاة، ويعبدون الله عز وجل على علم وبصيرة، الوسطية هي ما بيّنها نبينا ﷺ.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «**ما هذا الحبل؟**» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت،

([1]) (سورة البقرة: 238).

([2]) «صحيح البخاري» (2931)، و«صحيح مسلم» (627).

فقال النبي ﷺ: «**لا حلوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد**»[1].

وعن طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ، نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإسلام، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَاللَّيْلَةِ**» فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: «**لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ**»، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: «**لَا، إِلَّا أَنْ تطَّوَّعَ**»، وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «**لَا، إِلَّا أَنْ تطَّوَّعَ**»، قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»[2].

وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[3].

وعن جَابِر يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»[4].

فالصلاة هي الركن الأعظم من أركان الإسلام فيجب أداؤها كما أمر الله

([1]) «صحيح البخاري» (1150).

([2]) «صحيح مسلم» (11).

([3]) «سنن الترمذي» (2621).

([4]) «صحيح مسلم» (82).

ولكن بلا إفراط ولا تفريط.

فالإفراط فيها كأن يزيد على الثابت عن نبينا ﷺ كصلاة الليل عشرين ركعة. والتفريط كأن يصلي الفرائض فقط أو يتساهل في النوافل أو يقصر في الواجبات.

ومن التوسط والاعتدال أن لا يطيل الصلاة زيادة على السنة أو ينقرها نقر الغراب.

وكذلك ينبغي على الإنسان أن يكون متوسطًا في صلاته كلّها، فالناظر إلى أفعال الصلاة يجد أن الناس فيها بين مُفْرِط ومفَرِّط، وبين غالي وجافي، والقليل من الناس من يعمل بالوسطية التي سنّها رسول الله ﷺ لنا في الصلاة.

ففي رفع اليدين في تكبيرة الإحرام، الوسطية أن يرفع يديه حيال أذنيه أو حذو منكبيه كما ورد بذلك الأحاديث، ولا يمسّ بيديه أذنيه كما يعمل بعض الناس، ولا يترك رفع اليدين كما يعمل كثير من الناس، فالسنّة هي الوسطية، أن يرفع يديه حذو منكبيه أو حيال أذنيه، لا يمسّ أذنيه ولا كذلك يرفعها إلى صدره فقط كما يفعل بعض المستعجلين.

ثم الوسطية كذلك في ضم اليدين على الصدر، أن يضمها اليمنى على اليسرى كما ورد في الأحاديث، فلا يجعلها تحت عنقه كما يعمل بعض الناس ممن يتظاهر بالخشوع، ولا يجعلها تحت سرتّه كما يعمل ذلك بعض الناس ممّن يعتريه الكسل، فالسنة أن يضع يديه اليمنى على اليسرى بأن يجعل يده اليمنى على ذراعه اليسرى، ويكون ذلك بوسطية تامة.

وفي مسألة التكبير، يكون تكبيره جزما كما قال إبراهيم النخعي وغيره من السلف، فلا يمطّ تكبيره ولا يرفع صوته، ولا يختصره، ولا يخفضه حتى لا يسمعه بعض الناس، إذا كان إماماً.

والمأموم عليه أن يتوسط في تكبيره، فلا يسكت ولا يرفع صوته حتى يشغل المصلين كما يفعله بعض عوام المسلمين فيكبِّرون بعد إمامهم تكبيرة واحدة حتى يرتجّ من المسجد، وهذا ليس من السنة.

وفي مسألة التطويل في القراءة، على الإنسان أن يتوسط في ذلك، فلا يختصر قراءته اختصارا مُمِلّا ويقرأ دائما بقصار السور، ولا يُطوِّل على الناس في جميع صلاته، وعليه أن يتوسّط في ذلك بما جاء في السنة.

والوسطية في القراءة ما كان عليه النبي ﷺ فكان يطول في صلاة الفجر في الأولى ويقصِّر في الثانية، ويطول بهم في صلاة الظهر، فيُطوّل في الأوليين ويقصّر في الأخريين، وهكذا في العصر تكون بالنصف مما في صلاة الظهر كما ورد بذلك حديث أبي سعيد، وأحيانا كان عليه الصلاة والسلام يطول في صلاة المغرب وأحيانا كان يُقصِّر فيها وهو الأغلب. وأما صلاة العشاء فقد أمر بقراءة صغار المفصّل.

وقد قال النبي ﷺ: «**إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن في الناس الضعيف، والسقيم وذا الحاجة**»[1]، وإذا صلى لنفسه فليطوِّل ما شاء، ولكن على الإنسان أن يتوسط في ذلك بما عمل به نبينا ﷺ.

([1]) «صحيح مسلم» (467).

فقد صلى بهم بسورة الأعراف في صلاة المغرب، وصلى بهم بسورة الطور. وقد صلى في صلاة العشاء بالتين والزيتون، وأمر معاذاً بالصلاة بالشمس وضحاها ونحوها.

فعلى الإمام أن يتوسط في قراءته فلا يُطوِّل تطويلا مُمِلّا، ولا يُقصِّر تقصيرا مُخلّا.

وفي الركوع، عليه أن يتوسط في ركوعه فلا يُدني رأسه إلى أسفل الأرض، ولا يرفع ظهره حتى يكون رأسه مرفوعاً، وعليه أن يتوسط كما كان النبي ﷺ يركع قال أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ: أَنَا كُنْتُ أَحْفَظَكُمْ لِصَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «رَأَيْتُهُ إِذَا كَبَّرَ جَعَلَ يَدَيْهِ حِذَاءَ مَنْكِبَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ أَمْكَنَ يَدَيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ هَصَرَ ظَهْرَهُ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ اسْتَوَى حَتَّى يَعُودَ كُلُّ فَقَارٍ مَكَانَهُ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَ يَدَيْهِ غَيْرَ مُفْتَرِشٍ وَلاَ قَابِضِهِمَا، وَاسْتَقْبَلَ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ القِبْلَةَ، فَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ جَلَسَ عَلَى رِجْلِهِ اليُسْرَى، وَنَصَبَ اليُمْنَى، وَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ قَدَّمَ رِجْلَهُ اليُسْرَى، وَنَصَبَ الأُخْرَى وَقَعَدَ عَلَى مَقْعَدَتِهِ»[1].

وفي السجود، إذا سجد عليه أن يعتدل، فلا يتجافى إذا كان بين الناس في صلاة جماعة، ولا كذلك يجعل يديه بين جنبيه إذا صلّى منفردا، وعليه أن يتوسّط في صلاته حتى ينظر الله عز وجل إليه وهو يصلّي صلاة حسنة كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ، وَلاَ يَبْسُطْ**

(1) "صحيح البخاري (828).

أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الكَلْبِ» [1].

فالله عز وجل يقول: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾[2].

وعليه أن لا يُطوّل في سجوده أكثر من ركوعه، ولا ركوعه أكثر من سجوده كما يعمل بعض الناس، فالسنة ما كان عليه النبي ﷺ، كان يجعل ركوعه فسجوده فاعتداله فقيامه قريبا من السواء كما هو مبين في كتب الفقه بأدلته ولولا أن يطول بنا المقام لسقناها مفصلة.

❋ الوسطية في قيام الليل

لابدّ من الوسطية في كل جوانب الحياة عقيدة وعبادة ومعاملة، وإلا فسيقع الإنسان إن تخلّف عن الوسطية فيما لا يُحمَد عقباه من الفتور والكسل أو الغلوّ والإفراط.

وقيام الليل يعتبر من أفضل وأجلّ العبادات، وقد أمر الله عز وجل نبيه أن يقوم من الليل فقال: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ**﴾ [3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [4]، وذكر عباد الرحمن أنّ من صفاتهم أنهم

([1]) "صحيح البخاري (535) صحيح مسلم (493)".

([2]) (سورة يونس: 14).

([3]) (سورة الإسراء: 79).

([4]) (سورة المزمل: 2).

يقومون الليل، فقال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [1]. ولكن ذكر سبحانه وتعالى أنهم ينالون قسطهم من النوم فقال سبحانه: ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾ [2].

فلذلك كانت الوسطية في قيام الليل أن الإنسان يقوم من الليل وينام، وهذه سنة النبي ﷺ، ويقوم بقدر طاقته وجهده.

ولذلك صحّ في حديث النبي ﷺ أنه قال: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون**»، أي أحبّوا واجتهدوا في العمل واستمروا على العمل الذي تطيقونه، «**فإن الله لا يمل، حتى تملوا**»[3].

فمن الجفاء والتفريط أن الإنسان لا يقوم الليل، ولا يجعل له قسطاً مع ربه عز وجل في ليله يناجي فيه ربه ويعبده في وقت غفلة الناس ونومهم وسهوهم، ويكون ذلك بلا إفراط ولا تفريط.

وليست الوسطية أن الإنسان يقبل على العبادة والطاعة ويترك حقّ نفسه وحظّ نفسه من الراحة، فالنفوس مجبولة على الراحة وحبّ الشهوات، ولكن على الإنسان أن يعطيها من الراحة ما أحل الله لها، ويمنعها من الشهوات ما حرم الله عز وجل عليها، وهذه هي الوسطية فلا يعطي نفسه حظها من شهوتها

([1]) (سورة الفرقان: 64).

([2]) (سورة الذاريات: 17).

([3]) «سنن أبي داود» (1368)، وصححه الألباني.

حتى ينام الليل كله، ولا يغلو في هذه العبادة فيقوم الليل كله حتى ينقطع عن العمل الصالح يوما ما.

وإليك بعض الأدلة التي تبين لنا وسطية نبينا ﷺ في هذه العبادة وغيرها، وأنه حثّ على إعطاء النفس حقّها، وإعطاء الأهل حقّهم، وهكذا قال عليه الصلاة والسلام: «**إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه**»[1].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: بلغ النبي ﷺ، أني أسرد الصوم، وأصلي الليل، فإما أرسل إلي وإما لقيته، فقال: «**ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر، وتصلي؟ فصم وأفطر، وقم ونم، فإن لعينك عليك حظا، وإن لنفسك وأهلك عليك حظا**»، قال: إني لأقوى لذلك، قال: «**فصم صيام داود** عليه السلام» قال: وكيف؟ قال: «**كان يصوم يوما ويفطر يوما، ولا يفر إذا لاقى**»، قال: من لي بهذه يا نبي الله؟ قال النبي ﷺ: «**لا صام من صام الأبد**» مرتين[2] فَكَانَ عَبْدُ الله يَصُومُ ذَلِكَ الصِّيَامَ حَتَّى أَدْرَكَهُ السِّنُّ وَالضَّعْفُ، كَانَ يَقُولُ: لَأَنْ أَكُونَ قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ الله ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي[3].

ولفظُ مسلمٍ: «**ولا أفضل مِنْ ذَلكَ**» ! فهذا يدل أَنَّ لا صَيام أكثر مِنْ صوم

(1) «صحيح البخاري» (6139).

(2) «صحيح البخاري» (1977) و«صحيح مسلم» (186).

(3) «مسند الإمام أحمد بن حنبل» (6878).

داود، فليس العبرةُ بَكثرةِ العمل بلا اتباع، وَإِنَّمَا بالعمل الموافق للسنَّة والاتباع.

وما أحسنَ قولَ ابن مسعود: «اقْتِصَادٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وقد جاء ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ فسألوا أزواج النبي ﷺ عن قيامه الليل، عن عمله في السر. فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. فأنكر النبي ﷺ عليهم ذلك، وقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[1].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ: «**مَنْ هَذِهِ؟**» قَالَتْ: فُلَانَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا قَالَ: «**مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَالله لَا يَمَلُّ الله حَتَّى تَمَلُّوا، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ**». متفق عليه[2].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ: «**مَا هَذَا الحَبْلُ؟**» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ**

---

(1) «صحيح البخاري» (5063).

(2) «صحيح البخاري» (43)، و«صحيح مسلم» (785).

فَلْيَقْعُدْ». متفق عليه[1].

❋ التوسط في الدعاء

الموفق من يدعو الله بخير الدنيا والآخرة وخاصة الأدعية النبوية الجامعة، ومن الناس من لا يسأل ربه إلا المغفرة و الرحمة، وكما ذكر الله تعالى أن من الناس من لا يسأل إلا الدنيا، والخيار أن تسأل الله خير الدنيا والآخرة.

❍ قال تعالى: ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[2].

❋ التوسط في صوم السفر

وعن أبي قتادة: رجل أتى النبي ﷺ، فقال: كيف تصوم؟ فغضب رسول الله ﷺ، فلما رأى عمر رضي الله عنه، غضبه، قال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فجعل عمر رضي الله عنه يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه، فقال عمر: يا رسول الله، كيف بمن يصوم الدهر كله؟ قال: «**لا صام ولا أفطر**» – أو قال – «**لم يصم ولم يفطر**»

([1]) «صحيح البخاري» (1150)، و«صحيح مسلم» (784).

([2]) (سورة البقرة: 200 – 202).

قال: كيف من يصوم يومين ويفطر يوما؟ قال: «**ويطيق ذلك أحد؟**» قال: كيف من يصوم يوما ويفطر يوما؟ قال: «**ذاك صوم داود** عليه السلام» قال: كيف من يصوم يوما ويفطر يومين؟ قال: «**وددت أني طوقت ذلك**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله**»(1).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم، قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه، فقال: «**ما هذا؟**»، فقالوا: صائم، فقال: «**ليس من البر الصوم في السفر**»(2).

وعَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ، «**أَنَّ نَاسًا تَمَارَوْا عِنْدَهَا يَوْمَ عَرَفَةَ، فِي صِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ صَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِصَائِمٍ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ بِقَدَحِ لَبَنٍ، وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى بَعِيرِهِ بِعَرَفَةَ، فَشَرِبَهُ**»(3).

❍ **فعُلِم مما مضى من الأدلة أن الوسطية في الصوم في السفر:**

- **أولا**: أن الإنسان يجب عليه أن يعتقد أن الله تعالى أحلّ ورخّص في

(1) «صحيح مسلم» (1162).

(2) «صحيح البخاري» (1946) و«صحيح مسلم» (1115).

(3)«صحيح البخاري» (1661). و «صحيح مسلم» (1123)

الفطر في السفر.

- **ثانيا**: أن من كان يستوي عنده الصوم والإفطار في السفر، اختلف أهل العلم فيه:

فمنهم من قال: يُستحبّ له الصوم. ومنهم من قال: يُستحبّ له الفطر عملاً بالرخصة. والصحيح - والله أعلم -: أنه إن كان يعلم أنه لا يشغل بعد رمضان عن القضاء فالأفضل له الفطر، وإن كان يعلم أنه ربما شُغل عن القضاء لأعمال لا يستطيع معها الصوم، فيصوم مع الناس فذلك أيسر له.

- **ثالثا**: أن الإنسان إذا كان يشقّ عليه الصوم في السفر، فالوسطية أنه يُفطِر ويقضي عدة من أيام أخر جمعاً بين الأحاديث.

- **رابعا**: أنّ من كان يرى من الناس من يعتقد أنه لا يجوز الصوم في السفر، فلا بأس أن يفطر تعليما لهم وإظهارا للسنة حتى لو كان لا يشقّ عليه الصوم، فيُفطر لتعليمهم، وقد عمل بهذا بعض السلف، والله أعلم.

❋ التوسط في الصدقة والنفقة

الصدقة مما أمر الله عز وجل به وحثنا عليه، ووصف أهل الإيمان والتقوى بها، وهي دليل على حب الخير والرغبة في ما عند الله.

ولكن الناس في الصدقة بين إفراط وتفريط وبين غلوّ وجفاء، فمن الناس من ينفق ماله كله ويترك أولاده بلا نفقة، وهذا وإن كان كالمعدوم في زماننا ولكنه يذكر من باب المقارنة.

ومنهم من لا يتصدق لا بقليل ولا بكثير، وقد رزقه الله سبحانه وتعالى من

المال ما يستطيع أن يتصدق به. وقد كان الصحابة يحاملون على ظهورهم ويتصدقوا، ليس معهم شيء، ولكنهم يذهبون ليعملوا ويحاملوا على ظهورهم ليكسبوا، لا يريدون بذلك إلا النفقة والصدقة لوجه الله.

فالحق هو الوسط، وأن الإنسان يتصدق على من رآه مسكينا وفقيرا، حتى لو كان هو محتاج لتلك النفقة.

❍ **وإليك بعض الأدلة في بيان الوسطية في باب النفقة والصدقة:**

❍ **قال الله تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**[1].

❍ **قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾** [2]، وعليه أن لا يترك أهله وأولاده بلا نفقة، فقد قال النبي ﷺ: «**كفى بالمرء إثما أن يحبس، عمن يملك قوته**»[3].

فهذه الشريعة السمحاء أعطت كل ذي حق حقه، فأعطت الزوجة حقها، والولد حقه، والأبوين حقهم، والفقراء حقهم، والمساكين حقهم، وابن السبيل حقه، والغارمين حقهم، وحتى الكفار أعطتهم حقهم، والحيوانات، ولما سئل

([1]) (سورة الأعراف: 31).

([2]) (سورة الحشر: 9).

([3]) «صحيح مسلم» (996).

النبي ﷺ: وإن لنا في البهائم لأجرا؟ فقال: «**في كل ذات كبد رطبة أجر**»[1]، ولكن يكون ذلك بالمعروف.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[2].

❍ **قال ابن كثير** رحمه الله[3]: «وقوله: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾** أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلًا خيارًا، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا، **﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾** ، كما قال: **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾**[4].

وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله فهو سرف. وقال غيره: السرف النفقة في معصية الله.

وقال الحسن البصري: ليس النفقة في سبيل الله سرفا».

([1]) «صحيح البخاري» (2466)، و«صحيح مسلم» (2244).

([2]) (سورة الفرقان: 67).

([3]) «تفسير القرآن العظيم» (6/ 123، 124).

([4]) (سورة الإسراء: 29).

❍ **وقال السعدي**[1]: «﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا**﴾ النفقات الواجبة والمستحبة ﴿**لَمْ يُسْرِفُوا**﴾ بأن يزيدوا على الحد فيدخلوا في قسم التبذير وإهمال الحقوق الواجبة، ﴿**وَلَمْ يَقْتُرُوا**﴾ فيدخلوا في باب البخل والشح ﴿**وَكَانَ**﴾ إنفاقهم ﴿**بَيْنَ ذَلِكَ**﴾ بين الإسراف والتقتير ﴿**قَوَامًا**﴾ يبذلون في الواجبات من الزكوات والكفارات والنفقات الواجبة، وفيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي من غير ضرر ولا ضرار وهذا من عدلهم واقتصادهم».

وبين تعالى الوسطية في النفقة: **قال الله تعالى**: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾[2].

وكان الناس في قديم الزمان ربما يحصل منهم الإفراط في النفقة، وأما عند كثير من المتأخرين النادر من يُفْرط في النفقة، ولكنّ المفرِّطين كثير.

فكثير من الناس لا يعرف أنه يُنفق في سبيل الله، وإذا أنفق لا يضع نفقته في موضعها وصدقته في ما شرعه الله، بل يعطي الأغنياء والذين يلعبون بأموال الناس عياذًا بالله.

❍ **ومن الأدلة من السنة على التوسط في النفقة:**

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه رضي الله عنه، قال: كان رسول

---

(1) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص/ 586).

(2) (سورة الإسراء: 29).

الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «**لا**» فقلت: بالشطر؟ فقال: «**لا**» ثم قال: «**الثلث والثلث كبير – أو كثير – إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك**»[1].

ومن الوسطية أن ينفق مما يحب والجيد فعن عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه قال: قال رسول الله، ﷺ: «**ثلاث من فعلهنّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: من عبد الله وحده، وعلم أنَّه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيّبة بها نفسه، رافدة عليه كل عام، ولم يعط الهرمة، ولا الدرنة، ولا المريضة، ولا الشّرط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم، فإنَّ الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشرّه**»[2].

قال ابن الوردي رحمه الله في لاميته المشهورة:

بـــين تبـــذير وبخـــل رتبـــة وكـــلا هـــذين إن زادا قتـــل

([1]) «صحيح البخاري» (1295) و«صحيح مسلم» (1628).

([2]) «سنن أبي داود» (1582)، و«المعجم الصغير = الروض الداني» (ص/ 115)، و«سنن البيهقي» (4/ 95)، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (3041) و«السلسلة الصحيحة» (1046).

❍ قال القحطاني[1]:

لا تكثــرن ولا تقلــل واقتصــد فالقصــد والتوفيــق مصــطحبان

فتبين مما سبق أن التوسط في النفقة أن الإنسان ينفق ما أوجب الله عز وجل عليه، وما أحبّ الله عز وجل له من النفقة الواجبة والمستحبة، ولا ينفق حتى يضيّع حقوق أهله وأولاده، فقد نهى الشرع عن ذلك، ولا يُقصِّر في النفقة محبّةً في الدنيا وطمعاً فيها وتطويلاً للأمل، وعليه أن يعلم أنه منتقل إلى الله سبحانه ولن ينفعه إلا ما قدم، فيُنفق من خير ما يجد، ويدع لأولاده وأهله ما يكفون به أنفسهم عن الناس وما يستعفون به عن الناس.

قال ابن القيم رحمه الله[2]: وقال بعض السلف: دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وقد مدح تعالى أهل التوسط بين الطرفين المنحرفين في غير موضع من كتابه، فقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾**، وقال تعالى: **﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾** وقال: **﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾** .

فمنع ذي القربى والمسكين وابن السبيل حقهم انحراف في جانب الإمساك،

(1) «القصيدة النونية» (ص/37).

(2) « الصلاة وأحكام تاركها» (ص: 159).

والتبذير انحراف في جانب البذل، ورضاء الله فيما بينهما، ولهذا كانت هذه الأمة أوسط الأمم وقبلتها أوسط القبل بين القبلتين المنحرفتين، والوسط دائما محمي الأطراف، أما الأطراف فالخلل إليها أسرع كما قال الشاعر:

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت ... بها الحوادث حتى أصبحت طرفاً

فقد اتفق شرع الرب تعالى وقدره على أن خيار الأمور أوساطها.اهـ.

❋ التوسط في الجهاد

❍ **قال البخاري**[1]: «باب قوله: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2]».

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَأَصْحَابًا لَهُ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ، فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَذِلَّةً، فَقَالَ: «**إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ، فَلَا تُقَاتِلُوا**» فَلَمَّا حَوَّلَنَا اللَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَمَرَنَا بِالْقِتَالِ، فَكَفُّوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾[3][1].

([1]) «صحيح البخاري» (27/6).

([2]) (سورة البقرة: 195).

([3]) (سورة النساء: 77).

فالتوسط في الجهاد أن يقدم الأنسان الأولى والأوجب، فيقدم طاعة والديه وطلب العلم والدعوة إلى التوحيد في ما كان جهاد طلب، ويقدم الجهاد على طاعة والديه وطلب العلم بل وجل العبادات في ما كان جهاد دفع، ويقدر ذلك ويعقله ويتفهمه أهل العلم الراسخون.

❋ التوسط في قراءة القران

القرآن كلام الله، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، ونور الله المبين، الذي من تمسّك به نجا، ومن تخلّف عنه هلك، فقراءة القرآن نور وهدى، ومنه يتعلم المسلم اعتداله ووسطيته، وفيها من الأجور ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وقد أثنى الله عز وجل على القراء فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ**﴾ [2]، فهي أفضل تجارة مع الله.

والتوسط في قراءة القرآن أن يقرأ الإنسان كتاب الله بين الغالي والجافي عنه، فيقرأه في تمهل وتأنٍ، فالوسطية في قراءته أن لا يسرع فيه ويقرأه هذًّا كهذّ الشعر، ولا يتمطط فيه ويتميّع في قراءته ويخرجه بتكلف حتى يكره الناس

=

([1]) «السنن الصغرى للنسائي» (3086) وهو صحيح الإسناد.

([2]) (سورة فاطر: 29).

قراءته، وربما يقرأ الآية الواحدة فيطول قراءتها حتى يملّ الناس، وعليه أن يتوسط في ذلك.

ويتوسط في قراءته فلا يرغب عنه ويترك قراءته الشهور والأيام، ولا يقبل على قراءته حتى يترك القيام على أهله وأولاده، والقيام بما أوجب الله عليه، والجمع بين قراءته والعمل به وبين قراءته والدعوة إليه، وبين قراءته والقيام بالواجبات الأخر.

وإليك بعض الأدلة التي تبيّن كيفية الوسطية في قراءة القرآن، وكيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرأونه وكيف كانت سنّته ﷺ في قراءته، وكيف ذمّ النبي ﷺ الخوارج الذين كانوا يقرأونه لكن لا يجاوز تراقيهم ولا يعملون به:

وعن عبد الله بن عمرو، أنه قال: يا رسول الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال: «**في شهر**»، قال: إني أقوى من ذلك، يردد الكلام أبو موسى، وتناقصه حتى قال: «**اقرأه في سبع**»، قال: إني أقوى من ذلك، قال: «**لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث**»[1].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: فِي كَمْ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ - قَالَ حَتَّى قَالَ: «**فِي سَبْعٍ، لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ**»[2].

---

(1) «سنن أبي داود» (1390)، وصححه الألباني.

(2) «مسند الإمام أحمد بن حنبل» (6775).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «**ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**». فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: «**دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية..**»[1].

وعن علي رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة**»[2].

❍ **قال ابن كثير**[3]: «قال أبو عبيد: حدَّثَنا يزيد، عن هشام بن حسان، عن حفصة، عن أبي العالية، عن معاذ بن جبل، أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث.

وعن على بن بذيمة، عن أبي عبيدة بن عبد الله، عن أبيه، قال: «**من قرأ**

(1) «صحيح البخاري» (3610).

(2) «صحيح البخاري» (5057).

(3) «تفسير القرآن العظيم لابن كثير» وهو صحيح. (1/ 83).

القرآن في أقل من ثلاث، فهو راجز»»؛ اهـ.

❍ **قال ابن حجر**[1]: «قَالَ النَّوَوِيُّ: وَالِاخْتِيَارُ أَنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِالْأَشْخَاصِ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَهْمِ وَتَدْقِيقِ الْفِكْرِ اسْتُحِبَّ لَهُ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي لَا يَخْتَلُّ بِهِ الْمَقْصُودُ مِنَ التَّدَبُّرِ وَاسْتِخْرَاجِ الْمَعَانِي وَكَذَا مَنْ كَانَ لَهُ شُغْلٌ بِالْعِلْمِ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ مُهِمَّاتِ الدِّينِ وَمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ الْعَامَّةِ يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي لَا يُخِلُّ بِمَا هُوَ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَالْأَوْلَى لَهُ الِاسْتِكْثَارُ مَا أَمْكَنَهُ مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ إِلَى الْمَلَلِ وَلَا يَقْرَؤُهُ هَذْرَمَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ...

ثم قال: وَقَالَ النَّوَوِيُّ: أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَا تَقْدِيرَ فِي ذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ النَّشَاطِ وَالْقُوَّةِ فَعَلَى هَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ»؛ اهـ.

❍ **قال الزركشي**[2]: «تكره قراءة القرآن بلا تدبر وعليه محل حديث عبد الله بن عمرو لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث وقول ابن مسعود لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن في ليلة: «أهذًا كهذ الشعر».

وكذلك قوله ﷺ في صفة الخوارج: «**يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولا حناجرهم**» ذمهم بإحكام ألفاظه وترك التفهم لمعانيه» اهـ.

([1]) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (9/ 97).

([2]) «البرهان في علوم القرآن» (1/455).

❍ **قال العراقي**[1]: «وَقَالَ النَّوَوِيُّ: وَأَكْثَرُ مَا بَلَغَنَا فِي ذَلِكَ عَنْ ابْنِ الْكَاتِبِ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ثَمَانِ خِتْمَاتٍ وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَا تَقْدِيرَ فِي ذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ النَّشَاطِ وَالْقُوَّةِ وَالتَّرْتِيلُ أَفْضَلُ مِنْ الْعَجَلَةِ». اهـ.

❋ التوسط في رفع الصوت بالقراءة

السنّة والوسطية في قراءة القرآن، أن يُقرأ غير مخافت ولا جاهر به ولا يشغل من حوله، كما قال النبي ﷺ في القراءة: «**وَلَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقُرْآنِ**»[2]، وهذا يختلف باختلاف الأوقات.

ففي الصلاة الجهرية إن كان هناك من يتأذى من القراءة من غير المسلمين، فقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾[3].

وفي الصلاة السرية، ينبغي أن يقرأ الإنسان حتى يُسمِع نفسه، لا يشغل من هو بجانبه، ولا يصمت حتى لا يحرّك شفتيه، فالسنّة هي الوسطية في ذلك كله.

---

(1) «طرح التثريب في شرح التقريب» (103/3، 104).

(2) «السنن الكبرى للنسائي» (8037).

(3) (سورة الإسراء: 110).

وإليك بعض الأدلة لبيان ذلك:

❍ **قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾**[1].

❍ **قال البغوي**[2]: «قَوْلُهُ عز وجل: **﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ فِي سُجُودِهِ: يَا أَللَّهُ يَا رَحْمَنُ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَنْهَانَا عَنْ آلِهَتِنَا وَهُوَ يَدْعُو إِلَهَيْنِ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمَا اسْمَانِ لِوَاحِدٍ.

﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾ «مَا» صِلَةٌ مَعْنَاهُ: أَيًّا مَا تَدْعُوا مِنْ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ وَمِنْ جَمِيعِ أَسْمَائِهِ **﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾**»؛ **اهـ.**

❍ **قال السعدي** رحمه الله[3]: «**﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾** أي: قراءتك **﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾** فإن في كل من الأمرين محذورًا. أما الجهر، فإن المشركين المكذبين به إذا سمعوه سبوه، وسبوا من جاء به.

وأما المخافتة، فإنه لا يحصل المقصود لمن أراد استماعه مع الإخفاء

---

(1) (سورة الإسراء: 110).

(2) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» (5/ 118).

(3) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص/ 468).

﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين الجهر والإخفات ﴿سَبِيلًا﴾ أي: تتوسط فيما بينهما». اهـ.

❋ التوسط في ترتيل القرآن

قراءة القرآن من أفضل الأعمال وأجلها كما سبق ذكر الأدلة في ذلك.

ولكن الذي ينبغي هو ترتيله وتجويده كما أنزل، والناس في ترتيله بين الغالي والجافي والمفْرط والمفَرّط.

والحق هو التوسط والاعتدال بين الشدة والتنطع في الحروف، والتشدق الذي تكرهه النفوس، وبين التفريط وتضييع الحروف والأحكام والوقوف.

وقد يحتاج المبتدئ والأعجمي للتكلف بداية، ثم إذا استقام لسانه ينبغي أن يقرأه بكل سهولة ويسر واعتدال.

فلا بأس بالتدرب على التلاوة ؛ ولذلك يقول الإمام ابن الجزريِّ رحمه الله:

مُكَمَّلاً مِنْ غَيْرِ مَا تَكَلُّفِ   بِاللُّطْفِ فِي النُّطْقِ بِلاَ تَعَسُّفِ
وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَرْكِهِ   إِلاَّ رِيَاضَةُ امْرِئٍ بِفَكِّهِ

وينبغي على الطالب أن يقرأ القرآن بدون تكلف ولا تعسف، ويقرأه بسهولة ويسر وبلُطف، والتكلف ينقسم إلى قسمين: **1**- محمود. **2**- مذموم.

فالْمَحمود: هو أن تقويم اللسان حتى يقرأ القراءة الصحيحة من غير تكلف، وقد يأتي التكلف في بداية التعلّم، ويزول عند تحسُّنِ القراءة، فينبغي التريض

على النطق الصحيح ولو بمشقة في ذلك.

والمذموم: هو التشدُّق بالقراءة الذي تنفر منه الأسماع وتضيق له الصدور.

قال **السّخاوي**[1] رحمه الله، في مطلع قصيدته المسمَّاة:(عمدة المفيد وعُدّةُ الْمُجِيد في معرفة التّجويد):

يَـا مَـنْ يَـرُومُ تِـلاَوَةَ الْقُـرْآنِ وَيَـرُودُ شَـأْوَ أَئِمَّـةِ الإِتْقَـانِ
لاَ تَحْسَبِ التَّجْوِيدَ مَداًّ مُفْرِطاً أَوْ مَـدَّ مَـا لاَ مَـدَّ فِيـهِ لِـوَانِ
أَوْ أَنْ تُشَـدِّدَ بَعْـدَ مَـدٍّ هَمْـزَةً أَوْ أَنْ تَلُـوكَ الْحَـرْفَ كَالسَّـكْرَانِ
أَوْ أَنْ تَفُـوهَ بِهَمْـزَةٍ مُتَهَوِّعـاً فَيَفِـرَّ سَـامِعُهَا مِـنَ الْغَثَيَـانِ
لِلْحَـرْفِ مِيزَانٌ فَـلاَ تَـكُ طَاغِيـاً فِيـهِ وَلاَ تَـكُ مُخْسِـرَ الْمِيـزَانِ

❋ التوسط في الحج وحصيات الرمي ونهي رسول الله ﷺ عن الغلو فيها

الحج من العبادات العظيمة للإنسان في حياته، ولكن يقع كثير من الناس في الحج بين إفراط وتفريط وبين غلو وجفاء.

فترى كثيرا من الناس كذلك يكثر من العمرة من التنعيم، وهذا خلاف السنة، فالسنة أن يأتي الإنسان بعمرة من بلده، فإذا سافر من مكة إلى مكان خارج

(1) «فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد» (ص/ 50، 51).

الحرم وأراد أن يرجع بعمرة فلا بأس، ولا إفراط ولا تفريط، وكثير من الناس لا يجتهد في هذه العبادة فلا يعتمر، ولا يحجّ، ولا يؤدي حقّ الله تعالى في العمرة والحج، وترى كثيراً من الناس إذا حجَّ ربما يكثر من الطواف النافلة في أوقات الزحام والنبي ﷺ حثّ على الطواف، فقال: «**يا بني عبد مناف، لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من الليل والنهار**»[1]، ولكن لو نظرنا إلى سنته ﷺ وعمله فقد ذكر ابن عباس أن النبي ﷺ لم يطف عندما قدِم بالبيت إلا طوافه الأول، وهذا هو الأولى خاصة أيام الحج والزحام.

كذلك بالنسبة إلى الجمرات، فبعض الناس يلقط جمرات كبيرة وبعضهم يلقط جمرات صغيرة جداً، والحق هو التوسط فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ: «**هَاتِ الْقُطْ لِي حَصَيَاتٍ**»، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هِيَ حَصَى الْخَذْفِ فَجَعَلَ يَقْبِضُهُنَّ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: «**نَعَمْ بِمِثْلِ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا**» ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي دِينِكُمْ، فَإِنَّمَا أُهْلِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ**»[2].

([1]) «سنن ابن ماجه» (1254) وسنده صحيح.

ورواه الحاكم في مستدركه (1/ 466)، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في تلخيصه عليه. وقال شيخ الإسلام في الوصية الكبرى: هو حديث صحيح.

([2]) «أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه» (2639)، رواه أحمد في «المسند» كما في «الفتح الرباني» (12/ 169)، ورواه الحاكم في مستدركه (1/ 466)، وقال: «حديث صحيح على شرط

الباب السادس

فصول في الوسطية والاعتدال في جانب الحياة والمعاملات والآداب

❋ التوسط والاعتدال في عمل المرأة والرجال

❍ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾[1].

❍ قال الطبري[2] في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾::

«يقول: يريد الذين يطلبون لذّات الدنيا وشهوات أنفسهم فيها، أن تميلوا عن أمر الله تبارك وتعالى فتجوروا عنه بإتيانكم ما حرّم عليكم، وركوبكم معاصيه ميلا عظيمًا، جورًا وعدولاً عنه شديدًا» اهـ.

وقد جعل الإسلام القوامة والنفقة على الرجل، **قال الله تعالى:** ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ

=

الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في تلخيصه عليه. وقال شيخ الإسلام في الوصية الكبرى: هو حديث صحيح.

([1]) (سورة النساء: 27).

([2]) «جامع البيان في تأويل القرآن» (8/ 212).

أَمْوَالِهِمْ﴾[1]..

واعلم أن المرأة في الإسلام مكرمة محترمة، ودرة مصونة، أعطاها ربنا حقها، وهو تعالى أعلم بما ينفعها وما يضرها وما يصلحها وما يفسدها. اهـ.

والناس في المرأة بين مفرط وغالي، وبين مفرط وظالم جافي، فمنهم من يمنعها ما أباح الله لها ولا يعطيها حقها ويجعلها كالدابة والحيوان.

ومنهم من أطلق لها العنان وسرحها بلا راعي ولا وجدان، وظلمها أشد الظلم وأدخلها مستنقع المعاصي والاختلاط، وأرسلها بين الذئاب الضارية والنفوس الغاوية، وزعم أن هذا راحة نفسها وسعادة قلبها، فما شعرت الضعيفة إلا وهي في أيدي الجلادين الذين لا يرحمون ضعيفاً ولا يسالمون سليماً.

فيا عباد الله اتقوا الله في المرأة، وتوسطوا معها واعتدلوا في معاملتها، فقد قال نبينا ﷺ: «**اللهم إني أحرج حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة**»[2].

وأوصى بها النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»[3].

([1]) (سورة النساء: 34).

([2]) «سنن ابن ماجه» (3678)، وهو حسن الإسناد عن أبي هريرة.

([3]) «صحيح البخاري» (3331)، و«صحيح مسلم» (1468)، عن أبي هريرة.

فهي متاع، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**»[1].

وهي فتنة للرجال، فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[2].

ولا يجوز الاختلاط بالنساء الغير محارم لا في المدارس والجامعات ولا في البيوت.

فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «**الحَمْوُ المَوْتُ**»[3].

ولها عملها المشروع الذي لا يضرها ولا يظلمها، فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: طُلِّقَتْ خَالَتِي، فَأَرَادَتْ أَنْ تَجُدَّ نَخْلَهَا، فَزَجَرَهَا رَجُلٌ أَنْ تَخْرُجَ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**بَلَى فَجُدِّي نَخْلَكِ، فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِي، أَوْ تَفْعَلِي مَعْرُوفًا**»[4].

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي

([1]) «صحيح مسلم» (1467).

([2]) «صحيح البخاري» (5096).

([3]) «صحيح البخاري» (5232)، و«صحيح مسلم» (2172).

([4]) «صحيح مسلم» (1483).

الأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلاَ مَمْلُوكٍ، وَلاَ شَيْءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ وَغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي المَاءَ، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ: «**إِخْ إِخْ**» لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ، قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ تَكْفِينِي سِيَاسَةَ الفَرَسِ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي(1).

وعلى المسلم أن يحب لنساء الغير ما يحب لبنته وأخته، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «**ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا**». قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**» قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ** ». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟**». قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ**

---

(1) «صحيح البخاري» (5224)، و«صحيح مسلم» (2182).

لِأُخْتِكَ؟». قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**». قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**». قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**». قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[1].

الحديث صححه الإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين[2]،وقال رحمه الله تعالى عقبه: فيا له من موعظة بليغة للدعاة إلى الله تعالى.

فياليت المسلمون يدركون أهمية الوسطية والاعتدال في المرأة التي أعطاها ربنا حقها وزيادة وأنعم عليها من فضله وكرمه ما يجب عليها شكره وحمده، وحتى لا يظلموها وحتى يحذروا ممن مسخت فطرهم من دعاة تحرير المرأة – زعموا – الذين يريدون التغرير بها ليختلطوا بها ويشبعوا رغباتهم منها.

يـــــا أمـــــة الوســــطية	إنــــــــــي أراك أبيــــــــــة
لا تـــــــرض للأنـــــــذال	يــــــأتوا ينشــــروا العبثيـــــة
فنســــــاؤنا يــــــا أمتــــي	منّــــــا وهــــــن هديـــــة

([1]) «مسند الإمام أحمد» (22211).

([2]) «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (5/ 144).

ونبينـــــا فـــــي قولــــه أوصـــــى بهـــــن وصـــــية

❍ **وقد ذكر الشنقيطي**[1] كلاما طيباً مفهماً مقنعًا ماتعاً ردا على أولئك نختم به هذا الفصل:

قال رحمه الله: «وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: تَفْضِيلُهُ الذَّكَرَ عَلَى الْأُنْثَى فِي الْمِيرَاثِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وَقَدْ صَرَّحَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّهُ يُبَيِّنُ لِخَلْقِهِ هَذَا الْبَيَانَ الَّذِي مِنْ جُمْلَتِهِ تَفْضِيلُ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى فِي الْمِيرَاثِ لِئَلَّا يَضِلُّوا، فَمَنْ سَوَّى بَيْنَهُمَا فِيهِ فَهُوَ ضَالٌّ قَطْعًا. ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِالْحِكَمِ وَالْمَصَالِحِ وَبِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَقَالَ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الطُّرُقِ وَأَعْدَلُهَا: تَفْضِيلُ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى فِي الْمِيرَاثِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى. كَمَا أَشَارَ تَعَالَى إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: **﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾**؛ أَيْ وَهُوَ الرِّجَالُ عَلَى بَعْضٍ، أَيْ وَهُوَ النِّسَاءُ، وَقَوْلِهِ: **﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾** وَذَلِكَ لِأَنَّ الذُّكُورَةَ فِي كَمَالٍ خِلْقِيٍّ، وَقُوَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ، وَشَرَفٍ وَجَمَالٍ، وَالْأُنُوثَةَ نَقْصٌ خِلْقِيٌّ،

---

(1) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (3/ 24 - 26).

وَضَعْفٌ طَبِيعِيٌّ، كَمَا هُوَ مَحْسُوسٌ مُشَاهَدٌ لِجَمِيعِ الْعُقَلَاءِ، لَا يَكَادُ يُنْكِرُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ فِي الْمَحْسُوسِ.

وَقَدْ أَشَارَ جل وعلا إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿**أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُمْ نَسَبُوا لَهُ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْوَلَدِ، وَمَعَ ذَلِكَ نَسَبُوا لَهُ أَخَسَّ الْوَلَدَيْنِ وَأَنْقَصَهُمَا وَأَضْعَفَهُمَا، وَلِذَلِكَ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ ؛ أَيِ: الزِّينَةِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحُلِيِّ وَالْحُلَلِ لِيَجْبُرَ نَقْصَهُ الْخِلْقِيَّ. الطَّبِيعِيَّ بِالتَّجْمِيلِ بِالْحُلِيِّ وَالْحُلَلِ وَهُوَ الْأُنْثَى. بِخِلَافِ الرَّجُلِ، فَإِنَّ كَمَالَ ذُكُورَتِهِ وَقُوَّتَهَا وَجَمَالَهَا يَكْفِيهِ عَلَى الْحُلِيِّ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَا الْحُلِيُّ إِلَّا زِينَةٌ مِنْ نَقِيصَةٍ ... يُتَمِّمُ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الْحُسْنُ قَصَّرَا
وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْجَمَالُ مُوَفَّرًا ... كَحُسْنِكِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يُزَوَّرَا

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْقِسْمَةُ ضِيزَى - أَيْ غَيْرُ عَادِلَةٍ - لِأَنَّ الْأُنْثَى أَنْقَصُ مِنَ الذَّكَرِ خِلْقَةً وَطَبِيعَةً، فَجَعَلُوا هَذَا النَّصِيبَ النَّاقِصَ لِلَّهِ جل وعلا سبحانه وتعالى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا! وَجَعَلُوا الْكَامِلَ لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا قَالَ: ﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ**﴾ ، أَيْ وَهُوَ الْبَنَاتُ. وَقَالَ: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ وَقَالَ: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا**﴾ - أَيْ وَهُوَ الْأُنْثَى - ﴿**ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾.

وَكُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأُنْثَى نَاقِصَةٌ بِمُقْتَضَى الْخِلْقَةِ

وَالطَّبِيعَةِ، وَأَنَّ الذَّكَرَ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ مِنْهَا: ﴿**أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ ، ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا**﴾ الْآيَةَ، وَالْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى تَفْضِيلِهِ عَلَيْهَا كَثِيرَةٌ جِدًّا.

وَمَعْلُومٌ عِنْدَ عَامَّةِ الْعُقَلَاءِ: أَنَّ الْأُنْثَى مَتَاعٌ لَا بُدَّ لَهُ مِمَّنْ يَقُومُ بِشُئُونِهَا وَيُحَافِظُ عَلَيْهِ.

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى: أَنَّ الْمَرْأَةَ الْأُولَى خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعِ الرَّجُلِ الْأَوَّلِ. فَأَصْلُهَا جُزْءٌ مِنْهُ. فَإِذَا عَرَفْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ: أَنَّ الْأُنُوثَةَ نَقْصٌ خِلْقِيٌّ، وَضَعْفٌ طَبِيعِيٌّ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَقْلَ الصَّحِيحَ الَّذِي يُدْرِكُ الْحِكَمَ وَالْأَسْرَارَ، يَقْضِي بِأَنَّ النَّاقِصَ الضَّعِيفَ بِخِلْقَتِهِ وَطَبِيعَتِهِ، يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ نَظَرِ الْكَامِلِ فِي خِلْقَتِهِ، الْقَوِيِّ بِطَبِيعَتِهِ ؛ لِيَجْلِبَ لَهُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى جَلْبِهِ مِنَ النَّفْعِ، وَيَدْفَعَ عَنْهُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ مِنَ الضُّرِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾.

وَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الضَّعِيفُ النَّاقِصُ مُقَوَّمًا عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الْقَوِيِّ الْكَامِلِ، اقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُلْزَمًا بِالْإِنْفَاقِ عَلَى نِسَائِهِ، وَالْقِيَامِ بِجَمِيعِ لَوَازِمِهِنَّ فِي الْحَيَاةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ وَمَالُ الْمِيرَاثِ مَا مَسَحَا فِي تَحْصِيلِهِ عَرَقًا، وَلَا تَسببًا فِيهِ الْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا هُوَ تَمْلِيكٌ مِنَ اللَّهِ مَلَّكَهُمَا إِيَّاهُ تَمْلِيكًا جَبْرِيًّا، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ أَنْ يُؤْثِرَ الرَّجُلَ عَلَى الْمَرْأَةِ فِي الْمِيرَاثِ وَإِنْ أَدْلَيَا بِسَبَبٍ وَاحِدٍ ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ مُتَرَقِّبٌ لِلنَّقْصِ دَائِمًا بِالْإِنْفَاقِ عَلَى نِسَائِهِ، وَبَذْلِ

الْمُهُورِ لَهُنَّ، وَالْبَذْلِ فِي نَوَائِبِ الدَّهْرِ، وَالْمَرْأَةُ مُتَرَقِّبَةٌ لِلزِّيَادَةِ بِدَفْعِ الرَّجُلِ لَهَا الْمَهْرَ، وَإِنْفَاقِهِ عَلَيْهَا وَقِيَامِهِ بِشُئُونِهَا، وَإِيثَارُ مُتَرَقِّبُ النَّقْصِ دَائِمًا عَلَى مُتَرَقِّبِ الزِّيَادَةِ دَائِمًا لِجَبْرِ بَعْضِ نَقْصِهِ الْمُتَرَقِّبِ، حِكْمَتُهُ ظَاهِرَةٌ وَاضِحَةٌ، لَا يُنْكِرُهَا إِلَّا مَنْ أَعْمَى اللَّهُ بَصِيرَتَهُ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَلِذَا قَالَ تَعَالَى: لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ، وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْحِكَمِ الَّتِي بَيَّنَّا بِهَا فَضْلَ نَوْعِ الذَّكَرِ عَلَى نَوْعِ الْأُنْثَى فِي أَصْلِ الْخِلْقَةِ وَالطَّبِيعَةِ، جَعَلَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ الرَّجُلَ هُوَ الْمَسْئُولَ عَنِ الْمَرْأَةِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهَا. وَخَصَّهُ بِالرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ دُونَهَا، وَمَلَّكَهُ الطَّلَاقَ دُونَهَا، وَجَعَلَهُ الْوَلِيَّ فِي النِّكَاحِ دُونَهَا، وَجَعَلَ انْتِسَابَ الْأَوْلَادِ إِلَيْهِ لَا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ شَهَادَتَهُ فِي الْأَمْوَالِ بِشَهَادَةِ امْرَأَتَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ**﴾ ، وَجَعَلَ شَهَادَتَهُ تُقْبَلُ فِي الْحُدُودِ وَالْقِصَاصِ دُونَهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَارِقِ الْحِسِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ بَيْنَهُمَا.

أَلَا تَرَى أَنَّ الضَّعْفَ الْخِلْقِيَّ وَالْعَجْزَ عَنِ الْإِبَانَةِ فِي الْخِصَامِ عَيْبٌ نَاقِصٌ فِي الرِّجَالِ، مَعَ أَنَّهُ يُعَدُّ مِنْ جُمْلَةِ مَحَاسِنِ النِّسَاءِ الَّتِي تَجْذِبُ إِلَيْهَا الْقُلُوبَ».

إلى أن قال رحمه الله [1]:

«فَلْتَعْلَمْنَ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ اللَّاتِي تُحَاوِلْنَ أَنْ تَكُنَّ كَالرِّجَالِ فِي جَمِيعِ الشُّئُونِ أَنَّكُنَّ مُتَرَجِّلَاتٌ مُتَشَبِّهَاتٌ بِالرِّجَالِ، وَأَنَّكُنَّ مَلْعُونَاتٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ الْمُخَنَّثُونَ الْمُتَشَبِّهُونَ بِالنِّسَاءِ، فَهُمْ أَيْضًا مَلْعُونُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِهِ ﷺ، وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ فِيهِمْ:

([1]) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (3/ 27 - 29).

وَمَا عَجَبِي أَنَّ النِّسَاءَ تَرَجَّلَتْ   وَلَكِنَّ تَأْنِيثَ الرِّجَالِ عُجَابُ

وَاعْلَمْ وَفَّقَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ: أَنَّ هَذِهِ الْفِكْرَةَ الْكَافِرَةَ، الْخَاطِئَةَ الْخَاسِئَةَ، الْمُخَالِفَةَ لِلْحِسِّ وَالْعَقْلِ، وَلِلْوَحْيِ السَّمَاوِيِّ وَتَشْرِيعِ الْخَالِقِ الْبَارِئِ مِنْ تَسْوِيَةِ الْأُنْثَى بِالذِّكْرِ فِي جَمِيعِ الْأَحْكَامِ وَالْمَيَادِينِ، فِيهَا مِنَ الْفَسَادِ وَالْإِخْلَالِ بِنِظَامِ الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ مَا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا مَنْ أَعْمَى اللَّهُ بَصِيرَتَهُ. وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ جل وعلا جَعَلَ الْأُنْثَى بِصِفَاتِهَا الْخَاصَّةِ بِهَا صَالِحَةً لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمُشَارَكَةِ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ، صَلَاحًا لَا يُصْلِحُهُ لَهَا غَيْرُهَا، كَالْحَمْلِ وَالْوَضْعِ، وَالْإِرْضَاعِ وَتَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ، وَخِدْمَةِ الْبَيْتِ، وَالْقِيَامِ عَلَى شُئُونِهِ. مِنْ طَبْخٍ وَعَجْنٍ وَكَنْسٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَهَذِهِ الْخِدْمَاتُ الَّتِي تَقُومُ بِهَا لِلْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ دَاخِلَ بَيْتِهَا فِي سَتْرٍ وَصِيَانَةٍ، وَعَفَافٍ وَمُحَافِظَةٍ عَلَى الشَّرَفِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ، لَا تَقِلُّ عَنْ خِدْمَةِ الرَّجُلِ بِالِاكْتِسَابِ، فَزَعَمَ أُولَئِكَ السَّفَلَةُ الْجَهَلَةُ مِنَ الْكُفَّارِ وَأَتْبَاعِهِمْ: أَنَّ الْمَرْأَةَ لَهَا مِنَ الْحُقُوقِ فِي الْخِدْمَةِ خَارِجَ بَيْتِهَا مِثْلُ مَا لِلرَّجُلِ، مَعَ أَنَّهَا فِي زَمَنِ حَمْلِهَا وَرِضَاعِهَا وَنِفَاسِهَا، لَا تَقْدِرُ عَلَى مُزَاوَلَةِ أَيِّ عَمَلٍ فِيهِ أَيُّ مَشَقَّةٍ كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا بَقِيَتْ خِدْمَاتُ الْبَيْتِ كُلُّهَا ضَائِعَةً: مِنْ حِفْظِ الْأَوْلَادِ الصِّغَارِ، وَإِرْضَاعِ مَنْ هُوَ فِي زَمَنِ الرَّضَاعِ مِنْهُمْ، وَتَهْيِئَةِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ لِلرَّجُلِ إِذَا جَاءَ مِنْ عَمَلِهِ، فَلَوْ أَجْرَوْا إِنْسَانًا يَقُومُ مَقَامَهَا، لِتُعَطِّلَ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ التَّعَطُّلَ الَّذِي خَرَجَتِ الْمَرْأَةُ فِرَارًا مِنْهُ ؛ فَعَادَتِ النَّتِيجَةُ فِي حَافِرَتِهَا عَلَى أَنَّ خُرُوجَ الْمَرْأَةِ وَابْتِذَالَهَا فِيهِ ضَيَاعُ

الْمُرُوءَةِ وَالدِّينِ ؛ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ مَتَاعٌ، هُوَ خَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا، وَهُوَ أَشَدُّ أَمْتِعَةِ الدُّنْيَا تَعَرُّضًا لِلْخِيَانَةِ.

لِأَنَّ الْعَيْنَ الْخَائِنَةَ إِذَا نَظَرَتْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَحَاسِنِهَا فَقَدِ اسْتَغَلَّتْ بَعْضَ مَنَافِعِ ذَلِكَ الْجَمَالِ خِيَانَةً وَمَكْرًا. فَتَعْرِيضُهَا لِأَنْ تَكُونَ مَائِدَةً لِلْخَوَنَةِ فِيهِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى أَدْنَى عَاقِلٍ، وَكَذَلِكَ إِذَا لَمَسَ شيئاً مِنْ بَدَنِهَا بَدَنُ خَائِنٍ سَرَتْ لَذَّةُ ذَلِكَ اللَّمْسِ فِي دَمِهِ وَلَحْمِهِ بِطَبِيعَةِ الْغَرِيزَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْقَلْبُ فَارِغًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَاسْتَغَلَّ نِعْمَةَ ذَلِكَ الْبَدَنِ خِيَانَةً وَغَدْرًا، وَتَحْرِيكُ الْغَرَائِزِ بِمِثْلِ ذَلِكَ النَّظَرِ وَاللَّمْسِ يَكُونُ غَالِبًا سببًا لِمَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ. كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ بِكَثْرَةٍ فِي الْبِلَادِ الَّتِي تَخَلَّتْ عَنْ تَعَالِيمِ الإسلام، وَتَرَكَتِ الصِّيَانَةَ. فَصَارَتْ نِسَاؤُهَا يَخْرُجْنَ مُتَبَرِّجَاتٍ عَارِيَاتِ الْأَجْسَامِ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ. لِأَنَّ اللَّهَ نَزَعَ مِنْ رِجَالِهَا صِفَةَ الرُّجُولَةِ وَالْغِيرَةِ عَلَى حَرِيمِهِمْ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مَنْ مَسْخِ الضَّمِيرِ وَالذَّوْقِ، وَمِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَدَعْوَى الْجَهَلَةِ السَّفَلَةِ: أَنَّ دَوَامَ خُرُوجِ النِّسَاءِ بَادِيَةَ الرُّءُوسِ وَالْأَعْنَاقِ وَالْمَعَاصِمِ، وَالْأَذْرُعِ وَالسُّوقِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ يُذْهِبُ إِثَارَةَ غَرَائِزِ الرِّجَالِ ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ الْإِمْسَاسِ تُذْهِبُ الْإِحْسَاسَ ؛ كَلَامٌ فِي غَايَةِ السُّقُوطِ وَالْخِسَّةِ ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: إِشْبَاعُ الرَّغْبَةِ مِمَّا لَا يَجُوزُ، حَتَّى يَزُولَ الْأَرَبُ مِنْهُ بِكَثْرَةِ مُزَاوَلَتِهِ، وَهَذَا كَمَا تَرَى. وَلِأَنَّ الدَّوَامَ لَا يُذْهِبُ إِثَارَةَ الْغَرِيزَةِ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَمْكُثُ مَعَ امْرَأَتِهِ سِنِينَ كَثِيرَةً حَتَّى تَلِدَ أَوْلَادَهُمَا، وَلَا تَزَالُ مُلَامَسَتُهُ لَهَا، وَرُؤْيَتُهُ لِبَعْضِ جِسْمِهَا تُثِيرُ غَرِيزَتَهُ. كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا ... وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

وَقَدْ أَمَرَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، خَالِقُ هَذَا الْكَوْنِ وَمُدَبِّرُ شُئُونِهِ، الْعَالِمُ بِخَفَايَا أُمُورِهِ وَبِكُلِّ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ بِغَضِّ الْبَصَرِ عَمَّا لَا يَحِلُّ ؛ قَالَ تَعَالَى: **﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ...﴾** الْآيَةَ.

وَنَهَى الْمَرْأَةَ أَنْ تَضْرِبَ بِرِجْلِهَا لِتُسْمِعَ الرِّجَالَ صَوْتَ خَلْخَالِهَا فِي قَوْلِهِ: **﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾** وَنَهَاهُنَّ عَنْ لِينِ الْكَلَامِ، لِئَلَّا يَطْمَعَ أَهْلُ الْخَنَى فِيهِنَّ، قَالَ تَعَالَى: **﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾** » اهـ.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

❋ التوسط في رؤية النفس

المؤمن مأمور بالتوسط في كل شيء حتى في رؤيته لنفسه فمن الناس من يرى نفسه بصورة الإعجاب والغرور كقارون، ومنهم من يرى نفسه برؤية الاحتقار المخل حتى لا تصير له همة ولا عزيمة فهذا يستحقر نفسه حتى لا يرى نفسه تصلح لدعوة إلى الله ولا نفع المسلمين ولا شجاعة له في شيء ولا صبر له على شيء وهذا نفسه ضعيفة.

فالمؤمن تكون همته عالية وعزيمته طيبة ولا يتكبر على أحد من الناس ولا

يغتر بنفسه ولا يمنع نفسه الخير ومسابقة أهل الفضل، والله المستعان.

❍ **قال الله تعالى** في كتابه الكريم: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[1].

❍ **وقال سبحانه**: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[2].

❍ **وقال** سبحانه وتعالى: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ**﴾[3].

❍ **قال ابن كثير**[4]: «يقول تعالى مخبرا عن جواب قارون لقومه، حين نصحوه وأرشدوه إلى الخير ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ أي: أنا لا أفتقر إلى ما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه، ولمحبته لي فتقديره: إنما أعطيته لعلم الله في أني أهل له، وهذا كقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾ [5] أي: على علم من الله بي، وكقوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا**

([1]) (سورة النجم: 32).

([2]) (سورة لقمان: 18).

([3]) (سورة القصص: 78).

([4]) «تفسير القرآن العظيم» (6/ 228 - 229).

([5]) (سورة الزمر: 49).

مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [1] أي: هذا أستحقه»؛ اهـ.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله كلاماً نفيساً في الباب نسوقه من باب الفائدة.

❍ **قال ابن القيم**[2]: «وسبب الخذلان عدم صَلَاحِية الْمحل وأهليته وقبوله للنعمة بِحَيْثُ لَو وافته النعم لقَالَ هَذَا لي وَإِنَّمَا أُوتِيتهُ لِأَنِّي أَهله ومستحقه كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ أَي على علم علمه عِنْدِي أستحق بِهِ ذَلِك وأستوجبه وأستأهله، الْفراء: أَي على فضل عِنْدِي إِنِّي كنت أَهله ومستحقا لَهُ إِذْ أَعْطيته. وَقَالَ مقَاتل: يَقُول على خير علمه الله عِنْدِي. وَذكر عبد الله بن الْحَارِث بن نَوْفَل سُلَيْمَان بن دَاوُد فِيمَا أُوتِيَ من الْملك، ثمَّ قَرَأَ قَوْله تَعَالَى: ﴿**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾ وَلم يقل هَذَا من كَرَامَتِي، ثمَّ ذكر قَارون وَقَوله: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ يَعْنِي أَن سُلَيْمَان رأى مَا أُوتِيتهُ من فضل الله عَلَيْهِ ومنته وَأَنه ابتلى بِهِ شكره، وَقَارُون رأى ذَلِك من نَفسه واستحقاقه؛ وَكَذَلِكَ قَوْله سُبْحَانَهُ: ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي**﴾ أَي أَنا أَهله وحقيق بِهِ فاختصاصي بِهِ كاختصاص الْمَالِك بِملكه، وَالْمُؤمن يرى ذَلِك ملكا لرَبه وفضلا مِنْهُ منّ بِهِ على عَبده من غير اسْتِحْقَاق مِنْهُ، بل صَدَقَة تصدق بهَا على عَبده وَله أَن لَا يتَصَدَّق بهَا. فَلَو مَنعه إِيَّاهَا لم يكن قد مَنعه شيئاً هُوَ لَهُ يسْتَحقّهُ عَلَيْهِ، فَإِذا لم يشْهد ذَلِك رَأْي

([1]) (سورة فصلت: 50).

([2]) «الفوائد» (ص/205 - 207).

فِيهِ أَهلا ومستحقًّا فأعجبه نَفسه وطغت بِالنعْمَةِ وعلت بهَا واستطالت على غَيرهَا فَكَانَ حظها مِنْهَا الْفَرح وَالْفَخْر»؛ اهـ.

❍ **فالوسطية في رؤية النفس تكون بأمور:**

- **أولا:** أن الإنسان لا يعجب بعمله أو يغتر بنفسه أو بعقله أو بذكائه أو بقوته، ولكن عليه أن يعلم أن هذا كله من الله. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾[1].

- **ثانيا:** أن يعلم أنه لا ينبغي أن يستحقر نفسه فيترك القيام بالدعوة إلى الله والعمل الصالح والقيام بما أوجب الله عليه وما مكّنه الله من العلم، فيصلي بالناس ويحفظ الناس ويُعلِّم الناس، إن أعطاه الله عز وجل ذلك، ولا ينبغي عليه أن يستحقر نفسه من باب التواضع أو باب استحقار النفس فيدع العمل الصالح لغيره ممن لا يتقنه .

❋ التوسط في طلب العلم

❍ **قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾**[2].

❍ **وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾**[3].

([1]) (سورة النحل: 53).

([2]) (سورة طه: 114).

([3]) (سورة غافر: 83).

فالعلم الشرعي لا غنى للمؤمن عنه، ولذا صح عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ الْعِلْمِ، وَطَالِبُ الدُّنْيَا**»[1].

والوسطية في العلم أن تعطي نفسك حقها وأولادك وأهلك وضيفك حقهم وهذا معلوم أدلته في الشريعة السمحاء ولذا قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو: «**إن لأهلك عليك حق وإن لنفسك عليك حق وإن لزورك عليك حق**».

❍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**[2]: «والناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام طرفان ووسط. فقوم يزعمون أن مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس توجب حصول العلم بلا سبب آخر. وقوم يقولون: لا أثر لذلك بل الموجب للعلم العلم بالأدلة الشرعية أو العقلية. وأما الوسط: فهو أن ذلك من أعظم الأسباب معاونة على نيل العلم؛ بل هو شرط في حصول كثير من العلم وليس هو وحده كافيا؛ بل لا بد من أمر آخر إما العلم بالدليل فيما لا يعلم إلا به وإما التصور الصحيح لطرفي القضية في العلوم الضرورية. وأما العلم النافع الذي تحصل به النجاة من النار ويسعد به العباد فلا يحصل إلا باتباع الكتب التي جاءت بها الرسل **قال الله تعالى**: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا** *

([1]) «جامع معمر بن راشد» (20478)، بسند صحيح وجاء عن غير أنس ولا يصح.

([2]) «مجموع الفتاوى» (13/ 246 - 248).

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ﴾[1]، **وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾**[2]، فمن ظن أن الهدى والإيمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم فقد ضل. وأضل منهما من سلك في العلم والمعرفة طريق أهل الفلسفة والكلام بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ولا العمل بموجب العلم أو سلك في العمل والزهد طريق أهل الفلسفة والتصوف بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ولا اعتبار العمل بالعلم؛ فأعرض هؤلاء عن العلم والشرع وأعرض أولئك عن العمل والشرع فضل كل منهما من هذين الوجهين وتباينوا تباينا عظيما حتى أشبه هؤلاء اليهود المغضوب عليهم وأشبه هؤلاء النصارى الضالين؛ بل صار منهما من هو شر من اليهود والنصارى كالقرامطة والاتحادية وأمثالهم من الملاحدة الفلاسفة»؛ اهـ.

❍ **فالتوسط في طلب العلم يكون بأمور:**

- **أولا:** أن الإنسان يقبل على طلب العلم النافع الشرعي الذي أوجبه الله عليه، فمن العلم ما أوجبه الله سبحانه وتعالى، وما طلبه يكون واجباً وهو العلم بالعقيدة والتوحيد، وكيفية الصلاة والحج والصوم، وهكذا البيوع لمن كان يُبايِع، والربا لمن كان يتعامل بالصرف وبيع الأشياء الربوية، والزكاة لمن كان ماله يبلغ النصاب. فمن العلم الواجب ما يكون طلبه واجباً، والسؤال عنه واجباً.

---

(1) (سورة طه: 123 - 127).

(2) (سورة الزخرف: 36).

قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

- **ثانيا:** أنّ ما كان من العلم مستحبا فطلبه يكون فرض كفاية، فالتوسط فيه أن الإنسان لا يُضيّع أهله ومن يعول من أولاده في سبيل طلب العلم ومن أجل طلب العلم، وعليه أن يقوم بكل ما أوجب الله عليه ويتوسط في طلبه للعلم وفي طلبه للمعاش، فلا يترك العلم تركا كليا، ولا يترك أولاده وأهله إلى عائل يعولهم ولا ما يحتاجون إليه من أكل وطعام وشراب.

- **ثالثا:** عليه أن يجمع بين طلب العلم وبرّ الوالدين، ويتوسط في ذلك فلا يعصي أبويه ويترك طلب العلم وهم محتاجون إليه، ولا يترك طلب العلم طاعة لأبويه إن كانا يأمرانه بترك طلب العلم، وعليه أن يجمع بين ذلك كلّه.

فقال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[2]، وقال سبحانه: **﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾**[3].

ويستطيع الإنسان أن يجمع بين طلب العلم وبين بر الوالدين ويتوسط في ذلك كله، وعليه أن يعمل بكل ما أمر الله تعالى به، والله المستعان.

❋ التوسط في الدعوة الى الله

([1]) (سورة النحل: 43).

([2]) (سورة الإسراء: 23).

([3]) (سورة طه: 114).

الدعوة الى الله من أجل الاعمال وأفضلها وخيرها **قال الله تعالى:** ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[1]،فلا أحد أحسن وأفضل منه ومن عمله وذلك أنه ولي الله وصفوته من خلقه.

ولكن الأفضل للداعي إلى الله والذي ينبغي له هو أن يعطي كل ذي حق حقه وأن يجعل لنفسه حظًا من العلم والعبادة والتربية لأهله وأولاده.

❍ **قال الله تعالى:** ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[2]..

وأهل السنة في ذلك وسط بين الإفراط والتفريط، فيهتمون بالعلم بالله ودينه ونبيه وينشرون ذلك دعوة إلى الله عملا بالقرآن والسنة، «**بلغوا عني ولو آية**»[3].

بينما بعض الجماعات المبتدعة تجعل دعوتها بالسرية، وقد تخص من هو مسجل معهم فقط، وبعض الجماعات لا يعملون بالشرع الصريح والنقل الصحيح فيخرجون من أهليهم بلا علم، ويزعمون أنهم يخرجون دعوةً أياما معدودة وذلك بدعة في الدين وضلالة، فضررهم على أنفسهم والمسلمين ظاهر والله يتولى السرائر.

([1]) (سورة فصلت: 33).

([2]) (سورة يوسف: 108).

([3]) «صحيح البخاري» (3461).

ومن الاعتدال في الدعوة إلى الله أن يسوي بين الناس في الدعوة فلا يدعو أناساً دون أناس.

وقد بين الله ذلك لنبيه، قال تعالى: ﴿**أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾[1]**...**

❍ **قال ابن كثير**[2]: «﴿**أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى**﴾ أي: أمّا الغني فأنت تعرض له لعله يهتدي، ﴿**وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى**﴾ أي: بمطالب منه إذا لم يحصل له زكاة – وهي الهداية –.

﴿**وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى**﴾ أي: يقصدك ويؤمك، ليهتدي بما تقول له، ﴿**فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾ أي: تتشاغل.

ومن هنا أمر الله تعالى رسوله، ﷺ ألا يخصّ بالإنذار أحدًا، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة».اهـ.

❍ **قلت: فالتوسط في الدعوة إلى الله** سبحانه وتعالى تكون بأمور:

([1]) (سورة عبس: 5 – 10).

([2]) «تفسير القرآن العظيم» (4/ 470).

- **أولا**: أن الإنسان لا يستحقر ما عنده من العلم، وعليه أن يدعو إلى الله ولو بآية كما قال النبي ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**».

- **ثانيا**: يتوسط في الدعوة إلى الله، فيدعو جميع الناس وجميع الأصناف.

- **ثالثا**: أن يتوسط الإنسان في دعوته إلى الله عز وجل، فلا يُغلِّب جانب طلب العلم ويترك الدعوة إلى الله، والناس بحاجة إلى من يدعوهم إلى الله وإلى دينه وكتابه وسنة نبيه، ولا يغلب جانب الدعوة إلى الله على طلب العلم، فيدعو إلى الله على جهل وربما يُحدّث بالأحاديث الضعيفة، وإذا سئل عن مسألة أجاب بلا علم وبصيرة.

- **رابعا**: أن لا يُضيّع حق أهله وأولاده، وأن يجمع بين طلب العلم والدعوة إلى الله وأداء حقوق أولاده وأهله والنظر في حاجاتهم وقُوتِهم.

- **خامسًا**: أن يدعو القريب والبعيد، والغني والفقير، كل بما يعرف وعلى قدر فهمه وعقله، والتوفيق بيد الله.

فهذه هي الوسطية الحقّة والاعتدال المرضي في باب الدعوة إلى الله. والله المستعان.

❋ التوسط في المسألة والتعفف وقبول الهدية

الناس في هذا الباب بين متكبر وذليل ومعتدل.

وبيان ذلك أن الهدية تقبل ولا ترد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ**

لَقَبِلْتُ»[1]. و(الذراع) اليد من الحيوان، و(الكراع) ما دق من ساق الحيوان.

وانظر تربية نبينا ﷺ كيف علم صحابته رضي الله عنهم هذه الوسطية المشتملة على العفة والعزة وعلى التواضع والتآلف، فعن عُمَرَ رضي الله عنه، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِينِي العَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: «**خُذْهُ إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ، فَخُذْهُ وَمَا لاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**»[2]. ومعناه لا تتبعه نفسك، بل اتركه ولا تتعلق نفسك به.

ومن المؤسف أن تجد من المسلمين من يتصف بهذه الصفة الدنية، ولا يعمل ويكف نفسه عن الناس، بل أشد من هذا وذاك، أن تجد من يتسول باسم الدين أو اليتامى والمساكين، ولا يريد إلا مصلحته، **وهذه بعض الأدلة على تحريم السؤال**، فالإسلام يدل على العفة وينهى عن السؤال رحمة بالعباد ولأن التسول فيه إهانة للمسلم.

❍ قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[3].

([1]) «صحيح البخاري» (2568).

([2]) «صحيح البخاري» (1473)، و«صحيح مسلم» (1045).

([3]) (سورة البقرة: 273).

وعن عَبْد الله بْنَ عمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**مَا يَزَال الرَّجل يَسْأَل النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مزْعَة لَحْمٍ**»[1].

وعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسول الله ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهمْ تَكَثّرًا فَإِنَّمَا يَسْأَل جَمْرًا، فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**»[2].

وبين نبينا وحث على العمل الحلال حتى يكف نفسه فعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْت رَسولَ الله ﷺ يَقول: «**لَأَنْ يَغْدوَ أَحَدكمْ فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ خَيْرٌ لَه مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجلًا أَعْطَاه أَوْ مَنَعَه، ذَلِكَ فَإِنَّ الْيَدَ الْعلْيَا أَفْضَل مِنَ الْيَدِ السّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعول**»[3].

وعن أَبِي هرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقول: قَالَ رَسول الله ﷺ: «**لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدكمْ حزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَه مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيعْطِيَه أَوْ يَمْنَعَه**»[4].

وعلم أصحابه العفة فعَنْ أَبِي مسْلِمٍ الْخَوْلَانِيّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَبِيب الْأَمِين، أَمَّا هوَ فَحَبِيبٌ إِلَيَّ، وَأَمَّا هوَ عِنْدِي فَأَمِينٌ، عَوْف بْن مَالِكٍ الْأَشْجَعِيّ رضي الله عنه ، قَالَ: كنَّا عِنْدَ رَسولِ الله ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «**أَلَا تبَايِعونَ رَسولَ الله؟**» وَكنَّا حَدِيث عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسولَ الله. ثمَّ قَالَ:

(1) «صحيح البخاري» (1475)، و«صحيح مسلم» (1040).

(2) «صحيح مسلم» (1041).

(3) «صحيح مسلم» (1042).

(4) «صحيح البخاري» (2074).

«**أَلَا تبَايِعونَ رَسولَ الله؟**» فَقلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسولَ الله. ثمَّ قَالَ: «**أَلَا تبَايِعونَ رَسولَ الله؟**» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا، وَقلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسولَ الله، فَعَلَامَ نبَايِعكَ؟ قَالَ: «**عَلَى أَنْ تَعْبدوا الله وَلَا تشْرِكوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتطِيعوا**، - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - **وَلَا تَسْأَلوا النَّاسَ شَيْئًا**» فَلَقَدْ رَأَيْت بَعْضَ أولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقط سَوْط أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَل أَحَدًا يناوِله إِيَّاه[1].

فتأمل ما ذكرنا تتجلى لك الحقيقة الوسطية المعتدلة في هذا بلا إفراط ولا تفريط، نسأل الله أن يعز المسلمين ويهديهم للسداد وأن يوفقهم لأسباب العز وسبيل التواضع والرشاد.

❋ التوسط في الزواج

الزواج نعمة من نعم الله عز وجل العظيمة على العباد، والحق فيه والوسطية والاعتدال بين رأي الشيعة الشهواني الذين يقولون بالمتعة المحرمة وبعضهم يجيز الزواج بأكثر من أربع، ورهبانية الصوفية الذين يتركون ما أحل الله للزهد زعموا.

❍ **قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [2].**

([1]) «صحيح مسلم» (1043).

([2]) (سورة الروم: 21).

فهو نعمة عظيمة على العباد، والتوسط فيه أن الإنسان يقبل فيه على ما أحل الله عز وجل من نعمة الزواج، فيتزوج ولا يحرم نفسه هذه النعمة العظيمة التي أحلّها الله، وجعلها من آياته الكونية ومن العبادات الشرعية.

لكن الناس في هذا الباب بين إفراط وتفريط، ففي مسألة العمر من الناس من يتزوج أو يُزَوِّج ابنه وهو في سنّ صغير جدًا أو يزوِّج ابنته وهي في سن صغيرة حتى يحصل بين الزوجين من المشاكل ما الله به عليم.

ومن الناس من يؤخر الزواج حتى يكبر، وربما يتجاوز الثلاثين، إما بزعمهم أنهم يبنون المستقبل، وإما لظنهم الباطل أنه لا ينبغي الزواج المبكر، وهؤلاء لا يسلمون من الحرام إلا من سلَّمه الله تعالى منهم.

والناظر إلى سنة النبي ﷺ، وما سار عليه صحابته الكرام، فإن الولد إذا بلغ ينبغي له أن يسارع في الزواج، وهكذا البنت إذا بلغت فهذا أفضل سن لها في الزواج، ولا نقول إنه يُحرّم الزواج على من كان دون البلوغ، فهذا جائز يدلّ عليه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾[1].

وقد تزوجت عائشة رضي الله عنها وهي صغيرة، ولكن أغلب عمل الصحابة رضي الله عنهم هو الزواج بعد سن البلوغ وعدم التأخر في ذلك إلى سنّ كبير.

مسألة أخرى، وهي مسألة التعدّد.

([1]) (سورة الطلاق: 4).

❍ **قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾** [1].

❍ **قال ابن كثير** رحمه الله[2]: «وقوله: **﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾**[3] أي: انكحوا ما شئتم من النساء سواهن إن شاء أحدكم ثنتين، وإن شاء ثلاثاً، وإن شاء أربعاً، كما **قال الله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾**[4] أي: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ولا ينفي ما عدا ذلك في الملائكة لدلالة الدليل عليه، بخلاف قصر الرجال على أربع، فمن هذه الآية كما قاله ابن عباس وجمهور العلماء؛ لأن المقام مقام امتنان وإباحة، فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره.

قال الشافعي: وقد دلت سنة رسول الله ﷺ المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله ﷺ أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة.

وهذا الذي قاله الشافعي رحمه الله، مجمع عليه بين العلماء، إلا ما حكي عن طائفة من الشيعة أنه يجوز الجمع بين أكثر من أربع إلى تسع. وقال بعضهم: بلا حصر. وقد يتمسك بعضهم بفعل النبي ﷺ في جمعه بين أكثر من

---

(1) (سورة النساء: 3).

(2) «تفسير القرآن العظيم» (2/ 208، 209).

(3) (سورة النساء: 3).

(4) (سورة فاطر: 1).

أربع إلى تسع كما ثبت في الصحيحين، وأما إحدى عشرة كما جاء في بعض ألفاظ البخاري. وقد علقه البخاري، وقد روينا عن أنس أن رسول الله ﷺ تزوج بخمس عشرة امرأة، ودخل منهن بثلاث عشرة، واجتمع عنده إحدى عشرة ومات عن تسع. وهذا عند العلماء من خصائص رسول الله ﷺ دون غيره من الأمة»؛ اهـ.

فمن الناس من لا يطيق العدل في التعدد ويعلم أنه يناسبه الزوجة فقط، فيتزوج أكثر من زوجة فإذا به يضطر إلى الطلاق والشقاق مع إحدى الزوجات، وبعضهم يعلم أنه بحاجة إلى التعدد الذي أحله الله تعالى في قوله: ﴿**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**﴾[1]، فيحرم نفسه حتى يقع في المحرمات، والله تعالى أعلم بما يُصلِح العباد.

فالتوسط في ذلك أن الإنسان لا يضيق على نفسه أمراً وسعه الله ويقبل على طاعة الله سبحانه وتعالى، ويكفي نفسه بهذا الأمر الحلال، فيتزوج مثنى، فإن لم يكفه تزوج ثلاث، فإن لم يكفه تزوج رباع، ولا حرج عليه في ذلك.

وبالإجماع أنه لا يجوز الزيادة على أربع ولا يعتبر بخلاف الشيعة، وأما ترك الزواج فقد أنكره النبي ﷺ على بعض الصحابة عندما قال: «أنا لا أتزوج النساء»، فقال النبي ﷺ: «... **وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[2].

---

(1) (سورة النساء: 3).

(2) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الصحيحين، وقد تقدّم تخريجه.

وهنا كلام نفيس للإمام المفسر الشنقيطي رحمه الله نسوقه باختصار لقوته وتعلقه بالموضوع.

❍ **قال** رحمه الله [1]: «وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ إِبَاحَتُهُ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ إِلَى أَرْبَعٍ، وَأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَافَ عَدَمَ الْعَدْلِ بَيْنَهُنَّ، لَزِمَهُ الِاقْتِصَارُ عَلَى وَاحِدَةٍ، أَوْ مِلْكِ يَمِينِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ﴿**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾[2] . وَلَا شَكَّ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الطُّرُقِ وَأَعْدَلُهَا، هِيَ إِبَاحَةُ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ لِأُمُورٍ مَحْسُوسَةٍ يَعْرِفُهَا كُلُّ الْعُقَلَاءِ.

مِنْهَا: أَنَّ الْمَرْأَةَ الْوَاحِدَةَ تَحِيضُ وَتَمْرَضُ، وَتَنْفَسُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَوَائِقِ الْمَانِعَةِ مِنْ قِيَامِهَا بِأَخَصِّ لَوَازِمِ الزَّوْجِيَّةِ، وَالرَّجُلُ مُسْتَعِدٌّ لِلتَّسَبُّبِ فِي زِيَادَةِ الْأُمَّةِ، فَلَوْ حُبِسَ عَلَيْهَا فِي أَحْوَالِ أَعْذَارِهَا لَعُطِّلَتْ مَنَافِعُهُ بَاطِلًا فِي غَيْرِ ذَنْبٍ.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ أَجْرَى الْعَادَةَ بِأَنَّ الرِّجَالَ أَقَلُّ عَدَدًا مِنَ النِّسَاءِ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا، وَأَكْثَرُ تَعَرُّضًا لِأَسْبَابِ الْمَوْتِ مِنْهُنَّ فِي جَمِيعِ مَيَادِينِ الْحَيَاةِ، فَلَوْ قَصَرَ الرَّجُلُ عَلَى وَاحِدَةٍ، لَبَقِيَ عَدَدٌ ضَخْمٌ مِنَ النِّسَاءِ مَحْرُومًا مِنَ الزَّوَاجِ، فَيَضْطَرُّونَ إِلَى رُكُوبِ الْفَاحِشَةِ فَالْعُدُولُ عَنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضَيَاعِ الْأَخْلَاقِ، وَالِانْحِطَاطِ إِلَى دَرَجَةِ الْبَهَائِمِ فِي عَدَمِ الصِّيَانَةِ،

---

(1) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (2/ 17، 18).

(2) (سورة النساء: 3).

وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الشَّرَفِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْأَخْلَاقِ، فَسُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ، ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْإِنَاثَ كُلَّهُنَّ مُسْتَعِدَّاتٌ لِلزَّوَاجِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِلَوَازِمِ الزَّوَاجِ لِفَقْرِهِمْ، فَالْمُسْتَعِدُّونَ لِلزَّوَاجِ مِنَ الرِّجَالِ أَقَلُّ مِنَ الْمُسْتَعِدَّاتِ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ ؛ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ لَا عَائِقَ لَهَا، وَالرَّجُلُ يَعُوقُهُ الْفَقْرُ وَعَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى لَوَازِمَ النِّكَاحِ، فَلَوْ قَصَرَ الْوَاحِدُ عَلَى الْوَاحِدَةِ، لَضَاعَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْتَعِدَّاتِ لِلزَّوَاجِ أَيْضًا بِعَدَمِ وُجُودِ أَزْوَاجٍ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سببًا لِضَيَاعِ الْفَضِيلَةِ وَتَفَشِّي الرَّذِيلَةِ، وَالِانْحِطَاطِ الْخُلُقِيِّ، وَضَيَاعِ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ، كَمَا هُوَ وَاضِحٌ، فَإِنْ خَافَ الرَّجُلُ أَلَّا يَعْدِلَ بَيْنَهُنَّ وَجَبَ عَلَيْهِ الِاقْتِصَارُ عَلَى وَاحِدَةٍ، أَوْ مِلْكِ يَمِينِهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الْآيَةَ، وَالْمَيْلُ بِالتَّفْضِيلِ فِي الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ بَيْنَهُنَّ لَا يَجُوزُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ**﴾، أَمَّا الْمَيْلُ الطَّبِيعِيُّ بِمَحَبَّةِ بَعْضِهِنَّ أَكْثَرَ مِنْ بَعْضٍ، فَهُوَ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ دَفْعُهُ لِلْبَشَرِ، لِأَنَّهُ انْفِعَالٌ وَتَأَثُّرٌ نَفْسَانِيٌّ لَا فِعْلٌ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ**﴾ الْآيَةَ، كَمَا أَوْضَحْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ مِنْ أَعْدَاءِ دِينِ الإسلام، مِنْ أَنَّ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ يُلْزِمُهُ الْخِصَامَ وَالشَّغَبَ الدَّائِمَ الْمُفْضِي إِلَى نَكَدِ الْحَيَاةِ، لِأَنَّهُ كُلَّمَا أَرْضَى إِحْدَى الضَّرَّتَيْنِ سَخِطَتِ الْأُخْرَى، فَهُوَ بَيْنُ سَخْطَتَيْنِ دَائِمًا، وَأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ، فَهُوَ كَلَامٌ سَاقِطٌ، يَظْهَرُ سُقُوطُهُ لِكُلِّ عَاقِلٍ ؛ لِأَنَّ الْخِصَامَ وَالْمُشَاغَبَةَ بَيْنَ أَفْرَادِ أَهْلِ الْبَيْتِ لَا انْفِكَاكَ عَنْهُ أَلْبَتَّةَ، فَيَقَعُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأُمِّهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْلَادِهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ الْوَاحِدَةِ. فَهُوَ أَمْرٌ عَادِيٌّ

لَيْسَ لَهُ كَبِيرُ شَأْنٍ، وَهُوَ فِي جَنْبِ الْمَصَالِحِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا فِي تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ مِنْ صِيَانَةِ النِّسَاءِ وَتَيْسِيرِ التَّزْوِيجِ لِجَمِيعِهِنَّ، وَكَثْرَةِ عَدَدِ الْأُمَّةِ لِتَقُومَ بِعَدَدِهَا الْكَثِيرِ فِي وَجْهِ أَعْدَاءِ الإسلام كَلَا شَيْءٍ؛ لِأَنَّ الْمَصْلَحَةَ الْعُظْمَى يُقَدَّمُ جَلْبُهَا عَلَى دَفْعِ الْمَفْسَدَةِ الصُّغْرَى..اهـ

وقال رحمه الله: فَالْقُرْآنُ أَبَاحَ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ لِمَصْلَحَةِ الْمَرْأَةِ فِي عَدَمِ حِرْمَانِهَا مِنَ الزَّوَاجِ، وَلِمَصْلَحَةِ الرَّجُلِ بِعَدَمِ تَعَطُّلِ مَنَافِعِهِ فِي حَالِ قِيَامِ الْعُذْرِ بِالْمَرْأَةِ الْوَاحِدَةِ، وَلِمَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ لِيَكْثُرَ عَدَدُهَا فَيُمْكِنُهَا مُقَاوَمَةُ عَدُوِّهَا لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ تَشْرِيعُ حَكِيمٍ خَبِيرٍ لَا يَطْعَنُ فِيهِ إِلَّا مَنْ أَعْمَى اللَّهُ بَصِيرَتَهُ بِظُلُمَاتِ الْكُفْرِ. وَتَحْدِيدُ الزَّوْجَاتِ بِأَرْبَعٍ ؛ تَحْدِيدٌ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ، وَهُوَ أَمْرٌ **وَسَطٌ** بَيْنَ الْقِلَّةِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى تَعَطُّلِ بَعْضِ مَنَافِعِ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الْكَثْرَةِ الَّتِي هِيَ مَظِنَّةُ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْقِيَامِ بِلَوَازِمِ الزَّوْجِيَّةِ لِلْجَمِيعِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى» اهـ.

فتبين لنا كيف الاعتدال في النكاح الشرعي والوسطية بين رأي الشيعة الشهواني الذين يقولون بالمتعة المحرمة وبعضهم يجيز الزواج بأكثر من أربع، ورهبانية الصوفية الذين يتركون ما أحل الله تزهداً وتقشفاً.

❋ التوسط الإسلامي في نكاح النساء وما يجوز من ذلك

❍ قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1].

فالإسلام حرم العمات والخالات وأجاز بناتهن خلافاً لغيره من الأديان التي أحلت الجميع أو حرمت الجميع كما نقل ذلك بعض المفسرين.

قال ابن عاشور التونسي[2]: وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْمُشْرِكُونَ: أَرَادُوا أَنْ يَتْبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي نِكَاحِ أَزْوَاجِ الْآبَاءِ، وَالْيَهُودُ أَرَادُوا أَنْ يَتْبَعُوهُمْ فِي نِكَاحِ الْأَخَوَاتِ مِنَ الْأَبِ وَنِكَاحِ الْعَمَّاتِ وَالْجَمْعِ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ. وَالْمِيلُ الْعَظِيمُ هُوَ الْبُعْدُ عَنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ وَالطَّعْنُ فِيهَا. فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحَبِّبُونَ لِلْمُسْلِمِينَ الزِّنَى وَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِمُ الْبَغَايَا. وَكَانَ الْمَجُوسُ يَطْعَنُونَ فِي تَحْرِيمِ ابْنَةِ الْأَخِ وَابْنَةِ الْأُخْت وَيَقُولُونَ: لماذَا أَحَلَّ دِينُكُمُ ابْنَةَ الْعَمَّةِ وَابْنَةَ الْخَالَةِ. وَكَانَ الْيَهُودُ يَقُولُونَ: لَا تَحْرُمُ الْأُخْتُ الَّتِي لِلْأَبِ وَلَا تَحْرُمُ الْعَمَّةُ وَلَا الْخَالَةُ وَلَا الْعَمُّ وَلَا الْخَالُ. وَعَبَّرَ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ بِالشَّهَوَاتِ لِأَنَّ مَجِيءَ الإسلام قَدْ بَيَّنَ انْتِهَاءَ إِبَاحَةِ مَا أُبِيحَ فِي الشَّرَائِعِ الْأُخْرَى، بَلْهَ مَا كَانَ حَرَامًا فِي الشَّرَائِعِ كُلِّهَا وَتَسَاهَلَ فِيهِ أهل الشّرك.اهـ.

([1]) (سورة النساء: 23).

([2]) (التحرير والتنوير(5/ 21)).

❋ التوسط مع الزوجة

الزوجة نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى على العبد، وقد خلقها الله عز وجل من ضلع آدم، فقال النبي ﷺ: «**استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه**»[1].

([1]) «صحيح البخاري» (3331)، و«صحيح مسلم» (1468).

فينبغي على العبد أن يتوسط مع زوجته وفي معاملته لزوجته، فلا يكون شديداً، فظاً غليظ القلب، ولا يكون متميِّعاً مع زوجته مفرّطا، وعليه أن يعاملها بالرفق واللين، وهذا هو الأصل في معاملة المرأة، أن تعامل بالرفق واللين والإحسان والكلام الحسن.

❍ **قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾**(1)، فالأصل أن المرأة تعامل بالخلق الحسن والكلمة الطيبة.

وقد أوصانا النبي ﷺ بها، فلا تُعامل كذلك بالتفريط، لأن النساء ناقصات عقل ودين، فلو تركها الزوج وما أرادت ربما أكثرت من الخروج بغير إذن، ومن الخروج للأسواق، وربما قالت ما تريد وفعلت ما تريد، ولكن على الإنسان أن يتوسط فيكون شديدا في موضع الشدة، سموحًا في موضع السماحة، والحكمة وضع الشيء في موضعه، والوسطية مع الزوجة هي التي تجعلها صالحة بإذن الله تعالى، فلا يكون الإنسان شديدا دائما، ولا يكون متميّعا معها مفرِّطاً في جميع أحواله.

وإليك بعض الأدلّة التي تبيّن ذلك:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**»(2).

---

(1) (سورة الإسراء: 53).

(2) «صحيح البخاري» (3331).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**كنت لك كأبي زرع لأم زرع**»[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**» [2].

ولذا فليعلم العاقل أموراً:

- **أولا**: أن الحق في معاملة المرأة هو الشدة في مواضع واليسر في مواضع، فاللبيب يعالج امراته بالت يهي أحسن وليغلب جانب اللين والرفق، وليعلم أن المرأة ناقصة عقل ودين.

- **ثانيا: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾**[3]، جاء في تفسيرها أنها المرأة والطفل، فالرجل اللبيب المتوسط هو الذي لا يعطي زوجته ماله حتى تتصرف فيه، لأن المرأة في مسألة المال لا تصرف لها يُحمد إلا من رحم الله منهنّ، ولا كذلك يمنعها ما أوجب الله لها من حقوق وملبس ومأكل ومشرب، والعاقل يتوسط في ذلك فلا يقصِّر في حقها، ولا يثق بها كلّ الوثوق، وهذا هو ما أمر الله به.

- **ثالثا**: قد تحتاج المرأة إلى شدّة أحيانا، لصلاحها، فتحتاج إلى شدة في

---

(1) «صحيح البخاري» (5189).

(2) «صحيح مسلم» (1469).

(3) (سورة النساء: 5).

معاملتها فلا يؤذن لها مثلا بالخروج، ويؤذن لها بالخروج إلى زيارة أبويها.

وقد قال النبي ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»[1]، رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه.

فحثّ النبي ﷺ أن المرأة لا تمنع من الخروج إلى المساجد للعبادة، والناس في ذلك بين إفراط وتفريط.

فمن الناس من لا يراعي مسئوليته لأهله، فيدع لزوجته حريتها تخرج أينما شاءت، ويترك الحبل على الغارب، وتدخل متى شاءت، ومن الناس من يشدّ على زوجته حتى يضيّق صدرها، فلا يأذن لها بالخروج إلى المسجد، ولا الخروج إلى زيارة أبويها وأقاربها بعضهم لفرط غيرته وبعضهم لظلمه، والحقّ هو الوسطية في ذلك كلّه.

وهناك أدلة صحيحة تدلّ على أن النبي ﷺ هجر نساءه شهراً، وهو عليه الصلاة والسلام سيد البشر، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [2]، فكان في ذلك غاية الحكمة وغاية الخلق الحسن، ولولا خشية الإطالة لذكرنا كثيرًا من الأدلة في ذلك.

- **رابعاً**: على الرجل أن يحث زوجته دائمًا وأبدًا على طاعة الله، وأن يصلحها بالكتاب والسنة، وأن يعلّمها الدين، فلا يتركها بدون تعليم، فإنها أمانة

(1) «صحيح البخاري» (900) «صحيح مسلم» (442).

(2) (سورة القلم: 4).

وهو مسئول عنها أمام الله لقول النبي ﷺ: «**كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته**»[1]، وقال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾[2]. وعليه أن يعلِّمها بالرفق واللين وينصحها فيما يراها مقصِّرة فيه بالأسلوب الحسن والموعظة الحسنة في الوقت المناسب.

❋ التوسط في الطعام

الطعام والشراب، من نعم الله عز وجل العظيمة التي أمر الله تعالى العباد أن يأكلوا ويشربوا ولا يسرفوا، وأن يحمدوا الله عليها، فكم من إنسان لا يحمد الله على ما آتاه الله تعالى من رزق طيب حسن، فيأكل مما يشاء، وربما يجتمع عنده في المائدة الواحدة أكثر من صنف من الطعام، ولا يحمد الله سبحانه وتعالى، بل يسرف ويرمي ببعض الطعام في النفايات.

❍ **قال القحطاني**[3]:

لا تكثـرن ولا تقلـل واقتصـد فالقصـد والتوفيـق مصـطحبان

وبعض الناس يترك الطعام والشراب حتى يصاب بالوسوسة، إما زعمًا منه أن

---

(1) «صحيح البخاري» (893)، (5200)، (7138)، و«صحيح مسلم» (1829).

(2) (سورة التحريم: 6).

(3) «القصيدة النونية» (ص/ 37).

الطعام والشراب ينافي الزهد، أو أنه يترك ذلك تعنتاً.

فلذا أمر الله تعالى بالأكل والشرب، وقد شبع النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة، فأكل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبو بكر وعمر حتى شبعوا[1].

❍ وقال الله تعالى: **﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**[2].

❍ **قال الطبري** رحمه الله[3]:«**﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾** ، من الكساء واللباس **﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا﴾** ، من طيبات ما رزقتكم، وحللته لكم **﴿وَاشْرَبُوا﴾** ، من حلال الأشربة، ولا تحرموا إلا ما حرمت عليكم في كتابي أو على لسان رسولي محمد ﷺ».

وروي عن ابن عباس قال: «أحل الله الأكل والشرب، ما لم يكن سرفا أو مخيلة»[4].

([1]) "صحيح مسلم" (2038).

([2]) (سورة الأعراف: 31، 32).

([3]) «جامع البيان في تأويل القرآن» (12/ 389).

([4]) «جامع البيان في تأويل القرآن» (12/ 394).

❍ **قال ابن القيم**[1]: «وكذلك هم وسط – أي أهل الإسلام – في المطاعم والمشارب بين اليهود الذين حرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم وبين النصارى الذين يستحلون الخبائث فأحل الله لهذه الأمة الوسط الطيبات وحرم عليهم الخبائث وكذلك لا تجد أهل الحق دائما إلا وسطًا بين طرفي الباطل».

فلا حرج على الإنسان أن يشبع ويحمد الله ، وإن جاع أحيانًا، حمد الله سبحانه وتعالى على ما آتاه الله، وعلى ما رزقه الله سبحانه وتعالى.

فالوسطية في الطعام والشراب أن لا يكثر الإنسان من الأطعمة التي لا حاجة لها بل سيحاسبه الله عليها، ويُبذِّر ويشتري ما لا يأكله هو وأهله وأولاده ويسرف كفعل بعض المترفين، ولا كذلك يحرم أولاده وأهله من الخير الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى، فيتوسط في ذلك عملا بقول الله سبحانه وتعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾** [2].

❋ التوسط في الوليمة

الوليمة مما شرعه الله عز وجل وحثّ عليها النبي ﷺ، لكن الناس في ذلك بين إفراط وتفريط، فمنهم من يسرف في وليمته ويتكلف ما لا طاقة له به، أو إنه إن لم يتكلف وكان ميسورا، يذبح ويقدِّم للناس ما لا يأكلوه، ويكون ذلك

(1) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (243/2).

(2) (سورة الفرقان: 67).

من الإفراط والتبذير، ونهايته مما يرمى — والله المستعان -.

ومنهم من يكون شديد البخل لا يُكرم ضيفه ولا يعطي إخوانه حتى يشبعهم، فالنبي ﷺ دلّ على الوسطية في ذلك سواء في الوليمة أو في المهور، أيضًا من الناس من يتكلف في المهر فيطلب المال الكثير الذي نهايته إلى غير البركة، ومن الناس من يكون بخيلا في ذلك فلا يعطي أهله ما تعطى مثلها من النساء، والحق في ذلك هو الوسط.

فلا يتوسع المسلم حتى يحصل الإسراف ولا يترك هذه السنة فعن أنس رضي الله عنه، قال: قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي ﷺ، بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وكان سعد ذا غنى، فقال لعبد الرحمن: أقاسمك مالي نصفين وأزوجك، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فما رجع حتى استفضل أقطا وسمنا، فأتى به أهل منزله، فمكثنا يسيرا أو ما شاء الله، فجاء وعليه وضر من صفرة، فقال له النبي ﷺ: «**مهيم**»، قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «**ما سقت إليها؟**» قال: نواة من ذهب، - أو وزن نواة من ذهب - قال: «**أولم ولو بشاة**»[1].

وأيضا قد بيّن النبي ﷺ أن شر الطعام طعام الوليمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه ﷺ كان يقول: «**شر الطعام طعام الوليمة، يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء، ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله ﷺ**»[2].

(1) «صحيح البخاري» (2049).

(2) «صحيح البخاري» (5177) .

والعدل أن الإنسان يدعو الصالحين ممن عرف ومن كان صاحباً له وممن هم أقرباءه سواء كانوا من الأغنياء أو من الفقراء، فهذا هو الاعتدال، أما أن يُدعى الأغنياء فقط أو يُدعى الفقراء فقط فإنّ هذا هو الإفراط والتفريط- والله المستعان - .

❋ التوسط في اللباس

واللباس أيضا نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى فرّط فيه بعض الناس بخلاً، وأفرط آخرون كبراً، والوسطية في استعمال اللباس أن يلبس العبد من أوسط اللباس، مما أحل الله عز وجل له، ولا حرج أن يشتري من اللباس ما يكون زينة له وما يلبسه في الأعياد والجمعة.

ولا يتكلف من اللباس بما يكون فيه إسراف، ولا يرغب عن اللباس الذي أنعم الله عز وجل به عليه رغبة في التقشّف والتزاهد الذي يعمله بعض الصوفية.

❍ **فمن الأدلة على ذلك:**

❍ **قال الله تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾** [1].

❍ **قال الطبري** رحمه الله[2]: «قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه للجهلة من

---

(1) (سورة الأعراف: 26).

(2) «جامع البيان في تأويل القرآن» (12/ 360، 361).

العرب الذين كانوا يتعرون للطواف، اتباعا منهم أمر الشيطان، وتركا منهم طاعة الله، فعرفهم انخداعهم بغروره لهم، حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذي أنعم به عليهم، حتى أبدى سوءاتهم وأظهرها من بعضهم لبعض، مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به، وأنهم قد سار بهم سيرته في أبويهم آدم وحواء اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما ستر الله الذي كان أنعم به عليهما حتى أبدى لهما سوءاتهما فعراهما منه: ﴿**يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا**﴾ ، يعني بإنزاله عليهم ذلك، خلقه لهم، ورزقه إياهم، و«اللباس» ما يلبسون من الثياب ﴿**يُوَارِي سَوْآتِكُمْ**﴾ ، يقول: يستر عوراتكم عن أعينكم. ثم روى عن مجاهد، في قول الله: ﴿**لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ**﴾، قال: كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة، ولا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه»؛ اهـ.

والنبي ﷺ قد أخبر أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، وأن يرى أثر نعمته في لباس عبده وهيئته، فعن أبي الأحوص، عن أبيه، قال: أتيت النبي ﷺ في ثوب دون، فقال: «**ألك مال؟**» قال: نعم، قال: «**من أي المال؟**» قال: قد آتاني الله من الإبل، والغنم، والخيل، والرقيق، قال: «**فإذا آتاك الله مالاً فلير أثر نعمة الله عليك، وكرامته**»(1).

ومما يحب الله تعالى إظهار نعمته على العبد فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**» وفي الباب عن أبي الأحوص، عن أبيه، وعمران بن حصين، وابن

(1) «سنن أبي داود» (4063)، وصححه الألباني.

مسعود، وهذا حديث حسن [1].

وعن أبي رجاء العطاردي قال: خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**من أنعم الله عليه نعمة، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه**» وإسناده صحيح[2].

❍ **قال الألوسي**[3]: «وأما لباسه؛ فكان رضي الله تعالى عنه متوسطًا في لباسه لا يلبس فاخر الثياب بحيث يرمق ويمد النظر إليه، ولا أطماراً ولا غليظة تشهر لابسها من عالم أو عابد، بل كان لباسه وهيئته كغالب الناس ومتوسطيهم، ولم يكن يلبس نوعاً واحداً من اللباس، بل يلبس ما اتفق وحصل، ويأكل ما حضر، وكانت بذاذة الإيمان عليه ظاهرة، لا يرى متصنعاً في عمامة ولا لباس، ولا مشية ولا قيام، ولا جلوس، ولم يسمع أنه أمر أن يتخذ له ثوب بعينه، بل كان أهله يأتون بلباسه وقت حاجته لبدل ثيابه التي عليه، وربما اتسخت ولا يأمر بغسلها حتى يسأله أهله ذلك، وكذا كان في المأكل، فما سمع أنه طلب طعاماً قط ولا عشاء ولا غذاء ولو بقي مهما بقي لشدة اشتغاله بما هو فيه من العلم والعمل، بل كان ربما يؤتى بالطعام وربما يترك عنده فيبقى

(1) «سنن الترمذي» (2819).

(2) «مسند الإمام أحمد بن حنبل» (19934).

(3) «غاية الأماني في الرد على النبهاني» (2/ 210، 211).

زماناً حتى يلتفت إليه[1]، وإذا أكل يأكل شيئاً يسيراً، وما ذكر من ملاذ الدنيا ونعيمها، ولا كان يخوض في شيء من حديثها ولا يسأل عن شيء من معيشتها، بل جل همه وحديثه في طلب الآخرة وما يقرب إلى الله تعالى» اهـ..

❋التوسط في النوم

النوم نعمة من نعم الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[2].

فالنوم نعمة عظيمة، لا يستطيع الإنسان أن يعيش بدونها، وقد جمع الله للعباد بين الليل والنهار، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [3]، فالليل يعتبر نعمة، ويعتبر النوم فيه نعمة، ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا**﴾ [4].

ومن الناس من أفرط في النوم، ومنهم من فرّط، فمنهم من يكثر النوم في ليله ونهاره، وهؤلاء هم أصحاب الكسل والخمالة والبطالة، الذين ليس لهم همة في أداء حق الله، ولا في القيام بأداء حقوق أزواجهم وأولادهم.

([1]) هذا يحتاج إلى حديث مسند مرفوع صحيح.

([2]) (سورة الروم: 23).

([3]) (سورة القصص: 72).

([4]) (سورة الفرقان: 47).

ومن الناس من ابتعد عن النوم، وعن هذه النعمة، إما لقصد العبادة وإما لأمر آخر إما مباح أو حرام، فهذا كلّه يضرّ البدن، أما كان سهره في معصية الله فإنه يضر الدين والدنيا ويمحق البركة – والعياذ بالله –.

فالحق هو الوسط وهو ما دل عليه الكتاب والسنة، وما جاء في حديث النبي ﷺ عن أنس أنه قال: «**أما أنا فأقوم وأنام**»[1]، فهذا هديه وسنته وطريقته التي قال فيها: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[2]، وليس هذا من عادات النبي ﷺ المباحة التي للإنسان أن يجتهد فيها ويتركها، وإن أراد أن يقوم الليل كلّه قام ولا ينام، فإن هذا مخالفة للسنة التي من رغب عنها فليس منا وليس على طريقتنا.

ومن غلاة الصوفية من يقوم الليل كلّه، ويصوم النهار، ولكنّه – والعياذ بالله – على غير هدي رسول الله، ويكون ذلك سببًا في بدعته وضلاله وهواه، فخير الهدي هديه وهو القائل عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم عن عائشة، قالت: «وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، وَلَا صَلَّى لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ»[3]، فهذا هديه سنّته.

فمن أراد الوسطية والاعتدال فعليه بالقيام بما أمر واتباع سنته ﷺ، والله

---

(1) «صحيح البخاري» (6923).

(2) «صحيح البخاري» (5063).

(3) «صحيح مسلم» (746).

المستعان.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[1].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: «**ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ**»[2] .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في الرؤيا، قال: «**أما الذي يثلغ رأسه بالحجر، فإنه يأخذ القرآن، فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة**»[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ حِمَارٍ بِالنَّهَارِ عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا جَاهِلٍ بِأَمْرِ**

---

(1) «صحيح البخاري» (5063).

(2) «صحيح البخاري» (1144)، و«صحيح مسلم» (774).

(3) «صحيح البخاري» (1143).

الْآخِرَةِ»[1].

❍ **قال الوادعي** رحمه الله[2]: «رجاله كلهم ثقات، ولكن أبا حاتم يقول: سعيد بن أبي هند لم يلق أبا هريرة كما في «المراسيل» ونقل هذا الحافظ العلائي في «جامع التحصيل»» اهـ.

والناس في ذلك بين مفرط ومفرط فمنهم من يكثر نومه ليلا أو نهارا ومنهم من يقصر في حق جسده حتى يصاب بالمرض والفتور والملل.

قال ابن القيم[3]: مَنْ تَدَبَّرَ نَوْمَهُ وَيَقَظَتَهُ - ﷺ - وَجَدَهُ أَعْدَلَ نَوْمٍ، وَأَنْفَعَهُ لِلْبَدَنِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْقُوَى، فَإِنَّهُ كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيَسْتَيْقِظُ فِي أَوَّلِ النِّصْفِ الثَّانِي، فَيَقُومُ وَيَسْتَاكُ، وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، فَيَأْخُذُ الْبَدَنُ وَالْأَعْضَاءُ، وَالْقُوَى حَظَّهَا مِنَ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ، وَحَظَّهَا مِنَ الرِّيَاضَةِ مَعَ وُفُورِ الْأَجْرِ، وَهَذَا غَايَةُ صَلَاحِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ مِنَ النَّوْمِ فَوْقَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ، وَلَا يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَكَانَ يَفْعَلُهُ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، فَيَنَامُ إِذَا دَعَتْهُ الْحَاجَةُ إِلَى النَّوْمِ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ذَاكِرًا اللَّهَ حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنَاهُ، غَيْرَ مُمْتَلِئِ الْبَدَنِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَا مُبَاشِرٍ بِجَنْبِهِ الْأَرْضَ، وَلَا مُتَّخِذٍ لِلْفُرُشِ الْمُرْتَفِعَةِ، بَلْ لَهُ

---

(1) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (72).

(2) «أحاديث معلة ظاهرها الصحة» (435).

(3) « زاد المعاد في هدي خير العباد » (4/ 219).

ضِجَاعٌ مَنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ، وَكَانَ يَضْطَجِعُ عَلَى الْوِسَادَةِ، وَيَضَعُ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ أَحْيَانًا..اهـ

❋الاعتدال والوسطية في التنعم والترفه

لا بأس أن يترفه الإنسان بالحلال، ولكن عليه بالاعتدال في ذلك بين الإسراف وبين البخل، وبين التشدد وبين الرخاوة والليونة التي تجعله متشبها بالنساء.

فعَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى: «**أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّزِرُوا، وَارْتَدُوا، وَأَلْقُوا السَّرَاوِيلَاتِ، وَأَلْقُوا الْخِفَافَ، وَاحْتَفُوا، وَانْتَعِلُوا، وَقَابِلُوا بَيْنَهُمَا، وَاخْشُنُوا، وَاخْشَوْشِنُوا، وَاخْلَوْلِقُوا، وَتَمَعْدَدُوا، فَإِنَّكُمْ مَعَدٌّ، وَارْتَمُوا الْأَغْرَاضَ، وَاقْطَعُوا الرُّكُبَ، وَانْزُوا عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ نَزْوًا، وَاسْتَقبِلُوا بِوُجُوهِكُمُ الشَّمْسَ، فَإِنَّهَا حَمَّامَاتُ الْعَرَبِ، وَإِيَّاكُمْ وَزِيَّ الْأَعَاجِمِ، وَتنَعُّمَهُمْ، وَعَلَيْكُمْ بِلِبْسَةِ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ**»[1].

وعن عُمَرَ، قال: «**انْتَضِلُوا، وَتَمَعْدَدُوا وَاخْشَوْشِنُوا**»[2]، وعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ، يَقُولُ: أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ مَعَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ:

---

(1) «مصنف عبد الرزاق/ جامع معمر بن راشد» (19994)، وهو في «شعب الإيمان» للبيهقي (13/ 176).

(2) «مصنف ابن أبي شيبة» (26328)، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّزِرُوا وَارْتَدُوا وَانْتَعِلُوا وَارْمُوا بِالْخِفَافِ وَاقْطَعُوا السَّرَاوِيلَاتِ، وَعَلَيْكُمْ بِلِبَاسِ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ وَزِيَّ الْعَجَمِ، وَعَلَيْكُمْ بِالشَّمْسِ فَإِنَّهَا حَمَّامُ الْعَرَبِ، وَاخْشَوْشِنُوا وَاخْلَوْلِقُوا وَارْمُوا الْأَغْرَاضَ، وَانْزُوا نَزْوًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الْحَرِيرِ إِلَّا هَكَذَا: أُصْبُعَيْهِ وَالْوسْطَى وَالسَّبَّابَةِ» قَالَ: فَمَا عَلِمْنَا أَنَّهُ يَعْنِي إِلَّا الْأَعْلَامَ. وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وأما معانيه فقال أبو عبيد[1]: إخشوشنوا هو من الخشوفة في اللباس والمطعم، واخشوشبوا أيضا شبيه به، وهو من الغلظ وابتذال النفس في العمل، والاحتفاء في المشي ليغلظ الجسد.

وقال: يقال: تمعدد الغلام، إذا شب وغلظ. وتمعدوا: تشبهوا بعيش معد وكانوا أهل قشف وغلظ في المعاش، يقول: كونوا مثلهم، ودعوا التنعم وزي العجم.اهـ

وأما قوله: «اقطعوا الركب» فتابع معمرا عليه شعبة عند الإسماعيلي كما في «الفتح»[2].

والمسلمون بحاجة ماسة إلى فهم هذه المسألة، والعمل بها؛ فإنه قد يأتي على العبد من البلاء ما لا يطيقه من تعود على التنعم ولم يوطن نفسه على التقشف، وتَحمُّل ما يأتيه من البلاء، والبأساء والضراء.

([1]) «غريب الحديث» (325/3).

([2]) « فتح الباري» (2/ 191).

قلت: ومن هذا الباب نهي النبي صلى الله عليه وعلى وسلم عن الترجل إلا غبًا[1].

قال ابن حجر[2]: «وأما حديث النهي عن الترجل إلا غبا – يعني الحديث الذي أشرت إليه قريبا – فالمراد به ترك المبالغة في الترفه وقد روى أبو أمامة بن ثعلبة رفعه «**البذاذة من الإيمان**»[3].

وهو حديث صحيح أخرجه أبو داود، والبذاذة رثاثة الهيئة، والمراد بها هنا ترك الترفه والتنطع في اللباس والتواضع فيه مع القدرة لا بسبب جحد نعمة الله تعالى.

وأخرج النسائي[4] من طريق عبد الله بن بريدة «أن رجلا من الصحابة يقال له عبيد قال: كان رسول الله ﷺ ينهى عن كثير من الإرفاه» قال ابن بريدة: الإرفاه الترجل.

قلت: الإرفاه بكسر الهمزة وبفاء وآخره هاء التنعم والراحة، ومنه الرفه بفتحتين وقيده في الحديث بالكثير إشارة إلى أن الوسط المعتدل منه لا يذم،

(1) « سنن أبي داود» (4/ 75) .

(2) «فتح الباري» (368/10).

(3) « سنن أبي داود» (4161) وفيه عنعنة ابن إسحاق ولكن له طرق يحسن بها، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في والصحيحة: 341.

(4) « سنن النسائي» (5239) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في التعليق على السنن.

وبذلك يجمع بين الأخبار».اهـ

قال الخطابي في معالم السنن [1]: الإرفاه: الاستكثار من الزينة وأن لا يزال يهيئ نفسه، وأصله من الرفه، وهو أن ترد الإبل الماء كل يوم، فإذا وردت يوماً ولم ترد يوماً فذلك الغِبُّ ... قال: كره رسول الله - ﷺ - الإفراط في التنعُّم والتدلُّك والتدهن والترجيل في نحو ذلك من أمر الناس، فأمر بالقصد في ذلك، وليس معناه ترك الطهارة والتنظيف، فإن الطهارة والنظافة من الدين. والله أعلم.اهـ

وأخرج أبو داود بسند حسن عن أبي هريرة رفعه «من كان له شعر فليكرمه» [2].

وفي ذلك قلت:

فـلا تتـنعم كمثـل النسـاء   ولا ترفـه كفعـل العجـم
وجمـل ثيابًـا تـزين بهـا   لينظـر ربـك فيـك النـعم

❋ التوسط في القسَم

يجوز للإنسان أن يقسم على ما علمه من الحق، وقد أقسم الله تعالى في

---

(1) « معالم السنن» (4/ 208).

(2) « سنن أبي داود» (4/ 76) وعلق عليه الشيخ الألباني رحمه الله: حسن .

آيات كثيرة، وأقسم نبيه ﷺ على أمور عظيمة.

والناس في الأيمان بين إفراط وتفريط، فمن الناس من يكثر من الحلف في كلّ أمر حتى يقع في الكذب والحلف على الكذب.

والحق أن الإنسان لا يقسم إلا على ما علمه حقّا، ولا يكثر من ذلك في كلّ كلامه.

❍ **قال الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[1].

قوله: **﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾** أما ابن كثير وابن جرير فلم يذكرا غير معنى كفروا عنها.

❍ **وقال السعدي**[2]: «**﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾** عن الحلف بالله كاذبا، وعن كثرة الأيمان، واحفظوها إذا حلفتم عن الحنث فيها، إلا إذا كان الحنث خيرا، فتمام الحفظ: أن يفعل الخير، ولا يكون يمينه عرضة لذلك الخير»اهـ.

ولا بأس أن يقسم الإنسان على شيء مستيقن كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»[3].

([1]) (سورة المائدة: 89).

([2]) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص/ 242).

([3]) «صحيح البخاري» (14).

وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب، فيحطب، ثم آمر بالصلاة، فيؤذن لها، ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال، فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم، أنه يجد عرقًا سمينًا، أو مرماتين حسنتين، لشهد العشاء**»[1].

وفي الباب جملة من الأحاديث جمعناها في جزء مستقل.

الوسطية والاعتدال في التقدم والتطور

الدين لا ينافي التقدم المباح باعتدال بل قد يكون التقدم نعمة من نعم الله تعالى على عباده، ولكن من الناس من يريد التقدم مع التنازل عن دينه وقيمه وشرفه ورجولته.

والناس في هذا بين غلو وجفاء وإفراط وتفريط، فمنهم من يكون بعيدا عن نعم الله التي سهلها لعباده من التقدم الحديث والمتاح من المركب وأسباب التواصل وصلة الرحم.

ومنهم من يتوسع في كل ما صنعه الكفار وما قدمه أعداء الله لإفساد العباد.

فقد امتن الله تعالى على عباده بالمركوبات الحيوانية وأشار الى الحديثة فقال جل وعلا: ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾

(1) «صحيح البخاري» (644).

[1].

❍ **وقال السعدي**[2]: «﴿**وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء، التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في منافعهم ومصالحهم، فإنه لم يذكرها بأعيانها، لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون نظيره، وأما ما ليس له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم يعرفوه ولم يفهموا المراد منه، فيذكر أصلا جامعا يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون».

❍ **وقال الشنقيطي** رحمه الله [3]: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ ذَكَرَ جل وعلا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ يَخْلُقُ مَا لَا يَعْلَمُ الْمُخَاطَبُونَ وَقْتَ نُزُولِهَا، وَأَبْهَمَ ذَلِكَ الَّذِي يَخْلُقُهُ ؛ لِتَعْبِيرِهِ عَنْهُ بِالْمَوْصُولِ، وَلَمْ يُصَرِّحْ هُنَا بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَلَكِنْ قَرِينَةُ ذِكْرِ ذَلِكَ فِي مَعْرِضِ الِامْتِنَانِ بِالْمَرْكُوبَاتِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْهُ مَا هُوَ مِنَ الْمَرْكُوبَاتِ، وَقَدْ شُوهِدَ ذَلِكَ فِي إِنْعَامِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِمَرْكُوبَاتٍ لَمْ تَكُنْ مَعْلُومَةً وَقْتَ نُزُولِ الْآيَةِ: كَالطَّائِرَاتِ، وَالْقِطَارَاتِ، وَالسَّيَّارَاتِ.

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ إِشَارَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ. قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ رحمه الله فِي صَحِيحِهِ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ سَعِيدِ

---

(1) (سورة النحل: 8).

(2) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص/ 436).

(3) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (2/ 334).

بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ مِينَاءَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: **«وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»**[1].

وَمَحَلُّ الشَّاهِدِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ قَوْلُهُ - ﷺ -: **«وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا»** ؛ فَإِنَّهُ قَسَمٌ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ سَتُتْرَكُ الْإِبِلُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَهَذَا مُشَاهَدٌ الْآنَ لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْ رُكُوبِهَا بِالْمَرَاكِبِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مُعْجِزَةٌ عُظْمَى، تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ - ﷺ -، وَإِنْ كَانَتْ مُعْجِزَاتُهُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ - أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ» اهـ.

قلت: والحق هو التوسط في ذلك كله، فقد خدمنا الغير وقدموا ما به نصل رحمنا وننشر ديننا، ولكن لا نتوسع في الحرام وندخل في خطوات الشيطان وسبل الهوى والشهوات والشبهات، التي من وقع فيها فقد وقع في الحرام.

تقــدم تطــور بشــتى المهــن   وديـنَــك فــالزم وقــم بالسـنن
توسّــطْ أَخِــيْ واعتــدل وانتهـي   عــن المنكــرات وســوء الفــتن
تقــدم لــدينك فيمــا أحــل   فإنــك للــدين ذا مــؤتمن
تقـدم إلـى المجـد واعمـل بمـا   سـيجعل دينـك دينًـا حسـن

([1]) «صحيح مسلم» (155).

وصدق من قال:

إذا كان ترك الدين يعني تقدما ... فيا نفس موتي قبل أن تتقدمي

❍ **وتأمل ما قال الشنقيطي** رحمه الله [1] فإنه مفيد للغاية، قال في معنى قول الله تعالى: **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾**:

«وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: هَدْيُهُ إِلَى أَنَّ التَّقَدُّمَ لَا يُنَافِي التَّمَسُّكَ بِالدِّينِ، فَمَا خَيَّلَهُ أَعْدَاءُ الدِّينِ لِضِعَافِ الْعُقُولِ مِمَّنْ يَنْتَمِي إِلَى الإسلام: مِنْ أَنَّ التَّقَدُّمَ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِالِانْسِلَاخِ مِنْ دِينِ الإسلام، بَاطِلٌ لَا أَسَاسَ لَهُ، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَدْعُو إِلَى التَّقَدُّمِ فِي جَمِيعِ الْمَيَادِينِ الَّتِي لَهَا أَهَمِّيَّةٌ فِي دُنْيَا أَوْ دِينٍ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ التَّقَدُّمَ فِي حُدُودِ الدِّينِ، وَالتَّحَلِّي بِآدَابِهِ الْكَرِيمَةِ، وَتَعَالِيمِهِ السَّمَاوِيَّةِ ؛ قَالَ تَعَالَى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الْآيَةَ، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** الْآيَةَ. فَقَوْلُهُ: **﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾** يَدُلُّ عَلَى الِاسْتِعْدَادِ لِمُكَافَحَةِ الْعَدُوِّ، وَقَوْلِهِ: **﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الِاسْتِعْدَادَ لِمُكَافَحَةِ الْعَدُوِّ فِي حُدُودِ الدِّينِ الْحَنِيفِ، وَدَاوُدُ مِنْ أَنْبِيَاءِ «سُورَةِ الْأَنْعَامِ» الْمَذْكُورِينَ فِيهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ﴾** الْآيَةَ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى مُخَاطِبًا لِنَبِيِّنَا ﷺ وَعَلَيْهِم بَعْدَ أَنْ

---

[1] «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (3/ 26).

ذَكَرَهُمْ: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ السَّجْدَةَ «فِي ص» فَقَالَ: أَوَمَا تَقْرَأُ: ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ**﴾ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾، فَسَجَدَهَا دَاوُدُ، فَسَجَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَا مُخَاطَبُونَ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَةُ مِمَّا أُمِرَ بِهِ دَاوُدُ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِدَّ لِكِفَاحِ الْعَدُوِّ مَعَ التَّمَسُّكِ بِدِينِنَا، وَانْظُرْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ فَهُوَ أَمْرٌ جَازِمٌ بِإِعْدَادِ كُلِّ مَا فِي الِاسْتِطَاعَةِ مِنْ قُوَّةٍ وَلَوْ بَلَغَتِ الْقُوَّةُ مِنَ التَّطَوُّرِ مَا بَلَغَتْ، فَهُوَ أَمْرٌ جَازِمٌ بِمُسَايَرَةِ التَّطَوُّرِ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَعَدَمِ الْجُمُودِ عَلَى الْحَالَاتِ الْأُوَلِ إِذَا طَرَأَ تَطَوُّرٌ جَدِيدٌ، وَلَكِنْ كُلُّ ذَلِكَ مَعَ التَّمَسُّكِ بِالدِّينِ.

وَمِنْ أَوْضَحِ الْأَدِلَّةِ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ**﴾ الْآيَةَ؛ فَصَلَاةُ الْخَوْفِ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَدُلُّ عَلَى لُزُومِ الْجَمْعِ بَيْنَ مُكَافَحَةِ الْعَدُوِّ، وَبَيْنَ الْقِيَامِ بِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ جل وعلا مِنْ دِينِهِ، فَأَمْرُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي وَقْتِ الْتِحَامِ الْكِفَاحِ الْمُسَلَّحِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةً فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ فَأَمْرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ

الْكَرِيمَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا عِنْدَ الْتِحَامِ الْقِتَالِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا دَلَالَةً وَاضِحَةً، فَالْكُفَّارُ خَيَّلُوا لِضِعَافِ الْعُقُولِ أَنَّ النِّسْبَةَ بَيْنَ التَّقَدُّمِ وَالتَّمَسُّكِ بِالدِّينِ، وَالسِّمَاتِ الْحَسَنَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، تَبَايُنُ مُقَابَلَةٍ كَتَبَايُنِ النَّقِيضَيْنِ كَالْعَدَمِ وَالْوُجُودِ،....اهـ

ثم قال: فَخَيَّلُوا لَهُمْ أَنَّ التَّقَدُّمَ وَالتَّمَسُّكَ بِالدِّينِ مُتَبَايِنَانِ تَبَايُنَ مُقَابَلَةٍ، بِحَيْثُ يَسْتَحِيلُ اجْتِمَاعُهُمَا، فَكَانَ مِنْ نَتَائِجِ ذَلِكَ انْحِلَالُهُمْ مِنَ الدِّينِ رَغْبَةً فِي التَّقَدُّمِ، فَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ النِّسْبَةَ بَيْنَ التَّقَدُّمِ وَالتَّمَسُّكِ بِالدِّينِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْعَقْلِ وَحْدَهُ، وَقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِنَّمَا هِيَ تَبَايُنُ الْمُخَالَفَةِ، وَضَابِطُ الْمُتَبَايِنَيْنِ تَبَايُنَ الْمُخَالَفَةِ أَنْ تَكُونَ حَقِيقَةُ كُلٍّ مِنْهُمَا فِي حَدِّ ذَاتِهَا تُبَايِنُ حَقِيقَةَ الْآخَرِ، وَلَكِنَّهُمَا يُمْكِنُ اجْتِمَاعُهُمَا عَقْلًا فِي ذَاتٍ أُخْرَى ؛ كَالْبَيَاضِ وَالْبُرُودَةِ، وَالْكَلَامِ وَالْقُعُودِ، وَالسَّوَادِ وَالْحَلَاوَةِ....فَكَمَا أَنَّ الْجِرْمَ الْأَبْيَضَ يَجُوزُ عَقْلًا أَنْ يَكُونَ بَارِدًا كَالثَّلْجِ، وَالْإِنْسَانَ الْقَاعِدَ يَجُوزُ عَقْلًا أَنْ يَكُونَ مُتَكَلِّمًا، فَكَذَلِكَ الْمُتَمَسِّكُ بِالدِّينِ يَجُوزُ عَقْلًا أَنْ يَكُونَ مُتَقَدِّمًا، إِذْ لَا مَانِعَ فِي حُكْمِ الْعَقْلِ مِنْ كَوْنِ الْمُحَافِظِ عَلَى امْتِثَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، مُشْتَغِلًا فِي جَمِيعِ الْمَيَادِينِ التَّقَدُّمِيَّةِ كَمَا لَا يَخْفَى، وَكَمَا عَرَفَهُ التَّارِيخُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أَمَّا بِالنَّظَرِ إِلَى نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ**﴾ الْآيَةَ وَقَوْلِهِ: وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَوْلِهِ: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ**

الْغَالِبُونَ﴾.

وَقَوْلِهِ: **﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**، وَقَوْلِهِ: **﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ: **﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾**، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ.

فَإِنَّ النِّسْبَةَ بَيْنَ التَّمَسُّكِ بِالدِّينِ وَالتَّقَدُّمِ، كَالنِّسْبَةِ بَيْنَ الْمَلْزُومِ وَلَازِمِهِ ؛ لِأَنَّ التَّمَسُّكَ بِالدِّينِ مَلْزُومٌ لِلتَّقَدُّمِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ التَّقَدُّمُ، كَمَا صَرَّحَتْ بِهِ الْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ النِّسْبَةَ بَيْنَ الْمَلْزُومِ وَلَازِمِهِ لَا تَعْدُو أَحَدَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ الْمُسَاوَاةَ أَوِ الْخُصُوصَ الْمُطْلَقَ ؛ لِأَنَّ الْمَلْزُومَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَعَمَّ مِنْ لَازِمِهِ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسَاوِيًا لَهُ أَوْ أَخَصَّ مِنْهُ، وَلَا يَتَعَدَّى ذَلِكَ، وَمِثَالُ ذَلِكَ: الْإِنْسَانُ مَثَلًا، فَإِنَّهُ مَلْزُومٌ لِلْبَشَرِيَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ، بِمَعْنَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَلْزَمُ عَلَى كَوْنِهِ إِنْسَانًا أَنْ يَكُونَ بَشَرًا وَأَنْ يَكُونَ حَيَوَانًا، وَأَحَدُ هَذَيْنِ اللَّازِمَيْنِ مُسَاوٍ لَهُ فِي الْمَاصَدَقِ وَهُوَ الْبَشَرُ. وَالثَّانِي أَعَمُّ مِنْهُ مَا صِدْقًا وَهُوَ الْحَيَوَانُ، فَالْإِنْسَانُ أَخَصُّ مِنْهُ خُصُوصًا مُطْلَقًا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ.

فَانْظُرْ كَيْفَ خَيَّلُوا لَهُمْ أَنَّ الرَّبْطَ بَيْنَ الْمَلْزُومِ وَلَازِمِهِ كَالتَّنَافِي الَّذِي بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ وَالضِّدَّيْنِ، وَأَطَاعُوهُمْ فِي ذَلِكَ لِسَذَاجَتِهِمْ وَجَهْلِهِمْ وَعَمَى بَصَائِرِهِمْ، فَهُمْ مَا تَقَوَّلُوا عَلَى الدِّينِ الإسلاميّ وَرَمَوْهُ بِمَا هُوَ مِنْهُ بَرِيءٌ إِلَّا لِيُنَفِّرُوا مِنْهُ ضِعَافَ الْعُقُولِ مِمَّنْ يَنْتَمِي لِلْإِسْلَامِ لِيُمْكِنَهُمُ الِاسْتِيلَاءُ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَوْ عَرَفُوا الدِّينَ حَقًّا وَاتَّبَعُوهُ لَفَعَلُوا بِهِمْ مَا فَعَلَ أَسْلَافُهُمْ بِأَسْلَافِهِمْ، فَالدِّينُ هُوَ هُوَ، وَصِلَتُهُ

بِاللَّهِ هِيَ هِيَ، وَلَكِنَّ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِ فِي جُلِّ أَقْطَارِ الدُّنْيَا تَنَكَّرُوا لَهُ، وَنَظَرُوا إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْمَقْتِ وَالِازْدِرَاءِ، فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ أَرِقَّاءَ لِلْكَفَرَةِ الْفَجَرَةِ، وَلَوْ رَاجَعُوا دِينَهُمْ لَرَجَعَ لَهُمْ عِزُّهُمْ وَمَجْدُهُمْ، وَقَادُوا جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَهَذَا مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ: ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ» اهـ.

❋ التوسط في طلب الرزق

المال من نعم الله الكونية التي حافظ عليها الدين، والتوسط نعمة من نعم الله الشرعية التي يجب الحفاظ عليها، وهي النجاة في كل مجالات الحياة، وطلب الرزق مشروع وقد حثّ الله عز وجل عباده على ذلك، وحث نبينا ﷺ على الأكل من عمل اليد، ولكن الناس في هذا الباب بين إفراط وتفريط.

والوسطية في هذا الباب أن الإنسان يعلم أن الرزق بيد الله، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يرزق العبد، فعليه أن يؤدي حقّ الله سبحانه وتعالى أولا، وأن يُجمِل في الطلب، فيؤدّي حقّ ربه من الواجبات التي افترضها الله عليه ويسعى في طلب الرزق الحلال، فلا يجمع المال من حلال أو من حرام.

❍ **قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾**[1] .

❍ **قال الطبري**[2]: «ولو بسط الله الرزق لعباده، فوسّعه وكثّره عندهم لبغوا،

([1]) (سورة الشورى: 27).

([2]) «جامع البيان في تأويل القرآن» (25/ 30).

فتجاوزوا الحدّ الذي حدّه الله لهم إلى غير ذلك الذي حدّه لهم في بلاده بركوبهم في الأرض ما حظره عليهم، ولكنه ينزّل رزقهم بقدر لكفايتهم الذي يشاء منه»اهـ.

❍ **وقال ابن كثير**[1]: «أي لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان، من بعضهم على بعض أشرًا وبطرًا. وقال قتادة: كان يقال: خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك»**اهـ**.

فمن الناس من يجعل شغله الشاغل هو طلب الرزق ليل نهار، ويجعل همّه ونيته هي الدنيا، بل بعضهم يجعل همّه هو طلب المال من حلال أو من حرام، ولا يبالي من أين أخذ المال من حلال أو من حرام.

وهذا – والعياذ بالله – سبب لدخول النار، قال النبي ﷺ: «**وَكُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ**»[2].

ومن الناس من يترك أهله وعياله بدون طلب للرزق، فيتكفف الناس ويسأل الناس أموالهم ويقع في ما حرّم الله عليه من السؤال المحرّم.

والحق هو التوسط في ذلك، فيسعى الإنسان في طلب الرزق الحلال بما يكفيه ويكفي أولاده وأهله، ولذا كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم اجعل رزق آل**

(1) «تفسير القرآن العظيم» (4/ 115).

(2) «الروض الداني (المعجم الصغير)» (625).

محمد قوتا»[1]، أي ما يقوتهم ويكفيهم.

فالرزق الكفاف هو الاعتدال، ولو أنّ الإنسان لم يقتنع بما أعطاه الله من الرزق، لجلس تائها يطلب الدنيا ولا يبارك الله عز وجل له فيها، وربما أدى به الحال إلى طلب الحرام، فالقناعة هي الغنا.

قال الشاعر:

رأيـــت القناعـــة أصـــل الغنـــا	فصـــرت بأذيالهـــا ممتســـك
فـــلا ذا يرانـــي علـــى بابـــه	ولا ذا يرانـــي بـــه منهمـــك
فصـــرت غنيـــا بـــلا درهـــم	أمـــرّ علـــى النـــاس شـــبه الملـــك

فالقناعة هي الوسطية والخيار في هذا الباب، ولكن مع السعي في طلب الرزق الحلال حتى يكفي الإنسان أهله وأولاده ولا يجعلهم يتكففون الناس.

وإليك بعض الأدلة المبينة للوسطية في طلب الرزق بين الإفراط والتفريط، وبين الزهد والغلّو في ذلك، الذي صار عليه الصوفية ومن شابههم من أصحاب الرهبانية، وبين المفرّطين في ذلك ممن يجعل همّه ونيّته الدنيا ليلَ نهارَ- عياذًا بالله -:

❍ **قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾**[2].

([1]) «صحيح مسلم» (1055).

([2]) (سورة الملك: 15).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم**»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «**نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**»[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا**»[2].

فهكذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يأكلون مما تعمل أيديهم، عملا بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**﴾. وهذه سنة الله في الخلق أنه سبحانه هيأ الجبال والأشجار والبحار، كلّ ذلك لكي يسعى العباد في طلب معاشهم.

قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**﴾[3].

ولكن حذّر النبي ﷺ من فتنة الدنيا، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[4].

---

(1) «صحيح البخاري» (2262).

(2) «صحيح مسلم» (2379).

(3) (سورة النبأ: 10، 11).

(4) «صحيح مسلم» (2742).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، يحدث: أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله، فقال: «**إن مما أخاف عليكم من بعدي، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**» فقال رجل: يا رسول الله، أويأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي ﷺ، فقيل له: ما شأنك؟ تكلم النبي ﷺ ولا يكلمك؟ فرأينا أنه ينزل عليه؟ قال: فمسح عنه الرحضاء، فقال: «**أين السائل؟**» وكأنه حمده، فقال: «**إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم، إلا آكلة الخضراء، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس، فثلطت وبالت، ورتعت، وإن هذا المال خضرة حلوة، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل** - أو كما قال النبي ﷺ - **وإنه من يأخذه بغير حقه، كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيدا عليه يوم القيامة**»[1].

فانظر كيف حذّر النبي ﷺ من فتنة الدنيا، وصحح مفهوم من يسمى الدنيا كلها خيرا، فإن الخير لا يأتي بالشر، ولكن الدنيا إما أن تكون معونة للعبد المؤمن فهي خير له، وإما أن تكون شقاوة ومشغلة وفتنة للعبد، فهي شرّ بالنسبة له، وإن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحبّ، ولا يعطي الدين إلا من أحبّ.

قال ابن القيم رحمه الله في عدة الصابرين[2]: وفى هذا الحديث اشارة الى

(1) «صحيح مسلم» (1465).

(2) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (ص: 235).

الاعتدال والتوسط بين الشره فى المرعى القاتل بكثرته وبين الاعراض عنه وتركه بالكلية فتهلك جوعا وتضمن الخبر أيضا إرشاد المكثر من المال الى ما يحفظ عليه قوته وصحته فى بدنه وقلبه وهو الاخراج منه وانفاقه ولا يحبسه فيضره حبسه، وبالله التوفيق.اهـ.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أُطَيِّنُ حَائِطًا لِي أَنَا وَأُمِّي، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا عَبْدَ اللَّهِ؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَيْءٌ أُصْلِحُهُ، فَقَالَ: «**الْأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ**»[1].

بل إن التوسع فيها هلكة. فعَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالرُّومُ مُلْصِقُو ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ، فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ، فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ مَهْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: «إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ، وَأَظْهَرَ الإسلام قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[2] فَالْإِلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ»، قَالَ أَبُو عِمْرَانَ: «فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ

---

(1) «سنن أبي داود» (5235)، وصححه الألباني.

(2) (سورة البقرة: 195).

بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ»[1].

فالوسطية في باب طلب الرزق والمال تكون بالسعي في طلب ما أحلّ الله عز وجل من أكل الحلال، وتكون أيضا بعدم الانهماك وراء الدنيا، وتكون بالأخذ من الدنيا بما يكفي الإنسان وما يعينه على طاعة الله سبحانه وتعالى.

وتكون أيضا بالحذر من فتنة الدنيا وفتنة المال فإن النبي ﷺ قد قال: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ**»[2].

فما أحوج الناس للاعتدال في هذا الباب، فإنهم أحوج إليه من الطعام والشراب، فإنّ من افتتن بالدنيا وانشغل بها، يكون كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون مفتوناً بها قلبه وجسده وعينه وبصره وسمعه وليله ونهاره، وهو يلهث وراء الدنيا.

ولا يكون كالذي يتكفف الناس ويسأل الناس، والهداية في كل أمر بيد الله سبحانه وتعالى، والتوفيق من الله عز وجل.

وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**»[3].

❋ التوسط في الأخلاق

([1]) «سنن أبي داود» (2512)، وصححه الألباني.

([2]) «السنن الكبرى للنسائي» (11795)، وهو في «الصحيح المسند» للإمام الوادعي رحمه الله.

([3]) «صحيح مسلم» (2722).

كان من دعاء النبي ﷺ «**وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»(1)، فحسن الخلق هو الوسطية والاعتدال في جميع الأحوال، والمؤمن يكون على أحسن خلق، وهذا هو الأصل، فيُحسِّن خلقه مع القريب والبعيد، والصغير والكبير، ولا ينبغي له أن يُسيء خلقه.

ولكن وسطية الإسلام تكون في ما دلّ عليه الكتاب والسنة في مسألة الخلق مع الكفار والمبتدعة وعصاة المسلمين، فقد شُرِع لنا ذمّ أهل البدع، وهجر أهل المعاصي، فلا يذم من اتبع الحق في ذلك ويرمى بمخالفة الوسطية الحق.

وقد هجر النبي ﷺ بعض أصحابه، وهجر زوجاته شهرا، وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «**لا تبدئوا اليهود والنصارى بالسلام، فإذا لقيتموهم في طريق، فاضطروهم إلى أضيقها**»(2)، فالمسلم يكون ذليلاً خافضاً جناحه للمؤمن، عزيزاً على الكافر والمعاند.

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (3). وقال

---

(1) «صحيح مسلم» (771)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

(2) «صحيح مسلم» (2167) و«مسند الإمام أحمد بن حنبل» (7617).

(3) (سورة المائدة: 54).

تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]. **وقال** سبحانه وتعالى: **﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾** [2]. **وقال** سبحانه وتعالى: **﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾**[3]، **وقال سبحانه: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾**[4].

فبيَّن سبحانه وتعالى أن الخلق هو خفض الجناح مع المؤمنين، والشدّة مع الكافرين، وهذا لا ينافي أنّك تدعوهم إلى الله بالموعظة الحسنة والرفق واللين، وهذا من أمور الداعية إلى الله، ومما يحتاجه من يدعو إلى الله سبحانه وتعالى، فقد قال الله لموسى: **﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾**[5].

فبعض المسلمين هداه الله، تراه مع الكافرين ليّن الأقوال، هادئ البال، يضحك معهم ويمزح ويصاحب ويمرح، وإن جلس معهم فلا ينصح.

وإذا جلس مع إخوانه المسلمين ذمّهم واحتقرهم، بل وجد من يقول لإخوانه المسلمين: أنتم لستم متقدمين ولستم متطورين،... إلى غير ذلك من الأقوال التي تدل على أنّه مفتون بالكفار وبحياة الكفار - عياذاً بالله -.

والحق هو الوسطية في هذا الباب وغيره، التي أمر الله بها في كتابه وحثّ

([1]) (سورة الحجر: 88).

([2]) (سورة الأعراف: 199).

([3]) (سورة المزمل: 10).

([4]) (سورة القلم: 9).

([5]) (سورة طه: 44).

عليها نبينا ﷺ في سنّته.

❍ قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

❍ وقال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

❍ **قال ابن كثير** رحمه الله[3]: «وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه، كما **قال الله تعالى**: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[4]. وفي صفة النبي ﷺ أنه: «الضحوك القتال» فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه». اهـ.

❍ قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

([1]) (سورة القلم: 4).

([2]) (سورة المائدة: 54).

([3]) «تفسير القرآن العظيم» (3/ 136).

([4]) (سورة الفتح: 29).

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

❍ روى الترمذي[2]: عن أبي الدرداء، أن النبي ﷺ قال: «**ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء**»، وفي الباب عن عائشة، وأبي هريرة، وأنس، وأسامة بن شريك. وهذا حديث حسن صحيح». اهـ وبيان هذا بما بعده.

واعلم أنه لا مداهنة في الدين فعن الصعب بن جثامة الليثي، أنه أهدى لرسول الله ﷺ حمارا وحشيا، وهو بالأبواء، أو بودان، فرده عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: «**إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم**»[3]. وهجْرُ سيد الخلق كعباً وصاحبيه كان هذا هو غاية الحكمة والخلق الحسن.

❋ التوسط مع الأبوين

❍ قال تعالى: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ**

(1) (سورة آل عمران: 159).

(2) «سنن الترمذي» (2002).

(3) «صحيح البخاري» (1825) و«صحيح مسلم» (1193).

تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[1].

❍ وقال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

❍ وقال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[3].

فترى أن الله تعالى وصى كل عبد بأبويه إحساناً سواءًا كانا مسلمين أو غير ذلك.

([1]) (سورة الإسراء: 23 - 29).

([2]) (سورة لقمان: 14، 15).

([3]) (سورة الأحقاف:15).

عن مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي**﴾ **وَفِيهَا** ﴿**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾[1][2].

فالأبوان المسلمان لهما من البر والصلة ما ليس لغيرهم وإذا كانا كافرين فلهما حسن الصحبة والبر والطاعة ما لم يأمروا بمعصية.

فبعض الناس يطيع أباه وأمه في كل ما أمروه به من طاعة أو معصية، حلال أو حرام، ويداهنهم ويلين معهم ولا ينصحهم إن وقعوا في حرام.

بينما هناك صنف آخر من الناس أشدّاء غلاظ على آبائهم وأمهاتهم، لا يطيعونهم في معصية ولا في طاعة، ولا يستجيبون لهم في ما أمروهم به، ولا يلينون مع أبويهم.

والحقّ في ذلك هو الوسط، وهو ما دلّ عليه الكتاب والسنة من أنّهم

(1) (سورة لقمان: 15).

(2) «صحيح مسلم» (1748).

يطاعون في ما لا معصية فيه وجوبا، وإن كان يشقّ ذلك على النفس، ويُعصَوْن في ما أمروا به من المعاصي، وينصحون إذا خالفوا برفق ولين، ويُدعى لهم. قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[1]، والموفَّق من وفَّقه الله.

فنسأل الله عز وجل أن يرزقنا البر بآبائنا وأمهاتنا، وأن يوفقنا لأحسن الأخلاق معهم، وأن يجنبنا سيِّئها، وأن يعيننا على أنفسنا، وأن يعيذنا من شر أنفسنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

❋ التوسط في تربية الأولاد

حثَّ الإسلام على العدل بين الأولاد والتوسط والاعتدال في تربيتهم، قال الله تعالى: ﴿**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[2].

إن الأولاد لهم شأن في شريعة الله العظيمة فإنهم رجال الأمة بعد أيام، فلذلك حث الإسلام على تربيتهم وتعليمهم والقيام بشأنهم فتربيتهم من أشق الأعمال ومن أفضلها.

فينبغي حسن رعايتهم والانتباه لهم، وعدم حسن الظن بهم مطلقاً، وعَنْ

([1]) (سورة الإسراء: 24).

([2]) (سورة البقرة: 133).

عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ، وَإِذَا أَنْكَحَ أَحَدُكُمْ عَبْدَهُ أَوْ أَجِيرَهُ، فَلَا يَنْظُرَنَّ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عَوْرَتِهِ، فَإِنَّ مَا أَسْفَلَ مِنْ سُرَّتِهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ عَوْرَتِهِ**»(1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما، تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «**كخ كخ**» ليطرحها، ثم قال: «**أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة**»(2).

فمن الناس من يفرط ومنهم من يغلوا في هذا الباب والحق هو الوسط فلا تشدد على ولدك حتى تنفره عن الدين والاستقامة، فتخسره ويخسر دينه عياذًا بالله، ولا تتهاون معه حتى يضيعوا.

❍ **فالوسطية والاعتدال في تربية أبنائنا، تتحصل بأمور:**

- **أولا**: تعليمهم وتعليقهم بالله عز وجل ودينه وكتابه وسنة نبيه ﷺ في كل وقت وحين.

- **ثانيا**: عدم التساهل معهم في معصية الله عز وجل والنظر إلى المحرمات والجلوس مع أصحاب الحرام.

- **ثالثا**: الاهتمام بتحفيظهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.

---

(1) «مسند الإمام أحمد بن حنبل» (6756) وهو حسن الإسناد.

(2) «صحيح البخاري» (1491) و«صحيح مسلم» (1069).

- **رابعا**: حثّهم على مجالسة الصالحين من أهل السنة، والبعد عن أهل الهوى والانحراف والفسق والمعاصي والمجون.

- **خامسا**: السياسة مع الأولاد في تربيتهم، فمثلًا إذا كانوا يحبون الخير فيحثهم على الخير ويشجعهم عليه، وإن كانوا لا يحبون الهداية فعليه أن يرغّبهم وأن يدعوهم إلى الله تعالى بالترغيب والترهيب.

- **سادسا**: عليه أن لا ينفّرهم بأن يكلّفهم ما لا يطيقون من قيام الليل وصيام النوافل وحفظ العلم والسنة فيصبر عليهم حتى يعملوا بعض الواجبات فيتدرج في تعليمهم، فإذا أحبوا الواجبات واستمروا عليها، يُدعَون إلى النوافل والمستحبات، فإذا رآهم منقادين لذلك فعليه أن يدعوهم إلى الله تعالى بالتدريج، فهذه هي الحكمة والاعتدال.

- **سابعا**: عليه أن لا يشد عليهم في ما هو مباح لهم من المأكل والمشرب والملبس، وفي النظر إلى ما أحل الله عز وجل، والتنزه المباح بلا إفراط ولا تفريط.

فمن الناس من يكثر لأولاده التنزّه والخروج إلى الخلوات، ومن الناس من يشد على أولاده في هذا الباب. فالحق هو الوسط والاعتدال، بلا تضييع للأوقات، ولا غلوّ وتشديد مفرط في هذا الباب.

- **ثامنا**: عليه أن يداعبهم في بعض الأوقات، ويحسن خلقه معهم، ويضحك معهم. فقد سابق النبي ﷺ عائشة، وقام لفاطمة وأجلسها مكانه ورحّب بها.

والناس في هذا بين إفراط وتفريط، فمنهم من لا يَرى ولَدُه قبلة له، وهؤلاء كما قال النبي ﷺ للأعراب: «**وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة**»[1]، عندما قالوا: لكنا والله ما نُقَبِّل – أي صبيانهم –، فمن الناس من هو شديد لا يتنازل أن يُقبِّل ولده أو أن يلين معه، ويظن أن ذلك هي الشجاعة وهو الحزم والحسم.

ومن الناس من يكون مفرِّطا في أولاده، سموحا معهم في الحرام، دائم الضحك معهم حتى لا يرون منه شدّة، يسمح لهم بالوقوع في الحرام وفي معصية أمهم وفي الكِبر على الناس، وهو لا ينصحهم. وهؤلاء ربما كانوا وبالًا عليه ونقمة عليه وبلاءً عظيمًا عليه بعد كِبَره.

فالحق هو الاعتدال، وذلك بالشدّة في موضع الشدّة، والسماح في موضع المباح، والمسدَّد من سدَّده الله.

– **تاسعًا**: عدم الاستهانة معهم في ترك الصلوات، فعلى الأب والأم أن ينصحوا أولادهم وأن يشدوا عليهم إذا رأوهم يفرطون في الحرام وفي ترك الصلاة وفي سماع الأغاني، فمن الناس من لا يبالي إذا رأى ولده كذلك، بل يسمح لهم في الحرام– والعياذ بالله –.

– **عاشرًا**: عليى الأب أن يدعوا لأبنائه بالهداية فدعوة الوالد مستجابة وعلى كل فالإنسان يكون شديداً على المعاصي، سهلاً في المباح، رحيماً رفيقاً ليناً، والله الموفق لكل خير.

([1]) «صحيح البخاري» (5998)، و«صحيح مسلم» (2317).

✵ التوسط في الورع

الناس في باب الورع بين غلو وجفاء وبين إفراط وتفريط، فمن الناس من يكلّف نفسه من الورع حتى يصل إلى حدّ الوسوسة، ويتقي بعض الحلال، ويترك بعض المأكولات والمشروبات لاعتقاده أنها محرمة، ومنهم في مقابل ذلك من لا يبالي بما أكل وما ادخر وما لبس، أَمِن حلال هو أو من حرام.

والحق هو الوسط في ذلك، وهو الورع المشروع أن الإنسان يترك ما حرّمه الله وما شابه الحرام، لحديث النعمان بن بشير: «**إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات**»[1]، فهذه الأمور التي في الوسط بين الحلال والحرام لا ينبغي للإنسان أن يرتكبها ويقول هي الوسطية، كما غلط في فهم ذلك كثير من الناس، فظنوا أن الوسطية هو أن يعمل الإنسان ويأكل الشبهات ما هو بين الحلال والحرام، فهذه تسمى شبهات، وليست وسطًا ولا تسمى وسطية، لأن الوسطية هي ما أوجبه الله وما اختاره وما كان خيارًا وعدلًا وفضلاً، وصواباً.

فالناس في هذا الباب بين إفراط وتفريط، والموفّق من وفقّه الله.

❍ ومن الأدلة على بيان الورع المحمود:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً، فَقَالَ: «**لَوْلَا أَنْ تَكُونَ مِنَ**

(1) «سنن أبي داود» (3329)، وصحّحه الألباني.

الصَّدَقَةِ، لَأَكَلْتُهَا»[1].

والورع إذا زاد عن حده المشروع يصير وسوسة وشكوكاً وبلاءًا على صاحبها، فعَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَمِّهِ، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الرَّجُلُ الَّذِي يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيْءَ فِي الصَّلاَةِ؟ فَقَالَ: «**لاَ يَنْفَتِلْ – أَوْ لاَ يَنْصَرِفْ – حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا**»[2].

وقد بين شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى التوسط والاعتدال في الورع فقال[3]: لكن يقع الغلط في الورع من ثلاث جهات: أحدها: اعتقاد كثير من الناس أنه من باب الترك فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام لا في أداء الواجب وهذا يبتلى به كثير من المتدينة المتورعة ترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة وعن الدرهم فيه شبهة؛ لكونه من مال ظالم أو معاملة فاسدة ويتورع عن الركون إلى الظلمة من أجل البدع في الدين وذوي الفجور في الدنيا ومع هذا يترك أموراً واجبة عليه إما عيناً وإما كفاية وقد تعينت عليه من صلة رحم؛ وحق جار ومسكين؛ وصاحب ويتيم وابن سبيل؛ وحق مسلم وذي سلطان؛ وذي علم. وعن أمر بمعروف ونهي عن منكر؛ وعن الجهاد في سبيل الله؛ إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم مما وجب عليه أو يفعل ذلك لا على وجه العبادة لله تعالى بل من جهة التكليف ونحو ذلك. وهذا الورع قد يوقع

([1])و«صحيح البخاري» (2055) «صحيح مسلم» (1071).

([2]) «صحيح البخاري» (137)، و«صحيح مسلم» (361).

([3]) « مجموع الفتاوى» (20 / 137 - 140).

صاحبه في البدع الكبار؛ فإن ورع الخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم من هذا الجنس تورعوا عن الظلم وعن ما اعتقدوه ظلما من مخالطة الظلمة في زعمهم حتى تركوا الواجبات الكبار من الجمعة والجماعة؛ والحج والجهاد؛ ونصيحة المسلمين والرحمة لهم وأهل هذا الورع ممن أنكر عليهم الأئمة كالأئمة الأربعة وصار حالهم يذكر في اعتقاد أهل السنة والجماعة. الجهة الثانية من الاعتقاد الفاسد أنه إذا فعل الواجب والمشتبه وترك المحرم والمشتبه فينبغي أن يكون اعتقاد الوجوب والتحريم بأدلة الكتاب والسنة وبالعلم لا بالهوى وإلا فكثير من الناس تنفر نفسه عن أشياء لعادة ونحوها فيكون ذلك مما يقوي تحريمها واشتباهها عنده ويكون بعضهم في أوهام وظنون كاذبة فتكون تلك الظنون مبناها على الورع الفاسد فيكون صاحبه ممن قال الله تعالى فيه: ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس**﴾[1] وهذه حال أهل الوسوسة في النجاسات؛ فإنهم من أهل الورع الفاسد المركب من نوع دين وضعف عقل وعلم وكذلك ورع قوم يعدون غالب أموال الناس محرمة.

أو مشتبهة أو كلها وآل الأمر ببعضهم إلى إحلالها لذي سلطان؛ لأنه مستحق لها وإلى أنه لا يقطع بها يد السارق ولا يحكم فيها بالأموال المغصوبة. وقد أنكر حال هؤلاء الأئمة كأحمد بن حنبل وغيره وذم المتنطعين في الورع. وقد روى مسلم في صحيحه عن عَبْدِ اللهِ بن مسْعُود، قَالَ: قَالَ

(1) «سورة النجم (23) ».

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»[1]، قَالَهَا ثَلَاثًا.

وورع أهل البدع كثير منه من هذا الباب. بل ورع اليهود والنصارى والكفار عن واجبات دين الإسلام من هذا الباب، وكذلك ما ذمه الله تعالى في القرآن من ورعهم عما حرموه ولم يحرمه الله تعالى كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام. ومن هذا الباب الورع الذي ذمه الرسول ﷺ في الحديث الذي في الصحيح لما ترخص في أشياء فبلغه أن أقواما تنزهوا عنها فقال: "**ما بال رجال يتنزهون عن أشياء أترخص فيها والله إني لأرجو أن أكون أعلمهم بالله وأخشاهم وفي رواية: أخشاهم وأعلمهم بحدوده له**" [2]. وكذلك حديث صاحب القبلة. ولهذا يحتاج المتدين المتورع إلى علم كثير بالكتاب والسنة والفقه.اهـ.

✵ التوسط عند البلاء والرخاء

العبد معرض للبلاء والمصائب، وقد تكون اختبارًا وقد تكون كفارةً وقد تكون للعلو بدرجة صاحبها.

ولكن الناس في ذلك بين طرفين ووسط، **فمنهم** عند البلاء من يقنط ويسخط، **ومنهم** من عند الرخاء يمرح ويفرح، **ومنهم** من يرجع عند الضراء ويعصي عند الرخاء، **ومنهم** من لا يرجع عند البلاء ولا عند الرخاء.

([1]) «صحيح مسلم» (2670).

([2]) «صحيح البخاري» (6101)، و«صحيح مسلم» (2356).

وقد ذكر تعالى حال أصحاب القلوب القاسية، فقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ * حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾[1]. وهؤلاء قلوبهم أخبث القلوب وأبعدها من الله.

وصنف لا يرجع إلا وقت البلاء، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾[2].

ومما يُدلّ على ذمّ الإفراط والتفريط قوله - تعالى -: ﴿**وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ**﴾[3].

﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ**﴾ أي: شدّة، ﴿**بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ أي: من المعاصي والآثام، ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ أي: ييأسون من روح الله.

❍ **قال ابن كثير**[4]: «هذا إنكار على الإنسان من حيث هو، إلا من عصمه الله ووفقّه، فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بطر وقال: ﴿**ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ**

([1]) (سورة المؤمنون: 76، 77).

([2]) (سورة الإسراء: 67).

([3]) (سورة الروم: 36).

([4]) «تفسير القرآن العظيم» (6/ 317).

لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ أي يفرح في نفسه، ويفخر على غيره، وإذا أصابته شدّة قنط وأيس أن يحصل بعد ذلك خير بالكلية، ثم بين المنهج الوسط، قال الله تعالى: **﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** أي: صبروا في الضراء، وعملوا الصالحات في الرّخاء، كما ثبت في الصحيح: «**عجبًا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له**»[1] اهـ.

ومثل هذا المعنى قوله – تعالى – عن المنافقين: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾**[2] .

وكان الأولى لهم أنهم يرضوا بما قسم الله: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾**[3] .

([1]) «صحيح مسلم» (2999).

([2]) (سورة التوبة: 58).

([3]) (سورة التوبة: 59).

فاللهم سلمنا وعافنا واعف عنا وثبتنا في السراء والضراء وجميع المسلمين ووفقنا لما تحب وترضى.

❋ التوسط في المصاحبة

اعلم رحمك الله أن الإنسان بحاجة إلى صحبة صالحة يعينونه على الخير ويدلونه عليه، وقد يُبتلى برفقة غير صالحة فلا يعينوه على خير ولا ينهوه عن شر، ومن وفق للهدى والصحبة الصالحة فهو على الوسطية في هذا، وهي أن يُصاحب أهل الخير وأن يترك مصاحبة أهل الشرّ.

وعليه إن صاحب أهل الخير أن يتوسط في صحبتهم فلا يكون ممن يكثر المزاح معهم أو يكثر الكلام معهم حتى يدخل في باطل، وما طال مجلس إلا وللشيطان حظ منه، ولا يكون كمن يجفو عن إخوانه ويبتعد عن إخوانه ويكثر من الوحدة جفاء أو كبرا أو حبا للوحدة، فالإنسان بحاجة إلى من يعينه على الخير، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقول بعضهم لبعض: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[1].

أيضًا على المسلم أن يلزم الوسط والاعتدال في المجالسة، فإذا جالس إخوانه فيكون مذاكراً للخير، متذاكرا معهم في العلم، مصاحبا لهم بالمعروف، إن مزَحَ لا يغلو في مزحه، وإن انشغل عن إخوانه لا يجفو في هجرهم، وهذا هو الذي يحبّه الناس ويرغبون في مصاحبته ويحبون كلامه وخطابه، هو الذي إن

([1]) «صحيح البخاري» (1/ 10).

جلس فلله، وإن ابتعد فلله، وإن نصح فلله، وإن سكت فلله، فهو بالله ومع الله، لا يبخل عن إخوانه بالنصيحة والخلق الحسن، ولا يجفو عنهم ولا كذلك يغلو في محبتهم ويكثر من محاسبتهم ومعاتبتهم، وخير الأمور أوسطها.

فيا أيها الصاحب: لا تكثر المتاعب وأحسن الظن وإياك والمن، وراع المشاعر وتأمل قول الشاعر: [1]:

لاَ تَـذْهَبَنَّ فِـي الأُمُـورِ فُرَطَـا   لاَ تَسْـأَلَنَّ إِنْ سَـأَلْتَ شَـطَطَا

وَكُـنْ مِنَ النَّـاسِ جَمِيـعًا وَسَـطَا

وإليك بعض الأدلة التي تبيّن كيفية الوسطية في هذا الباب:

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[2].

وروى الترمذي عن أبي هريرة - رفعه - قال: «**أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما**»: وقال: وقد روي هذا الحديث عن أيوب، بإسناد غير هذا رواه الحسن بن أبي جعفر وهو حديث ضعيف أيضا، بإسناد له عن علي، عن النبي ﷺ والصحيح عن علي موقوف قوله[3].

([1]) «أدب الدنيا والدين» (ص/24).

([2]) «صحيح البخاري» (10) و«صحيح مسلم» (140)..

([3]) «سنن الترمذي» (1997)، وصححه الألباني.

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَغَيْرِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا**»(1).

وعن عَلِيّ أنه قال لِابْنِ الْكَوَّاءِ: «هَلْ تَدْرِي مَا قَالَ الْأَوَّلُ؟ أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»(2).

قلت: فالصحيح أنه موقوف على علي رضي الله عنه.

قال ابن القيم: (3) فَإِنَّ النَّفْسَ مَتَى انْحَرَفَتْ عَنِ التَّوَسُّطِ انْحَرَفَتْ إِلَى أَحَدِ الْخُلُقَيْنِ الذَّمِيمَيْنِ وَلَا بُدَّ، فَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ التَّوَاضُعِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى كِبْرٍ وَعُلُوٍّ، وَإِمَّا إِلَى ذُلٍّ وَمَهَانَةٍ وَحَقَارَةٍ. وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الْحَيَاءِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى قِحَةٍ وَجُرْأَةٍ، وَإِمَّا إِلَى عَجْزٍ وَخَوَرٍ وَمَهَانَةٍ، بِحَيْثُ يُطْمِعُ فِي نَفْسِهِ عَدُوَّهُ. وَيَفُوتُهُ كَثِيرٌ مِنْ مَصَالِحِهِ. وَيَزْعُمُ أَنَّ الْحَامِلَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَيَاءُ. وَإِنَّمَا هُوَ الْمَهَانَةُ وَالْعَجْزُ، وَمَوْتُ النَّفْسِ وَكَذَلِكَ إِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الصَّبْرِ الْمَحْمُودِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى جَزَعٍ وَهَلَعٍ وَجَشَعٍ وَتَسَخُّطٍ، وَإِمَّا إِلَى غِلْظَةِ كَبِدٍ، وَقَسْوَةِ قَلْبٍ، وَتَحَجُّرِ طَبْعٍ. كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

---

(1) «الجامع في الحديث لابن وهب» (229).

(2) «الأدب المفرد» (1321)، وقال الألباني: «حسن لغيره موقوفاً».

(3) « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (2/ 295).

تَبْكِـي عَلَيْنَـا وَلَا نَبْكِـي عَلَـى أَحَـــــــــــــــــدِ   فَـنَحْنُ أَغْلَـظُ أَكْبَـادًا مِـنَ الْإِبِـلِ

وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الْحِلْمِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى الطَّيْشِ وَالتَّرَفِ وَالْحِدَّةِ وَالْخِفَّةِ، وَإِمَّا إِلَى الذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ وَالْحَقَارَةِ. فَفَرْقٌ بَيْنَ مَنْ حِلْمُهُ حِلْمُ ذُلٍّ وَمَهَانَةٍ وَحَقَارَةٍ وَعَجْزٍ، وَبَيْنَ مَنْ حِلْمُهُ حِلْمُ اقْتِدَارٍ وَعِزَّةٍ وَشَرَفٍ. كَمَا قِيلَ:

كُـلُّ حِلْـمٍ أَتَـى بِغَيْـرِ اقْتِـدَارٍ   حُجَّــةٌ لَاجِــئٌ إِلَيْهَــا اللِّئَــامُ

وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الْأَنَاةِ وَالرِّفْقِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى عَجَلَةٍ وَطَيْشٍ وَعُنْفٍ، وَإِمَّا إِلَى تَفْرِيطٍ وَإِضَاعَةٍ. وَالرِّفْقُ وَالْأَنَاةُ بَيْنَهُمَا.

وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الْعِزَّةِ الَّتِي وَهَبَهَا اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى كِبْرٍ، وَإِمَّا إِلَى ذُلٍّ. وَالْعِزَّةُ الْمَحْمُودَةُ بَيْنَهُمَا.

وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الشَّجَاعَةِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى تَهَوُّرٍ وَإِقْدَامٍ غَيْرِ مَحْمُودٍ، وَإِمَّا إِلَى جُبْنٍ وَتَأَخُّرٍ مَذْمُومٍ.

وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الْمُنَافَسَةِ فِي الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ وَالْغِبْطَةِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى حَسَدٍ، وَإِمَّا إِلَى مَهَانَةٍ، وَعَجْزٍ وَذُلٍّ وَرِضًا بِالدُّونِ.

وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنِ الْقَنَاعَةِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى حِرْصٍ وَكَلَبٍ، وَإِمَّا إِلَى خِسَّةٍ وَمَهَانَةٍ وَإِضَاعَةٍ.

وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الرَّحْمَةِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى قَسْوَةٍ، وَإِمَّا إِلَى ضَعْفِ قَلْبٍ وَجُبْنِ نَفْسٍ، كَمَنْ لَا يَقْدَمُ عَلَى ذَبْحِ شَاةٍ، وَلَا إِقَامَةِ حَدٍّ، وَتَأْدِيبِ وَلَدٍ. وَيَزْعُمُ أَنَّ الرَّحْمَةَ تَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ. وَقَدْ ذَبَحَ أَرْحَمُ الْخَلْقِ ﷺ بِيَدِهِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ

ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً. وَقَطَعَ الْأَيْدِيَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ. وَضَرَبَ الْأَعْنَاقَ. وَأَقَامَ الْحُدُودَ وَرَجَمَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى مَاتَ الْمَرْجُومُ. وَكَانَ أَرْحَمَ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَأَرْأَفَهُمْ.

وَكَذَلِكَ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَالْبِشْرُ الْمَحْمُودُ. فَإِنَّهُ وَسَطٌ بَيْنَ التَّعْبِيسِ وَالتَّقْطِيبِ وَتَصْعِيرِ الْخَدِّ، وَطَيِّ الْبِشْرِ عَنِ الْبَشَرِ، وَبَيْنَ الِاسْتِرْسَالِ بِذَلِكَ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ، بِحَيْثُ يُذْهِبُ الْهَيْبَةَ، وَيُزِيلُ الْوَقَارَ، وَيُطْمِعُ فِي الْجَانِبِ، كَمَا أَنَّ الِانْحِرَافَ الْأَوَّلَ يُوقِعُ الْوَحْشَةَ وَالْبَغْضَةَ، وَالنُّفْرَةَ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ.

وَصَاحِبُ الْخُلُقِ الْوَسَطِ: مَهِيبٌ مَحْبُوبٌ، عَزِيزٌ جَانِبُهُ، حَبِيبٌ لِقَاؤُهُ. وَفِي صِفَةِ نَبِيِّنَا ﷺ مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ. وَمَنْ خَالَطَهُ عِشْرَةً أَحَبَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.اهـ

❋ التوسط في المدح والذم

التوسط أمر محبوب والنطق به مستحسن مرغوب وإياك أخي من الغلو والجفاء في المدح أو الذم، فعن أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ**» مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لاَ مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ**»[1].ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية الغلو فيقول: «الغلو: مجاوزة الحد بأن

([1]) «صحيح البخاري» (2662) «صحيح مسلم» (3000).

يزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك»[1] اهـ .

قال النووي رحمه الله في رياض الصالحين[2]: قال العلماءُ: وطريق الجَمْعِ بين الأحاديث أَنْ يُقَالَ: إنْ كان المَمْدُوحُ عِنْدَهُ كَمَالُ إيمانٍ وَيَقينٍ، وَرِيَاضَةُ نَفْسٍ، وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِحَيْثُ لاَ يفْتَتِنُ، وَلاَ يَغْتَرُّ بِذَلِكَ، وَلاَ تَلْعَبُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَلاَ مَكْرُوهٍ، وإنْ خِيفَ عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ هذِهِ الأمورِ، كُرِهَ مَدْحُهُ في وَجْهِهِ كَرَاهَةً شَديدَةً، وَعَلَى هَذا التَفصِيلِ تُنَزَّلُ الأحاديثُ المُخْتَلِفَةُ فِي ذَلكَ. اهـ.

واحذر من الغلو والجفاء في المدح كما وقع فيه الرافضة.

قال القحطاني رحمه الله[3]:

إن الروافض شر من وطئ الحصى ... من كل إنس ناطق أو جان

مدحوا النبي وخونوا أصحابه ... ورموهم بالظلم والعدوان

حبوا قرابته وسبوا صحبه ... جدلان عند الله منتقضان

فكأنما آل النبي وصحبه ... روح يضم جميعها جسدان

فئتان عقدهما شريعة أحمد ... بأبي وأمي ذانك الفئتان

فئتان سالكتان في سبل الهدى ... وهما بدين الله قائمتان

---

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (1/ 328).

(2) «رياض الصالحين» (494).

(3) «القصيدة النونية» (ص/ 26).

❃التوسط في الزيارات للإخوان

الزيارة للإخوة الصالحين لله تعتبر من أسباب المحبة في الله، ومن أسباب حبّ الله عز وجل، وكذلك من أسباب القرب من الناس وقبولهم النصيحة.

والناس في زياراتهم لإخوانهم بين إفراط وتفريط فمنهم من يزور أخاه حتى يتعبه ويعييه ويصاب بالملل، وقد لا يشعر بذلك الخلل.

ومن الناس من يبتعد عن زيارة إخوانه والاتصال بهم واللقاء بهم حتى يتهمونه بالكِبر والجفاء، وحتى يدخل الشيطان بينهم، فيقع في النفوس ما يريده الشيطان من البغضاء والشحناء، ويكثر مع ذلك الكلام في البعض والغيبة والنميمة – عياذًا بالله –.

فالوسطية في هذا الباب وغيره هي الحلّ، وهي ما دلّ عليه الإسلام، وهي عين الاعتدال، وهي صنيع الرجال، فيزور الإنسان إخوانه ويصاحبهم سواءً كانوا أقرباء له أو بعداء، ولا بأس أن يزورهم كثيراً بقدر قربهم، فما أعظم الوسطية في كل مجالات الحياة.

فمثلا زيارة الأب والأم قد تكون واجبة على العبد إن كانوا قريبًا منه في كلّ صباح ومساء وليس في ذلك ملل ولا فيه خلل. وزيارة الزوجة قد تكون أكثر وذلك أوجب لقربها من الزوج وحاجتها له، وهكذا كل ذلك بالمعروف الذي تعارف عليه الناس. **قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ**

الْجَاهِلِينَ﴾ [1].

فيتوسط الإنسان في زيارته لأرحامه وأقاربه بالمعروف، وزيارة الأصحاب تكون بحسبها فلا يكثر الإنسان منها حتى ييأس منه أخوه ويرغب عنه ويصاب بالملل، ولا يُقصِّر عنها حتى ينزغ الشيطان بين الإخوان ويُتّهم بالجفاء والبهتان، ويحصل بينهم من البغضاء ما لا يرضاه الله تعالى.

❍ **قال ابن الوردي** رحمه الله:

غب وزر غبا تزد حبا فمن　　　أكثر الترداد أعياه الملل

وتنبَّه:

وتنبَّه: فالناس يختلفون في مودتهم فمن كان حميماً موَدوداً فلا بأس بالإكثار من زيارته.

❍ **وقد بوب البخاري** رحمه الله[2]: «بَابٌ: هَلْ يَزُورُ صَاحِبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، أَوْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا».

ثم أورد حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْهِمَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا

---

(1) (سورة الأعراف: 199).

(2) «صحيح البخاري» (8/ 21).

جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَ: «**إِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي بِالخُرُوجِ**»(1).

❍ **قال الحافظ** رحمه الله (2) في شرح الحديث: «كَأَنَّ البخاريّ أشار بهذه التّرجمة إلى توهين الحديث المشهور: «**زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا**» وقد ورد من طرق أكثرها غرائب، ولا يخلو واحد من مقال، وقد جمع طرقه أبو نعيم وغيره.

ثم قال: وأخرج ابن حبّان في صحيحه من طريق عطاء عن عائشة ما يدل على أنّه موقوف، وجزم أبو عبيد في الأمثال بأنّه من أمثال العرب، وأنّه سائغ في المتقدمين...

إلى أن قال: ولا منافاة بينه وبين حديث الباب، لأنّ عمومه يقتضي التخصيص، فيحمل على من ليست له خصوصية ومودة ثابتة، فلا ينقض منزلته بكثرة زيارة بخلاف غيره، وقد أشار إلى ذلك ابن بطّال».اهـ.

والتوفيق من الله، نسأل الله الهدى والسداد لنا ولجميع العباد.

❋ التوسط في الحديث والكلام مع الناس

على الإنسان إذا حدّث سواء كان يعلِّم الناس أو كان يحدِّثهم بالأمور المباحة أن يتوسط في حديثه، فلا يكتم كل حديث له صحيح، ولا يبلِّغ كل حديث في نفسه أو سمعه بأذنه.

(1) «صحيح البخاري» (6079).

(2) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (10/ 498، 499).

فالحق هو الوسطية في التحديث، فالمعلِّم عليه أن لا يُعلِّم طلابه إلا ما علم فيه خيرًا وفيه منفعة وفيه صلاحاً لهم وإصلاحاً، وعليه أن يكتم من العلم ما يكون سببًا للفتنة وما يكون سببًا لتنفير الناس، ويتوسط فلا يكتم العلم الذي فيه نفع للناس وكتمانه أضر وأفسد من مظنة الفتنة.

فالوسطية والاعتدال في هذا الباب أن تبلِّغ الخير وأن لا تبلِّغ الشرّ، وأن تكون بين الإفراط والتفريط، بين من يبلِّغ الناس كلّ ما سمع وبين من يكتم كل ما سمع.

وهكذا على الإنسان، أن يكون حكيما في كلامه، إذا بلغه عن أناس بعض الكلام لا يبلِّغه إلى أعدائهم وخصومهم فإن ذلك هو النميمة، وعليه أن يبلِّغهم الخير مما سمع، وأن يصلح بينهم.

فبعض الناس لا ينقل خيرًا ولا شرًا بين متخاصمين، وبعض الناس ينقل كل ما سمع من خير وشرّ فيكون كلامه فتنة وسبب للفرقة – عياذًا بالله –.

وإليك بعض الأدلة تبيّن التوسط في هذا الباب وتحريم الغلو، والجفاء فيه:

فالحق هو الوسط أن تنقل الخير وتترك الشرّ، قال النبي ﷺ: «**فطوبى لعبد جعله الله مفتاحًا للخير، مغلاقاً للشر**»(1).

وعن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ، قال: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا**

---

(1) «سنن ابن ماجه» (238).

عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا، ليتبوأ مقعده من النار»[1].

وعن أبي هريرة، قال: «إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا، ثم يتلو ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى**﴾ [2] إلى قوله ﴿**الرَّحِيمُ**﴾[3] إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون»[4].

وعن حمران، فلما توضأ عثمان قال: ألا أحدثكم حديثا لولا آية ما حدثتكموه سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يتوضأ رجل يحسن وضوءه، ويصلي الصلاة، إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة حتى يصليها**» قال عروة: «الآية ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى**﴾»[5].

([1]) «صحيح البخاري» (3461).

([2]) (سورة البقرة: 159).

([3]) (سورة البقرة: 160).

([4]) «صحيح البخاري» (118) و«صحيح مسلم» (2492).

([5]) «صحيح البخاري» (160)، و«صحيح مسلم» (226).

وعن أنس بن مالك، أنه قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثا كثيرا أن رسول الله ﷺ، قال: «**من تعمد علي كذبا، فليتبوأ مقعده من النار**»[1].

ومع ورع السلف عن الكذب إلا أنهم ما كتموا دين الله وقد ثبت عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة**»[2].

وقد قال نبينا ﷺ: «**بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع**»[3].

وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدي: «لا يكون الرجل إماما يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع»[4].

فمن هذه الأدلة، نعلم أنه لا يجوز كتمان العلم الواجب، ونعلم أنه يجب كتمان العلم الذي فيه فتنة، وفي إبلاغه للناس مضرة؛ وهذا يُقدِّره أهل العلم، قال الله: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[5].

---

(1) «صحيح مسلم» (2).

(2) «سنن أبي داود» (3657)، وقال الألباني: «حسن صحيح».

(3) «مقدمة صحيح مسلم» (5) وهو حسن، لأن المقدمة ليست على شرط الصحيح.

(4) «مقدمة صحيح مسلم» (1/ 11).

(5) (سورة النحل: 43).

❋ التوسط في التعامل مع الطلاب

ينبغي على معلم الطلاب أن يكون متوسطًا منبسطًا مع طلابه فلا يكون بالغليظ الجافي، ولا الذي يستخف به طلابه لكثرة مزاحه ولعبه ولو كان يقصد بذلك التواضع، فإنه لا بد أن يكون للمعلم من الهيبة والشدة ما تستقيم له بذلك الأمور، ولا بأس بالمزاح بالقول المباح والمسابقة بالأقدام والضحك، مع حزمه في الأمور وشدته في الدين. والله الموفق إلى سواء السبيل.

ومن الأدلة على بيان ذلك: أن النبي ﷺ كان أحيانا يمجّ الماء من فمه مزاحا، كما أخبر محمود بن الربيع أنه: «عقل رسول الله ﷺ، وعقل مجة مجها في وجهه من بئر كانت في دارهم»[1]، وكان يقول: «**يا أبا عمير، ما فعل النغير؟**»[2]، كما ثبت عن أنس.

وكان يضحك مع أصحابه ويلين معهم ويجلس معهم ويمشي معهم، وربما مشى حافياً، ويعطي جائعهم ويضيّف بعضهم، ويدخل بعضهم في بيته، ويعفو عن بعضهم.

وكان عليه الصلاة والسلام إذا رأى منكرا غضب فلم يكن سموحا في كل أمر، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: «**مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ**

(1) «صحيح البخاري» (1185).

(2) «صحيح البخاري» (6129)، (6203).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»[1]، الحديث في الصحيحين. وقالت رضي الله عنها: «**وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم بها لله**»[2].

فغضب لما رأى نخامة في المسجد، وغضب لما بُلِّغ أن بعض الناس قالوا: لم تعدل، وغضب عليه الصلاة والسلام لما سُئل عن الضالة من الإبل، فقال: «**ما لك ولها**»[3]، وغضب ﷺ لما علم أن بعض أصحابه يطيل الصلاة.

وكل ذلك الغضب لله كان تعليمًا لأصحابه أنه لا يجوز المداهنة في الدين، ولا التنازل في أمر الله سبحانه وتعالى وفي معصيته.

فالحقّ هو الوسطية في التعامل مع الطلاب حتى يكونوا على فهم بهذا الدين كما فهمه نبينا ﷺ وفهّمه صحابته، وحتى يكون الطلاب على وسطية واعتدال في أنفسهم وفي عبادتهم وفي عقيدتهم وفي معاملاتهم ومع معلِّمهم، وهذا كلّه منوط بتربية المعلم ومعاملته، والله أعلم.

❋ التوسط في التعامل مع المُعلِّم

لابد للتلاميذ أن يتوسطوا في معاملتهم مع معلِّمهم، فالناس والتلاميذ في ذلك

([1]) «صحيح البخاري» (3560)، و«صحيح مسلم» (2327).

([2]) «صحيح البخاري» (3560)، (6126)، و«صحيح مسلم» (2327).

([3]) «صحيح البخاري» (2427)، (2429)، ومواضع أخر، و«صحيح مسلم» (1722).

بين إفراط وتفريط وغلو وجفاء.

وكم ابتُلي المسلمون في هذه الأيام من صنفي الغلاة والمفرِّطين المقلِّدين للمعلمين، فكم من معلِّم يعلِّم الناس الباطل والشر والهوى والبدعة، ويجد من يقلِّد معلِّمه في كلّ ما هبّ ودبّ، وفي كلّ ما خالف فيه الحقّ أو وافق فيه الحقّ، ولا ينصح معلّمه إذا خالف الحق بحكمة ورفق ولين وأدب وترى تلاميذه وراءه – والعياذ بالله – يقلّدونه كالغنم بعد الراعي، كأن الله عز وجل لم يخلق لهم عقلًا يتدبرون به الكتاب والسنة ويتبعون فيه الحق ويعقلون ما جاء عن الله.

فاحذر أيها التلميذ من التقليد فإنه ينافي تحقيق التوحيد، قال ابن القيم رحمه الله[1]: وهذا فعل أهل العلم، وهو الواجب؛ فإن التقليد إنما يباح للمضطر، وأما من عدل عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وعن معرفة الحق بالدليل مع تمكنه منه إلى التقليد فهو كمن عدل إلى الميتة مع قدرته على المذكى؛ فإن الأصل أن لا يقبل قول الغير إلا بدليل إلا عند الضرورة، فجعلتم أنتم حال الضرورة رأس أموالكم. اهـ

ومن المؤسف أن تجد من الطلاب من يسيء أدبه مع معلِّمه أو يتصيّد أخطاءه ويتكبّر عليه ويحتقره فابتلوا بالغلّو في نقد المشايخ حتى إنه لا يجلس أمام معلِّمه وبين يديه إلا ليسمع خطأً ليكتبه وينشره.

فيا أيها المتعالمون اتقوا الله، فإن العلماء ورثة الأنبياء، وما دام أن المعلِّم من

---

(1) "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (2/ 185)

أهل السنة فلا يجوز فضحه وهتك ستره، وعليكم أن تنصحوا له بالمعروف، وبالنصيحة التي يعلم الإنسان أنها ستستجاب لصدق ناصحها وإرادته الخير. وأن يقدِّم النصيحة بأسلوب حسن وفي أدب ودعاء، وإياكم والجفاء، وإياكم والغلوّ، فبهما هلك من هلك من أهل الهوى والبدع.

والوسطية هي الحقّ والمخرج في معاملة التلميذ مع المعلِّم، وهو أن يحترمه بكامل الاحترام، ويتأدب معه بكامل الأدب، وأن يدعو له جزاء معروفه، وأن يحبّه على قدر ما فيه من الخير، وأن يُحسن خلقه معه، وأن يسكت عن أخطائه ويسترها، وأن يعينه على الخير، وأن يطيعه في المعروف، وأن ينصحه بحكمة، ويظهر له أنه لا يريد إلا الخير والحقّ بكامل الأدب، وعلى المعلِّم أن يستجيب لذلك ولا يتكبّر فإن قبول الحق فضيلة، والله المستعان وعليه التكلان.

❃ التوسط في التعامل مع المبتدع

الحكمة وضع الشيء في موضعه وهي الوسطية المحمودة فمن أهل البدع من هو معرض معاند فهذا لا بد من هجره وزجره وإهانته وهذه هي الحكمة معه وأمثاله.

ومنهم من هو ملبس عليه وجاهل، فهذا لا بد أن يتعامل معه بالحكمة والسلام والكلام مع النصح التام، عسى الله أن يهديه وقد زار النبي ﷺ يهودياً ودعاه الى الإسلام فأسلم وحمد اللهَ رسولُ الله ﷺ[1] ودعا عمه عند الموت

([1]) «صحيح البخاري» (1356).

إلى التوحيد فأبى.

والناس في هذا بين إفراط وتفريط، فمنهم من يحكم على كل مبتدع وصاحب الهوى أنه على كفر ويعامله أشدّ من معاملة الكافر، ومنهم من يلين معه ويجالسه ويسمع منه، ولا يزجره ويهجره، والحق هو الوسط في ذلك كله.

فمن كان منهم معاندًا معرضًا يُهجَر ويُزجر، ومن كان منهم من عوامهم، وممّن يريد الحقّ، ويطلب الدليل، ويبحث عن الهدى، فلابد من مجالسته ونصحه؛ فإن تبيّن له الحق ورجع فالحمد لله، وإن تبين له الحق وعاند فبعدا له، وإن لم يتبين له الحق بعد فيُصبَر عليه حتى يهديه الله سبحانه وتعالى، والله المستعان.

والمهم أن يكون القصد هو إقامة دين الله والتعامل لوجه الله، والله الهادي والموفق.

❋ التوسط في التعامل مع الكفار

من الناس من يتساهل في معاملاته مع الكفار فيلين معهم ويسلم عليهم ويجالسهم ويؤاكلهم ولا يدعوهم إلى الله بل يدعوا إلى وحدة وتقارب الأديان، والحوار مع الكفار عياذاً بالله كما يعمل هذا من ينتسب إلى الإسلام من الحزبيين ولا يتقي الله.

ومنهم من يتشدد في ذلك فلا يبايعهم ويحرم التجارة معهم ويحرم استيراد مصنوعاتهم زعم.

والسنة ما دلت عليه الأحاديث وما حث عليه الشرع والكتاب وفي ذلك عين الحكمة والصواب.

❍ **قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**(1).

عن أنس رضي الله عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، مرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «**أسلم**»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»(2).

وعَنْ أُمَيَّةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِيهِ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعَارَ مِنْهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَدْرَاعًا» فَقَالَ: أَغَصْبًا يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ: «**بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ**» قَالَ: فَضَاعَ بَعْضُهَا، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَضْمَنَهَا لَهُ، فَقَالَ: أَنَا الْيَوْمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الإسلام أَرْغَبُ(3).

---

(1) (سورة المائدة: 5).

(2) «صحيح البخاري» (1356).

(3) «مسند الإمام أحمد بن حنبل» (27636)، سنده حسن.

❁ التوسط في التعامل مع الحيوان

من الحيوان ما يستحب تربيته كبهيمة الأنعام ومنها ما يكره تربيته كالكلاب والخنازير ومنها ما يباح كالهرة، وأدلة ذلك كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.

والناس أيضا في الحيوان بين إفراط وتفريط، فمنهم من ربما يربي الكلاب ويعطي الهرة من غالي ماله ونفيس اللحم، والفقراء والمساكين محتاجون لمثل ذلك، زعما منه أن هذه رحمة بالحيوان، وفي الحقيقة أن هذا الخلق إنما اكتسب من الكفار.

فأحسن إلى الحيوان ولكن الإحسان الذي شرعه الله فقد نهينا عن حبسها حتى الموت، ولا ينبغي إسراف المال وتبذيره من أجل هذا الحيوان، فمن وُفّق للوسطية والاعتدال كان من خيار الرجال، ومن الله عز وجل الفضل والكمال.

❁ التوسط في الرياضات البدنية

الناس في باب الرياضات بين إفراط وتفريط ووسط، **فمنهم** من يجعل شغله الشاغل وهمه القاتل، في الرياضة واللعب وإتعاب نفسه، وربما قدم ذلك على واجباته الدينية وحقوق أهله وأولاده ونفسه، **ومنهم** من لا يهتم برياضة بدنه وصحته حتى يصاب بالكثير من الأمراض والأتعاب حتى يكثر شحم بدنه فلا يطيق صلاةً ولا صيامًا ولا حركة.

والحق هو الوسط في ذلك، فتعطي نفسك حقها وأهلك وأولادك حقهم، ولا تعرض عما أوجب الله عليك.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**»[1].

ومن ذلك لعب الكرة، فقد تسلط الشيطان على كثير من المسلمين بها، وهي وإن كان فيها بعض المصالح ففيها مفاسد.

❍ كما **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله [2]: «ولعب الكرة إذا كان قصد صاحبها المنفعة للخيل والرجال؛ بحيث يستعان بها على الكر والفر، والخروج والدخول، ونحوه في الجهاد، وغرضه الاستعانة على الجهاد الذي أمر الله به ورسوله ﷺ، فهو حسن» اهـ.

❍ **وقال الشيخ ابن عثيمين** رحمه الله [3]: «ممارسة الرياضة جائزة، إذا لم تله عن شيء واجب، فإن ألهت عن شيء واجب فإنها تكون حرامًا، وإن كانت ديدن الإنسان؛ بحيث يكون غالب وقته، فإنه مضيعة للوقت، وأقل أحوالها الكراهة، أما إذا كان الممارس للرياضة ليس عليه إلا سروال قصير يبدو منه فخذه أو أكثر، فإنه لا يجوز» اهـ.

فهي لمن أراد التقوية والنشاط بتوسط واعتدال مباحة، وهناك مفاسد ومحرمات يمارسها أصحابها تجعلها مكروهة أو محرمة. فإليكها باختصار:

---

(1) «صحيح مسلم» (2664).

(2) «مختصر الفتاوى المصرية» (ص/ 521).

(3) «فتاوى إسلامية» (ص/ 27).

1- التشبه بالكفار في نظام الفريقين، وقد نهينا عن التشبه بالكفار وعدّه بعض أهل العلم من الكبائر؛ لقول رسول الله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[1] ، وقوله: «**لا تشبهوا بالكفار**». وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[2]. وغير ذلك من الأدلة.

2- التحزب والتفرق والأضغان بين اللاعبين، ولا يجوز استعمال ما كان سببًا إلى ذلك؛ لقول النبي ﷺ: «لا **تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا**».

فكم يحصل من وراء هذه المفسدة من هجر، وضرب، وقتل، وطلاق، وفرقة يذمها الإسلام، فهذا محرم. فإذا وُجِد لعبٌ من دون بغضاء أو انقسام فريقين، فهو جائز، تُركض بينهم، وتتداول للنشاط والقوة.

3- الضرر بالأبدان في اللعب المصاحب للتحزب والتعصب، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾[3]. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا ضرر ولا ضرار**». وقال صلى الله عليه وسلم: «**من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة**»[4].

([1]) «سنن أبي داود» (4031) وهو حسن.

([2]) (سورة الحشر: 19).

([3]) (سورة النساء: 29).

([4]) «صحيح مسلم» (109).

4- تضييع الصلاة، وقد قال النبي ﷺ: «**من ترك الصلاة فقد كفر**». وقال ﷺ: «**الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله**»[1]، وقال ﷺ: «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**»[2] وعلى هذا يحرص أعداء الله أن يكون اللعب في أوقات الصلوات، أو قبل صلاة الفجر.

5- تعليق القلب بها، فهي تلهي عن ذكر الله، والعلم النافع، والعمل الصالح. وكل ما شغل عن ذكر الله فهو حرام؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾ [3].

وقول النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة**»[4].

وهذا العبد لم يكن يسجد للدنيا، ولا يركع، ولكن يتعلق بها من دون الله، ويشتغل بها عن طاعة الله، وتلهيه عن ذكر الله. وفعلًا، فبعض الناس يتعلق بالكرة ونحوها من أمور اللعب وزينة الحياة الدنيا، فيكون عبدًا لغير الله. فلا يجوز أن نعلق قلوبنا بغير الله، فإنه خلل في توحيد رب الأرباب سبحانه.

([1]) «صحيح البخاري» (552)، و«صحيح مسلم» (626).

([2]) «صحيح البخاري» (553).

([3]) (سورة النساء: 91).

([4]) «صحيح البخاري» (2887).

6- كشف العورة من الفخذ عند كثير من لاعبي الكرة، وهو سبب ووسيلة لكشف العورة المغلظة المتفق على تحريم كشفها عند العلماء.

7- التعرض للتصوير في بعض الملاعب؛ سواءً في التلفاز، أو الكامرات اليدوية، وهذا حرام في دين الله، قال ﷺ: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً، فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا**»(1).

وقال ﷺ: «**كل مصور في النار**»(2). وقال أبو جحيفة رضي الله عنه: ولعن رسول ﷺ المصور(3).

ولذا أوصي كل مسلم ومسلمة بالمحافظة على ديننا الذي هو رأس مالنا، وعصمة أمرنا، وسبيل نجاتنا، وقوام حياتنا، وألا يشغلنا عنه لا قليل ولا كثير من حطام الدنيا وزخرفها، وأن يحرصوا على الصلوات في أوقاتها، حيث ينادى بها، وأن يحرصوا على الأخوة والمحبة بينهم.

والمحافظة على الصحة والقوة أمر مطلوب ومحبوب، فقد شُرع لنا السباق والجري والنسلان والجهاد، والمؤمن القوي خير، واللعب بالكرة مباح إذا خلا عن الأمور والمفاسد المحظورة شرعًا. وواحد من المفاسد المذكورة يجعل اللعب بها مكروها أو محرمًا.

---

(1) «صحيح البخاري» (2225)، و«صحيح مسلم» (2110).

(2) «صحيح مسلم» (2110).

(3) «صحيح البخاري» (2086).

نسأل الله أن يوفق المسلمين لإقامة دينهم ودنياهم بتوسط واعتدال، وعدم التشبه بأعدائهم، وأن ينجيهم من الخلاف، والتحزب، والفرقة، والتعصب.

❋ التوسط في الكلام بغير العربية

اعلم هداك الله أن الطالب للحق لا بد أن يعتني باللغة العربية وأن يهتم بها وأن يتعلمها سواء كان أعجمياً أو ممن يتكلم بالعربية غير الفصحى، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[1].

ولكن لا بد أن يكون قريباً من الناس متفهما معهم يكلمهم بما يعرفون فلا يتشدق بغريب اللغة وخاصة في غير مقام التعليم والخطابة، ولا يتساهل في ذلك حتى يعرض عن لغة القرآن حتى في خطابته وتعليمه بحجة أنهم عوام، والله الموفق للسداد.

وقد يحتاج الإنسان إلى الكلام بغير العربية، فالناس في هذا بين إفراط وتفريط، فمنهم من يتكلف العربية عند عوام المسلمين أو عوام العجم والعرب حتى يكرهون خطابه، ومنهم من يتكلم بالعامية، ويترك اللغة العربية سواء في درسه أو في خطابته.

والحق هو الوسطية في ذلك، فيتكلم الإنسان باللغة العربية لغة القرآن فيما كان من درس أو تعليم، وإذا جاء سائل فلا بأس أن يجيبه بلغته أو لهجته إن استطاع وعلم أنه لا يفهم.

([1]) (سورة الشعراء: 195).

وإذا كلّم الناس أن ينبسط معهم في ما أحل الله في كلّ كلام مباح، وأن يكلّمهم بما يعرفون حتى يقربوا منه ويعلموا أنه رجل سمح سهل، فالناس يحبون العالم إذا تكلّم بلهجتهم وانبسط معهم.

هذه إشارة إلى الوسطية في هذا الباب، وللتوسع في ذلك كتبٌ وأقوالٌ لأهل العلم كثيرة، والله المستعان.

✵✵✵✵✵

الباب السابع

نماذج من اختيارات العلماء للوسطية

الناظر إلى كلام العلماء يجد أنهم يتوسطون في اختيار الصحيح من الأقول وتحقيق المسائل العلمية الشرعية، سواء كانت في العقيدة أو غيرها وهذا هو الذي ينبغي على طلاب العلم وعلماء الأمة أن يختاروا ما دل عليه الكتاب والسنة بلا غلو ولا جفاء- والله المستعان – فنذكر من ذلك نبذةً باختصار.

❋ التوسط في حق اللهِ

❍ قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]:«مسألة في قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «أتدري ما حقُّ اللهِ على العباد؟»[2]. وفي قوله: «وما حق العبادِ على الله»، فهل حَقُّهم واجبٌ عليه كما حقُّه واجبٌ عليهم على ظاهرِ اللفظ أم مجازٌ؟.

أجاب ابنُ تيمية أيَّده الله: الحمد لله ربّ العالمين. هذه المسألة ونحوُها للناس فيها ثلاثة أقوال، طَرَفانِ ووَسَط: طائفة تقول: إنّ الله يجب عليه أشياء،

---

(1) «جامع المسائل لابن تيمية» (1/ 151). وانظر: «مجموع الفتاوى» (147/18 وما بعدها).

(2) «صحيح البخاري» (7373)، و«صحيح مسلم» (30).

ويَحْرُمُ عليه أشياء، بالقياس على المخلوقين، وإنّ العباد بقياسِ عقولهم يُوجِبون عليه ويُحرِّمون عليه، كما يَجبُ على العبادِ ويَحْرُمُ عليهم، فيقولون: يجب عليه أن يَفعَلَ في حقِّ كلِّ عبدٍ ما هو الأصلح له في دينه، ولهم في الصلاح الدنيوي نزاع. ويقولون: إنه لا يَقدِر على أن يفعلَ غيرَ ما فَعَلَ، وإن العبادَ يَقدِرون على مالاً يَقدِرُ عليه اللهُ، وإنَّه لا يَقدِرُ أن يَهدِيَ ضالاًّ ولا يُضِلّ مُهتديًا. وهذا قول القدرية من المعتزلة والشيعة وغيرِهم.

والقول الثاني: قول من يقول: إنّ الله سبحانه وتعالى لا يُوجبُ هو على نفسِه شيئًا، ولا يُحَرِّمُ على نفسِه شيئًا، ولا يُنَزَّه عن فعلٍ من الأفعال، ويجوز أن يقع منه كل ما هو مقدور، فلا يَقدِرُ أن يَظْلِمَ أحدًا، بل الظلمُ ممتنع لذاته، وإنّه ليس في أسمائه الحسنى وصفاتِه».

❃التوسط في الشفاعة

❍ قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: «وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق: طرفان، ووسط:

فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب، كالنصارى، ومبتدعة هذه الأمة: أثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن.

والخوارج والمعتزلة: أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته، بل أنكر طائفة من أهل البدع انتفاع الإنسان بشفاعة غيره ودعائه، كما أنكروا انتفاعه

---

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (2/ 359، 360).

بصدقة غيره وصيامه عنه.

وأنكروا الشفاعة بقوله تعالى: ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ**﴾[1] وبقوله تعالى: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾[2] ونحو ذلك.

وأما سلف الأمة وأئمتها، ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة، فأثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي ﷺ، من شفاعته لأهل الكبائر من أمته، وغير ذلك من أنواع شفاعاته، وشفاعة غيره من النبيين والملائكة.

وقالوا: إنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الإنسان بدعاء غيره وشفاعته، والصدقة عنه، بل والصوم عنه في أصح قولي العلماء، كما ثبتت به السنة الصحيحة الصريحة، وما كان في معنى الصوم»؛ اهـ.

❋ التوسط في الاقتصاد

❍ قال المباركفوري[3]: «قال التوربشتي: الاقتصاد على ضربين أحدهم ما كان متوسطًا بين محمود ومذموم كالمتوسط بين الجور والعدل والبخل والجود،

([1]) (سورة البقرة: 254).

([2]) (سورة غافر: 18).

([3]) «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» (6/ 127).

وهذا الضرب أريد بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾[1].

والثاني محمود على الإطلاق وذلك فيما له طرفان إفراط وتفريط كالجود فإنه بين الإسراف والبخل والشجاعة فإنها بين التهور والجبن وهذا الذي في الحديث هو الاقتصاد المحمود على الإطلاق».

❋ التوسط في القراءة خلف الإمام

❍ قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: «مسألة: في القراءة خلف الإمام؟

الجواب: الحمد لله للعلماء فيه نزاع واضطراب مع عموم الحاجة إليه وأصول الأقوال ثلاثة: طرفان، ووسط، فأحد الطرفين أنه لا يقرأ خلف الإمام بحال، والثاني: أنه يقرأ خلف الإمام بكل حال.

والثالث: وهو قول أكثر السلف؛ أنه إذا سمع قراءة الإمام أنصت، ولم يقرأ، فإن استماعه لقراءة الإمام خير من قراءته، وإذا لم يسمع قراءته قرأ لنفسه، فإن قراءته خير من سكوته، فالاستماع لقراءة الإمام أفضل من القراءة، والقراءة أفضل من السكوت، هذا قول جمهور العلماء كمالك وأحمد بن حنبل وجمهور أصحابهما، وطائفة من أصحاب الشافعي، وأبي حنيفة، وهو القول القديم للشافعي، وقول محمد بن الحسن.

---

(1) (سورة فاطر: 32).

(2) «الفتاوى الكبرى لابن تيمية» (2/ 286).

وعلى هذا القول؛ فهل القراءة حال مخافتة الإمام بالفاتحة واجبة على المأموم؟ أو مستحبة؟

على قولين في مذهب أحمد أشهرهما أنها مستحبة، وهو قول الشافعي القديم، والاستماع حال جهر الإمام هل هو واجب أو مستحب؟ والقراءة إذا سمع الإمام هل هي محرمة أو مكروهة؟ وهل تبطل الصلاة إذا قرأ؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره:

أحدهما: إن القراءة حينئذ محرمة، وإذا قرأ بطلت صلاته، وهذا أحد الوجهين اللذين حكاهما أبو عبد الله بن حامد، في مذهب أحمد.

والثاني: أن الصلاة لا تبطل بذلك، وهو قول الأكثرين، وهو المشهور من مذهب أحمد، ونظير هذا إذا قرأ حال ركوعه وسجوده: هل تبطل الصلاة؟ على وجهين من مذهب أحمد؛ لأن «النبي ﷺ نهى أن يقرأ القرآن راكعا أو ساجدا».

والذين قالوا: يقرأ حال الجهر، والمخافتة، إنما يأمرونه أن يقرأ حال الجهر بالفاتحة خاصة، وما زاد على الفاتحة فإن المشروع أن يكون فيه مستمعا لا قارئا»؛ اهـ.

❋ التوسط في دعاء الإمام والمأمومين بعد الصلاة

❍ قال ابن تيمية[1]: «وأما في دعاء الإمام والمأمومين بعد الصلاة جميعًا رافعينَ أصواتَهم أو غيرَ رافعين، فهذا ليس من سنة الصلاة الراتبة، ولم يكن يفعله

([1]) «جامع المسائل لابن تيمية» (4/ 316).

النبي ﷺ.

وقد استحسنه طائفة من العلماء من أصحاب الشافعي وأحمد في وقت صلاة الفجر وصلاة العصر، لأنه لا صلاة بعدها، وبعض الناس يستحبُّه في أدبارِ الخمس. لكنّ الصواب الذي عليه الأئمة الكبار أن ذلك ليس من سنة الصلاة، ولا يُستحبُّ المداومةُ عليه، فإنّ النبي ﷺ لم يكن يفعله هو ولا خلفاؤه الراشدون، ولكن كان يذكر الله عقيب الصلاة ويُرغَب في ذلك، ويجهر بالذكر عقيب الصلاة، كما ثبت في ذلك الأحاديث الصحيحة: حديث المغيرة بن شعبة وعبد الله بن الزبير وغير ذلك.

والناس في هذه المسألة طرفانِ ووسطٌ:

منهم من لا يستحبّ ذكرًا ولا دعاءً، بل بمجرد انقضاء الصلاة يقوم هو والمأمومون كأنهم فَرُّوا من قَسْوَرة، وهذا ليس بمستحب. ومنهم من يدعو هو والمأمومون رافعين أيديهم وأصواتهم، وهذا أيضًا خلافُ السنة».

❃ الناس في قتل الحسين رضي الله عنه طرفان ووسط

❍ قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: «وصار الناس في قتل الحسين رضي الله عنه ثلاثة أصناف: طرفين ووسطا.

(1) «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية» (4/ 553).

أحد الطرفين يقول: إنه قتل بحق ؛ فإنه أراد أن يشق عصا المسلمين ويفرق الجماعة.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه». قالوا: والحسين جاء وأمر المسلمين على رجل واحد، فأراد أن يفرق جماعتهم. وقال بعض هؤلاء: هو أول خارج خرج في الإسلام على ولاة الأمر.

والطرف الآخر قالوا: بل كان هو الإمام الواجب طاعته، الذي لا ينفذ أمر من أمور الإيمان إلا به، ولا تصلى جماعة ولا جمعة إلا خلف من يوليه ولا يجاهد عدو إلا بإذنه، ونحو ذلك.

وأما الوسط فهم أهل السنة، الذين لا يقولون لا هذا ولا هذا، بل يقولون: قتل مظلوما شهيدا، ولم يكن متوليا لأمر الأمة».

❋التوسط في الحكم على يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

❍ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: «فصل: افترق الناس في «يزيد» بن معاوية بن أبي سفيان ثلاث فرق: طرفان ووسط.

فأحد الطرفين قالوا: إنه كان كافرًا منافقًا وأنه سعى في قتل سبط رسول الله تشفيا من رسول الله ﷺ وانتقاما منه وأخذا بثأر جده عتبة وأخي جده شيبة وخاله

(1) «مجموع الفتاوى» (4/ 481 - 483).

الوليد بن عتبة وغيرهم ممن قتلهم أصحاب النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب وغيره يوم بدر وغيرها؛ وقالوا: تلك أحقاد بدرية وآثار جاهلية وأنشدوا عنه:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت ... تلك الرؤوس على ربى جيرون
نعق الغراب فقلت نح أو لا تنح ... فلقد قضيت من النبي ديوني

وقالوا: إنه تمثل بشعر ابن الزبعرى الذي أنشده يوم أحد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا الكثير من أشياخهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

وأشياء من هذا النمط. وهذا القول سهل على الرافضة الذين يكفرون أبا بكر وعمر وعثمان؛ فتكفير يزيد أسهل بكثير.

والطرف الثاني: يظنون أنه كان رجلا صالحا وإمام عدل وأنه كان من «الصحابة» الذين ولدوا على عهد النبي ﷺ وحمله على يديه وبرك عليه وربما فضله بعضهم على أبي بكر وعمر. وربما جعله بعضهم نبيا ويقولون عن «الشيخ عدي» أو حسن المقتول - كذبا عليه - إن سبعين وليا صرفت وجوههم عن القبلة لتوقفهم في يزيد. وهذا قول غالية العدوية والأكراد ونحوهم من الضلال. فإن الشيخ عديا كان من بني أمية وكان رجلا صالحا عابدا فاضلا ولم يحفظ عنه

أنه دعاهم إلا إلى السنة التي يقولها غيره كالشيخ «أبي الفرج» المقدسي فإن عقيدته موافقة لعقيدته؛ لكن زادوا في السنة أشياء كذب وضلال من الأحاديث الموضوعة والتشبيه الباطل والغلو في الشيخ عدي وفي يزيد والغلو في ذم الرافضة بأنه لا تقبل لهم توبة وأشياء أخر. وكلا القولين ظاهر البطلان عند من له أدنى عقل وعلم بالأمور وسير المتقدمين؛ ولهذا لا ينسب إلى أحد من أهل العلم المعروفين بالسنة ولا إلى ذي عقل من العقلاء الذين لهم رأي وخبرة.

والقول الثالث: أنه كان ملكا من ملوك المسلمين له حسنات وسيئات ولم يولد إلا في خلافة عثمان ولم يكن كافرا؛ ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع «الحسين» وفعل ما فعل بأهل الحرة ولم يكن صاحبا ولا من أولياء الله الصالحين وهذا قول عامة أهل العقل والعلم والسنة والجماعة. ثم افترقوا (ثلاث فرق: فرقة لعنته وفرقة أحبته وفرقة لا تسبه ولا تحبه وهذا هو المنصوص عن الإمام أحمد وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم من جميع المسلمين. قال صالح بن أحمد: قلت لأبي إن قوما يقولون إنهم يحبون يزيد فقال: يا بني وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقلت: يا أبت فلماذا لا تلعنه؟ فقال: يا بني ومتى رأيت أباك يلعن أحدا. وقال مهنا: سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. فقال: هو الذي فعل بالمدينة ما فعل قلت: وما فعل؟ قال: قتل من أصحاب رسول الله ﷺ وفعل. قلت: وما فعل؟ قال: نهبها قلت: فيذكر عنه الحديث؟ قال: لا يذكر عنه حديث. وهكذا ذكر القاضي أبو يعلى وغيره.

وقال أبو محمد المقدسي لما سئل عن يزيد: فيما بلغني لا يسب ولا يحب. وبلغني أيضا أن جدنا أبا عبد الله ابن تيمية سئل عن يزيد. فقال: لا تنقص ولا

تزد. وهذا أعدل الأقوال فيه وفي أمثاله وأحسنها»؛ اهـ.

❋ التوسط في مسألة التحسين والتقبيح

❍ قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: «فالناس في «مسألة التحسين والتقبيح» على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط.

الطرف الواحد: قول من يقول: بالحسن والقبح ويجعل ذلك صفات ذاتية للفعل لازمة له ولا يجعل الشرع إلا كاشفا عن تلك الصفات لا سببًا لشيء من الصفات فهذا قول المعتزلة - وهو ضعيف - وإذا ضم إلى ذلك قياس الرب على خلقه فقيل: ما حسن من المخلوق حسن من الخالق وما قبح من المخلوق قبح من الخالق ترتب على ذلك أقوال القدرية الباطلة وما ذكروه في التجويز والتعديل وهم مشبهة الأفعال يشبهون الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق في الأفعال وهذا قول باطل كما أن تمثيل الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق في الصفات باطل. فاليهود وصفوا الله بالنقائص التي يتنزه عنها فشبهوه بالمخلوق: كما وصفوه بالفقر والبخل واللغوب. وهذا باطل؛ فإن الرب تعالى منزه عن كل نقص وموصوف بالكمال الذي لا نقص فيه وهو منزه في صفات الكمال أن يماثل شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين».

❍ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: «والناس لهم في هذه الآية وهي قوله

---

(1) «مجموع الفتاوى» (8/ 431).

(2) «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية» (6/ 216).

تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1] ثلاثة أقوال: طرفان ووسط. فالخوارج والمعتزلة يقولون: لا يتقبل الله إلا ممن اتقى الكبائر. وعندهم صاحب الكبيرة لا يقبل منه حسنة بحال. والمرجئة يقولون: من اتقى الشرك، والسلف والأئمة يقولون: لا يتقبل إلا ممن اتقاه في ذلك العمل ففعله كما أمر به خالصا لوجه الله تعالى».

❋ التوسط في الْقِيَاسِ

❍ قال ابن القيم[2]: «وَمِنْ تَرَاجِمِ الْبُخَارِيِّ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بَابُ مَنْ شَبَّهَ أَصْلًا مَعْلُومًا بِأَصْلٍ مُبَيَّنٍ قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ حُكْمَهُمَا لِيَفْهَمَ السَّائِلُ.

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَهُ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إنَّ أُمِّيَّ نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: اقْضُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ»، وَهَذَا الَّذِي تَرْجَمَهُ الْبُخَارِيِّ هُوَ فَصْلُ النِّزَاعِ فِي الْقِيَاسِ، لَا كَمَا يَقُولُهُ الْمُفْرِطُونَ فِيهِ وَلَا الْمُفَرِّطُونَ، فَإِنَّ النَّاسَ فِيهِ طَرَفَانِ وَوَسَطٌ، فَأَحَدُ الطَّرَفَيْنِ مَنْ يَنْفِي الْعِلَلَ وَالْمَعَانِيَ وَالْأَوْصَافَ الْمُؤَثِّرَةَ، وَيُجَوِّزُ وُرُودُ الشَّرِيعَةِ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْمُتَسَاوِيَيْنِ وَالْجَمْعِ بَيْنَ الْمُخْتَلِفَيْنِ، وَلَا يَثْبُتُ أَنَّ اللَّهَ – سُبْحَانَهُ – شَرَعَ الْأَحْكَامَ لِعِلَلٍ وَمَصَالِحَ، وَرَبَطَهَا بِأَوْصَافٍ مُؤَثِّرَةٍ فِيهَا مُقْتَضِيَةٍ لَهَا طَرْدًا وَعَكْسًا، وَأَنَّهُ قَدْ

([1]) (سورة المائدة: 27).

([2]) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (153/1).

يُوجِبُ الشَّيْءَ وَيُحَرِّمُ نَظِيرَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَيُحَرِّمُ الشَّيْءَ وَيُبِيحُ نَظِيرَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَيَنْهَى عَنْ الشَّيْءِ لَا لِمَفْسَدَةٍ فِيهِ، وَيَأْمُرُ بِهِ لَا لِمَصْلَحَةٍ بَلْ لِمَحْضِ الْمَشِيئَةِ الْمُجَرَّدَةِ عَنْ الْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةُ، وَبِإِزَاءِ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ أَفْرَطُوا فِيهِ، وَتَوَسَّعُوا جِدًّا، وَجَمَعُوا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ اللَّذَيْنِ فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا بِأَدْنَى جَامِعٍ مِنْ شَبَهٍ أَوْ طَرْدٍ أَوْ وَصْفٍ يَتَخَيَّلُونَهُ عِلَّةً يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عِلَّتَهُ وَأَنْ لَا يَكُونَ، فَيَجْعَلُونَهُ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي عَلَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْحُكْمَ بِالْخَرْصِ وَالظَّنِّ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَى ذَمِّهِ كَمَا سَيَأْتِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى -.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ فِي الْأَحْكَامِ الْعِلَلَ وَالْأَوْصَافَ الْمُؤَثِّرَةَ فِيهَا طَرْدًا وَعَكْسًا «كَقَوْلِهِ لِلْمُسْتَحَاضَةِ الَّتِي سَأَلَتْهُ: هَلْ تَدَعُ الصَّلَاةَ زَمَنَ اسْتِحَاضَتِهَا؟ فَقَالَ: لَا، إنَّمَا ذَلِكَ عِرْقٌ وَلَيْسَ بِالْحَيْضَةِ» فَأَمَرَهَا أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ هَذَا الدَّمِ، وَعَلَّلَ بِأَنَّهُ دَمُ عِرْقٍ وَلَيْسَ بِدَمِ حَيْضٍ، وَهَذَا قِيَاسٌ يَتَضَمَّنُ الْجَمْعَ وَالْفَرْقَ»؛ اهـ.

❃ ❃ ❃ ❃ ❃

الباب الثامن

أبواب من محاسن الإسلام مما يؤيد الوسطية

[3] الوسطية والاعتدال ليست هي المميز الوحيد لدين الإسلام، فهناك محاسن لدين الإسلام غير الوسطية، أفضلها وأبرزها ثلاثة: أنه دين، باق، ناسخ، كامل.

[4] وقد جمعتها في رسالة مستقلة، نذكر بعضها هنا باختصار تتميمًا للفائدة، والله الموفق.

❍ **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله[1]:

«كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس، فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله من جميع الأجناس، هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق قبلهم، وجعلهم وسطًا عدلًا خيارًا، فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله، وكتبه، وشرائع دينه من الأمر، والنهي، والحلال، والحرام. فأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وأحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، لم يحرم عليهم شيئاً من الطيبات كما حرم على اليهود، ولم يحل لهم شيئاً من الخبائث كما استحلتها النصارى، ولم يضيق عليهم باب الطهارة، والنجاسة كما ضيق على اليهود، ولم يرفع عنهم طهارة الحدث،

---

(1) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (1/ 69 - 75).

والخبث كما رفعته النصارى، فلا يوجبون الطهارة من الجنابة ولا الوضوء للصلاة، ولا اجتناب النجاسة في الصلاة، بل يعد كثير من عبادهم مباشرة النجاسات من أنواع القرب والطاعات حتى يقال في فضائل الراهب: «له أربعون سنة ما مس الماء»، ولهذا تركوا الختان مع أنه شرع إبراهيم الخليل عليه السلام وأتباعه.

واليهود إذا حاضت عندهم المرأة، لا يؤاكلونها، ولا يشاربونها، ولا يقعدون معها في بيت واحد، والنصارى لا يحرمون وطء الحائض. وكان اليهود لا يرون إزالة النجاسة، بل إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه بالمقراض، والنصارى ليس عندهم شيء نجس يحرم أكله أو تحرم الصلاة معه.

ولذلك المسلمون وسط في الشريعة ؛ فلم يجحدوا شرعه الناسخ لأجل شرعه المنسوخ، كما فعلت اليهود، ولا غيروا شيئاً من شرعه المحكم، ولا ابتدعوا شرعا لم يأذن به الله كما فعلت النصارى، ولا غلوا في الأنبياء والصالحين كغلو النصارى، ولا بخسوهم حقوقهم كفعل اليهود، ولا جعلوا الخالق سبحانه متصفا بخصائص المخلوق، ونقائضه، ومعايبه من الفقر، والبخل، والعجز، كفعل اليهود، ولا المخلوق متصفا بخصائص الخالق سبحانه التي ليس كمثله فيها شيء كفعل النصارى، ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود، ولا أشركوا بعبادته أحدا كفعل النصارى.

وأهل السنة، والجماعة في الإسلام كأهل الإسلام في أهل الملل، فهم وسط في باب صفات الله عز وجل بين أهل الجحد والتعطيل، وبين أهل التشبيه

والتمثيل، يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسله من غير تعطيل، ولا تمثيل إثباتا لصفات الكمال، وتنزيها له عن أن يكون له فيها أنداد، وأمثال، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل. كما **قال الله تعالى:** ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[1]، ردا على الممثلة، ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [2].

وفي باب الوعد والوعيد، بين الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار، وبين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد، وما فضل الله به الأبرار على الفجار.

وهم وسط في أصحاب رسول الله ﷺ، بين الغالي في بعضهم الذي يقول بإلهية بعضهم، أو نبوة بعضهم، أو عصمة بعضهم، والجافي فيهم الذي يكفر بعضهم، أو يفسقه، وهم خيار هذه الأمة»؛ اهـ.

✵ الإسلام نسخ الشرائع والأديان الأخرى

❍ قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

([1]) (سورة الشورى: 11).

([2]) (سورة الشورى: 11).

فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

❍ وقال سبحانه:﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

❍ وقال سبحانه: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[3].

[5] عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[4].

[6] وعن نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية؟ قال: إن الله حرم المشركات على المؤمنين ولا أعلم من الإشراك شيئاً أكبر من أن تقول المرأة ربها عيسى وهو عبد من عباد الله[5].

([1]) (سورة المائدة: 48).

([2]) (سورة آل عمران: 85).

([3]) (سورة آل عمران: 83).

([4]) «صحيح مسلم» (153).

([5]) «صحيح البخاري» (5285).

❃الإسلام دين كامل

❍ قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾[1].

[7] وعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَه وَأَجْمَلَه إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاس يَطوفونَ بِهِ وَيَعْجَبونَ لَه وَيَقولونَ هَلَّا وضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَة قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَة وَأَنَا خَاتِم النَّبِيِّينَ»[2].

❃ الإسلام باقي إلى قيام الساعة لا ينسخه دين

❍ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾[3]. عن أبي هريرة يقول قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ﷺ حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[4].

[8] وعن جابر بن عبدالله يقول سمعت النبي ﷺ يقول: «لا

([1]) (سورة المائدة: 3).

([2]) «صحيح البخاري» (3535).

([3]) (سورة آل عمران: 19).

([4]) «صحيح مسلم» (155).

تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة» قال: «فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»[1].

❋ الإسلام دين يسر

[9] ❍ قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2].

[10] ❍ وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

وقال الله تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا

([1]) «صحيح مسلم» (156).

([2]) (سورة البقرة: 185).

([3]) (سورة الأعراف: 157).

حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾[1].

[11] عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يسْرٌ وَلَنْ يشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غلَبَه فَسَدِّدوا وَقَارِبوا وَأَبْشِروا وَاسْتَعِينوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدّلْجَةِ»[2].

[12] وعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «إِنَّ الله تَجَاوَزَ لِي عَنْ أمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صدورهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ»[3].

[13] وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾[4]، قَالَ: دَخَلَ قلوبَهمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخلْ قلوبَهمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «قولوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا» قَالَ: فَأَلْقَى الله الْإِيمَانَ فِي قلوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ الله تَعالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: «قَدْ فَعَلْت» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قَالَ: «قَدْ فَعَلْت»

---

(1) (سورة البقرة: 286).

(2) «صحيح البخاري» (39).

(3) «صحيح البخاري» (2528).

(4) (سورة البقرة: 284).

﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾[1]، قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»[2].

[14] وعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «إِنَّ الله تَجَاوَزَ لِي عَنْ أمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صدورهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ»[3].

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَعْتَمَ النَّبِيّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى ذَهَبَ عَامَّة اللَّيْلِ وَحَتَّى نَامَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ ثمَّ خَرَجَ فَصَلَّى فَقَالَ: «إِنَّه لَوَقْتهَا لَوْلَا أَنَّ يَشقَّ عَلَى أمَّتِي»[4].

وعن جابر بن عبد الله قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات ليلة وهم ينتظرون العشاء فقال: «**صلى الناس ورقدوا وأنتم تنتظرونها أما إنكم في صلاة ما انتظرتموها**» ثم قال: «**لولا ضعف الضعيف وكبر الكبير لأخرت هذه الصلاة إلى شطر الليل**». قال أبو يعلى: وهو حديث صحيح[5].

[15] وعن الْحَكَم بْن حَزْنٍ الْكلَفِيّ قَالَ: قَدِمْت عَلَى رَسولِ الله ﷺ سَابِعَ سَبْعَةٍ أَوْ تَاسِعَ تِسْعَةٍ قَالَ فَأَذِنَ لَنَا فَدَخَلْنَا فَقلْنَا يَا رَسولَ الله أَتَيْنَاكَ لِتَدْعوَ لَنَا بِخَيْرٍ قَالَ فَدَعَا لَنَا بِخَيْرٍ وَأَمَرَ بِنَا فَأنْزِلْنَا وَأَمَرَ لَنَا بِشَيْءٍ

---

(1) (سورة البقرة: 286).

(2) «صحيح مسلم» (125).

(3) «صحيح البخاري» (2528)، و«صحيح مسلم» (127).

(4) «صحيح مسلم» (638).

(5) «مسند أبي يعلى» (1939).

مِنْ تَمْرٍ وَالشَّأْن إِذْ ذَاكَ دونٌ قَالَ فَلَبِثْنَا عِنْدَ رَسولِ الله ﷺ أَيَّامًا شَهِدْنَا فِيهَا الْجمعَةَ فَقَامَ رَسول الله ﷺ متوَكِّئًا عَلَى قَوْسٍ أَوْ قَالَ عَلَى عَصًا فَحمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ كَلِمَاتٍ خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مبارَكَاتٍ ثمَّ قَالَ: «يَا أَيّهَا النَّاس إِنَّكمْ لَنْ تَفْعَلوا وَلَنْ تطِيقوا كلَّ مَا أمِرْتمْ بِهِ وَلَكِنْ سَدِّدوا وَأَبْشِروا»[1]. هذا حديث حسن.

❃ أراد الله بالمسلمين خيرًا

عَنْ أَبِي موسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الله** عز وجل **إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَه لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيّهَا حَيٌّ فَأَهْلَكَهَا وَهوَ يَنْظر فَأَقَرَّ عَيْنَه بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبوه وَعَصَوْا أَمْرَه**»[2].

❃ المسلمون يعطون أجرهم مرتين وتفضيل الله لهم على أهل الكتاب

[16] عَنْ عَبْدِ الله بن عمر سَمِعَ رَسولَ الله ﷺ يَقول: «إِنَّمَا بَقَاؤكمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكمْ مِنْ الْأمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غروبِ الشَّمْسِ أوتِيَ أَهْل التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَار عَجَزوا

(1) «مسند الإمام أحمد بن حنبل» (17856).

(2) أخرجه مسلم معلّقا، «صحيح مسلم» (2288).

فَأعْطوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثمَّ أوتِيَ أَهْل الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثمَّ عَجَزوا فَأعْطوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثمَّ أوتِينَا الْقرْآنَ فَعَمِلْنَا إِلَى غروبِ الشَّمْسِ فَأعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَقَالَ أَهْل الْكِتَابَيْنِ أَيْ رَبَّنَا أَعْطَيْتَ هَؤلَاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحْن كنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا قَالَ قَالَ الله عز وجل هَلْ ظَلَمْتكمْ مِنْ أَجْرِكمْ مِنْ شَيْءٍ قَالوا لَا قَالَ فَهوَ فَضْلِي أوتِيهِ مَنْ أَشَاء»[1].

[17] وعَنْ أَبِي موسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَل الْمسْلِمِينَ وَالْيَهودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلونَ لَه عَمَلًا إِلَى اللَّيْلِ فَعَمِلوا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالوا لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ فَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ فَقَالَ أَكْمِلوا بَقِيَّةَ يَوْمِكمْ وَلَكمْ الَّذِي شَرَطْت فَعَمِلوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَالوا لَكَ مَا عَمِلْنَا فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا فَعَمِلوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتْ الشَّمْس وَاسْتَكْمَلوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ»[2].

❋ الإسلام يفتح الله به أعينا عميا وآذانا صمًّا وقلوبًا غلفا

❍ قال الله تعالى: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ

([1]) «صحيح البخاري» (557).

([2]) «صحيح البخاري» (558).

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾[1].

❍ وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2].

❍ وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3].

عن عَبْدَالله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما **قلْت** أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسولِ الله ﷺ فِي التَّوْرَاةِ قَالَ أَجَلْ وَالله إِنَّه لَمَوْصوفٌ فِي التَّوْرَاة بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقرْآنِ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِرًا وَنَذِيرًا**﴾[4]، وَحِرْزًا لِلْأمِّيّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسولِي سَمَّيْتكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا

([1]) (سورة الطلاق: 11).

([2]) (سورة الجمعة: 2).

([3]) (سورة آل عمران: 103).

([4]) (سورة الأحزاب: 45).

يَدْفَع بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفو وَيَغْفِر وَلَنْ يَقْبِضَه الله حَتَّى يقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقولوا لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَيَفْتَح بِهَا أَعْيِنًا عمْيًا وَآذَانًا صمًّا وَقلوبًا غلْفًا[1].

هذه نبذة ميسرة من أدلة حسن الإسلام وتيسيره وانه خيار عدل في أحكامه وتشريعاته، والباب واسع إنما أردنا الإشارة إلى أن الإسلام شامل كامل سهل ميسر كما أنه دين الوسطية والاعتدال وفقنا لله للعمل به من جميع جوانبه ونسأل الله أن يحيينا ويميتنا عليه.

ودينـنـــــا يمتـــــاز بالبقــــاء	إلـــى قيـــام ســـاعة الفنـــاء
وبالشـــمول للجميـــع والصـــلة	شـــريعة لنـــا أتـــت مكتملـــة
كـذا ونسـخُهُ جميـع الملـلِ	والاعتـــدال كـــان فيـــه منجلـــي
ثـــم الصـــلاة والســـلام أبـــدا	علـى النبـي المصـطفى محمـدا

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

---

(1) «صحيح البخاري» (2125).

الباب التاسع

من أسباب الهداية إلى التوسط والاعتدال وترك الغلو والجفاء

الأسباب بمسبباتها ولا بد من العمل بالسبب لكل غاية فمن أسباب الهداية إلى الحق والاعتدال.

❋ أولا: دعاء الله تعالى بالهداية والاستقامة لمعرفة الحق

كما ثبت عن نبينا ﷺ، فعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ**»، وفي رواية: «**قُلِ اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ**»[1] .

وكان من دعائه ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قال: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»[2].

فهذا رسول الله ﷺ يسأل الله الهداية لأحسن الأخلاق في استفتاح صلاته ﷺ، وكما سبق في باب الاستقامة على الوسطية بيان معنى الفاتحة، وأن أغلبها دعاء الله الهداية للصراط المستقيم.

([1]) «صحيح مسلم» (2725).

([2]) «صحيح مسلم» (771)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

❋ ثانيا: بذل الجهد في البحث عن الحق

الحق أغلى الأرزاق، والوسطية أحسن الأخلاق، ولا ينالها إلا أصحاب الهمم العالية الذين يتعبون في البحث عن الحق، أتباع رسول الله ﷺ؛ فسلمان مكث السنين العديدة يبحث عن الحق الذي ينجيه من النار حتى وجده، قال النبي ﷺ: «**لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَذَهَبَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ**»(1).

فأصحاب الهمم العالية هم الباحثون عن الحق، **وما أحسن ما قال ابن القيم** رحمه الله (2):

«كم قطع زرع قبل التَّمام فَمَا ظن الزَّرْع المستحصد اشْتَرِ نَفسك فالسوق قَائِمَة وَالثمن مَوْجُود لابد من سنة الْغَفْلَة ورقاد الْهوى. وَلَكِن كن خَفِيف النّوم، فحراس الْبَلَد يصيحون دنا الصَّباح، نور الْعقل يضيء فِي ليل الْهوى فتلوح جادة الصَّوَاب، فيتلمح الْبَصِير فِي ذَلِك النُّور عواقب الْأُمُور. أخرج بالعزم من هَذَا الفناء الضيّق المحشو بالآفات إِلَى ذَلِك الفناء الرحب الَّذِي فِيهِ مَا لا عين رَأَتْ، فهناك لَا يتعذّر مَطْلُوب وَلَا يفقد مَحْبُوب. يَا بَائِعا نَفسه بهوى مَنْ حُبُّه ضنا، وَوَصله أَذَى، وَحسنه إِلَى فَنَا لقد بِعْت أنفس الْأَشْيَاء بِثمن بخس كَأَنَّك لم تعرف قدر السّلْعَة وَبلا خسة الثّمن حَتَّى إِذا قدمت يَوْم التغابن تبيّن لَك ان الْغبن فِي عقد

(1) «صحيح مسلم» (2546)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(2) «الفوائد» (ص/ 41).

التبايع، لَا إِلَه إِلَّا الله سلْعَة الله مشتريها وَثمنهَا الجنّة والدلال الرَّسُول، ترْضى بِبَيْعِهَا بِجُزْء يسير مِمَّا لَا يُسَاوِي كُله جنَاح بعوضة.

إِذا كَانَ شَيْء لَا يُسَاوِي جَمِيعه   جنَاح بعوضة عِنْد من صرت عَبده
وَيملك جُزْء مِنْهُ كلك مَا الَّذِي   يكون على ذَا الْحَال قدرك عِنْده
وبعت بِهِ نفسا قد استامها بِمَا   لَدَيْهِ من الْحسنى وَقد زَالَ وده

يَا مخنت الْعَزْم أَيْن أَنْت وَالطَّرِيق طَرِيق تَعب فِيهِ آدم، وناح لأَجله نوح، وَرمي فِي النَّار الْخَلِيل، وأضجع للذبح إِسْمَاعِيل، وَبيع يُوسُف بِثمن بخس ولبث فِي السجْن بضع سِنِين، وَنشر بِالْمِنْشَارِ زَكَرِيَّا، وَذبح السَّيِّد الحصور يحيى، وقاسى الضّر أَيُّوب، وَزَاد على الْمِقْدَار بكاء دَاوُد، وَسَار مَعَ الْوَحْش عِيسَى، وعالج الْفقر وأنواع الْأَذَى مُحَمَّد، تزها أَنْت باللهو واللعب.

فيا دارها بالحزن إِن مزارها   قريب وَلَكِن دون ذَلِك أهوال

الْحَرْب قَائِمَة وَأَنت أعزل فِي النظارة فَإِن حركت ركابك فللهزيمة من لم يُبَاشر حر الهجير فِي طلاب الْمجد لم يَقِل فِي ظلال الشّرف.

تَقول سليمى لَو أَقمت بأرضنا   وَلم تدارني للمقام أَطُوف

قيل: لبَعض الْعباد إِلَى كم تتعب نَفسك فَقَالَ راحتها أُرِيد».

❋ ثالثا: التمسك بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة

الكتاب والسنة هما وحي الله وحبله المتين فمن اعتصم بهما نجى ومن تمسك بهما سلم من الفتن.

فعلى الإنسان أن يكثر من قراءة القرآن وتفهمه، ولا يجفو عنه ولا يغلو فيه، فإنه من طلب الهدى فيه هداه الله، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله.

وقد سبق هذا في معنى **قول الله تعالى**: **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾**[1].

❍ **قال تعالى**: **﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾**[2] .

❍ **وقال سبحانه**: **﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾**[3].

([1]) (سورة الإسراء: 9).

([2]) (سورة الشورى: 10).

([3]) (سورة النساء: 59).

❍ وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[1].

❍ وقال سبحانه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2] .

❍ وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

❋ رابعا: سؤال أهل العلم ومجالستهم والتتلمذ على أيديهم

أهل العلم هم الذين أخذوا ميراث النبي ﷺ وهم نجوم الأرض.

❍ ويقول تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

([1]) (سورة النور: 54).

([2]) (سورة الأعراف: 158).

([3]) (سورة يونس: 58).

([4]) (سورة النحل: 43).

❍ **ويقول الله** عز وجل: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[1].

❍ **قال الله تعالى**: ﴿**وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ**﴾[2].

ومن علامة أهل الزيغ والغلو والعناد والبدعة والفساد، البعد عن علماء الأمة، والنأي عن أهل السنة الذين يفتون بالدليل، ويقولون الحق في كل زمان ومكان.

فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من قلوب الناس، ولكن ينتزع العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالًا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**» وفي رواية: «**فأفتوا برأيهم**»[3].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» [4].

([1]) (سورة طه: 114).

([2]) (سورة المائدة: 49).

([3]) «صحيح البخاري» (7307).

([4]) «سنن أبي داود» (3641)، والحديث ثابت بشواهده.

❍ **وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾**[1].

❍ **ويقول الإمام البربهاري** رحمه الله [2]: «وعليك بالآثار وأهل الآثار، وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس؛ وفق الله المسلمين لكل خير ودفع عنهم كل سوء».

فعُلم من هذه الأدلة أن البعد عن العلماء سبيل المجرمين، ومخالفة قول العلماء من الضلال المبين.

ولا فرق بين المعرض عن العلماء ورثة الأنبياء حقًا، والمعرض عن رسل الله لأنهم ورثتهم.

قال الله عز وجل: **﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾**[3].

---

(1) (سورة النساء: 83).

(2) «شرح السنة» (ص/ 105).

(3) (سورة فصلت: 13).

فانظروا أيها الناس، واعلموا أن المعرِض عن دينه الحق ربما يعتقد أنه على حق وهو معرض عنه، فيكون سببًا لجهله وغلوه وجفاءه وبدعته أو فسقه المؤدي به إلى غضب ربه، والعياذ بالله.

فلا تعرض عن العلماء الذين يبصّرون الناس، وإن رأيت المعرضين ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**﴾[1] ، وإلا ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**﴾[2].

❍ **وقال الله تعالى:** ﴿**وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ**﴾[3].

(1) (سورة النساء: 62).

(2) (سورة المزمل: 10).

(3) (سورة المائدة: 49).

❋ خامسا: معرفة علامات أهل الضلال من الغلاة والجفاة وصفاتهم

الوسطية هي السنة والاتباع، ومن لم يعرف الباطل يقع في شِبَاكِه، ومن لم يتعلم علامات أهل الغلو والجفاء لا بد أن تصيبه الأهواء.

❍ **قال الشاعر :**

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وكانوا يسألون رسول الله عن الشر وعلامات أهله، قال حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «**نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ**

تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[1].

❍ **قال ابن الأشعث**[2]:

ودع عنـك آراء الرجـال وقـولهم فقـول رسـول اللـه أزكـى وأشـرح
ولا تـك مـن قـوم تَلَهَّـوْا بـدينهم فتطعن في أهـل الحـديث وتقـدح

وبين العلماء طرق أهل الأهواء وعلاماتهم، «**قال الإمام أَحمد بن سنان القطان** رحمه الله تعالى: «لَيْسَ في الدنيا مُبْتَدِع؛ إلا وهو يُبْغضُ أَهلَ الحَديث، فإذا ابْتَدَعَ الرجُلُ نُزِعَتْ حَلاوَةُ الحَديثِ من قَلْبِه».

وقال الإمام أَبو حاتم الحنظلي الرازي رحمه الله تعالى: «عَلامةُ أَهلِ البدَعِ الوَقيعةُ في أَهلِ الأَثَر، وعَلاَمةُ الزنادِقَة تَسْميَتُهُم أَهلَ الأَثَرِ حَشوية، يُريدونَ إِبْطالَ الآثار، وَعَلامَةُ الجهمية تَسْميَتُهم أهلَ السنة مُشبهة، وَعَلامَةُ القَدَرية تَسْميَتُهم أَهلَ السنة مُجْبِرَة، وعَلامَةُ المرجئَة تَسْميَتُهم أَهلَ السنة مُخالفة وَنُقصانية، وَعَلامَةُ الرافضَة تَسْمِيَتُهم أَهلَ السُّنَّة ناصِبَة، ولا يَلْحقُ أَهل السنة إِلَّا اسْم وَاحِد، ويَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمَعَهُمْ هَذهِ الأَسْماء».

([1]) «صحيح البخاري» (3606)، و«صحيح مسلم» (1847).

([2]) «العرش» (2/ 392).

وقد وقيل للإِمام أَحمد بن حنبل رحمه الله: ذكروا لابن قتيلة بمكة أَصحاب الحديث، فقال: أَصحاب الحديث قومُ سوء! **فقام أَحمد بن حنبل** وهو ينفض ثوبه **ويقول**: «زِنْديق، زِنْديق، زِنْديق ؛ حتى دَخَلَ البَيْت».

وقال الحاكم أبو عبد الله: «وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كل من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة ويسميها الحشوية»»[1] اهـ.

❍ **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية**[2]: «وقال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني في اعتقاده المشهور: وعلامة أهل البدع شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة اعتقادا منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل من العلم وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ووساوس صدورهم المظلمة وهواجس قلوبهم الخالية عن الخير العاطلة وحججهم بل شبههم الداحضة الباطلة

([1]) «معرفة علوم الحديث» (ص/ 4).

([2]) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (1/ 382).

بل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[1]، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[2]».

وهذا الكلام – أيضا- منقول عن أبي عبيد رحمه الله، وعن الإمام أحمد أن من علامة أهل البدع تسمية أهل السنة بألقاب افتروها من عند أنفسهم، وضرب لذلك أمثلة فالروافض تسمي أهل السنة نواصب. والنواصب أو الناصبة هم الذين يبغضون عليا وآل البيت هذا ضابط النصب بمعناه العام[3].

❍ **وقال أبو القاسم اللالكائي**[4]: «قال الأئمة: علامة أهل السنة الدعاء للأئمة يعني للسلاطين، وعلامة أهل البدعة الوقيعة في السلاطين. وهذا ظاهر لمن تأمل هدي أهل السنة والجماعة، وتأمل أصولهم، وارجعوا في هذا الأمر إلى الإبانة لابن بطة، وارجعوا إلى كتاب البربهاري وهو من أئمة أهل السنة والجماعة فقد فصّل في ذلك تفصيلا بيّنا لأجل ما ظهر في زمنه من كثرة المخالفين في هذا الأصل العظيم.

والمرجئة والمبتدعة ضلال والقدرية المبتدعة ضلال.

([1]) (سورة محمد: 23).

([2]) (سورة الحج: 18).

([3]) انظر: «كتب المناهج والفرق» (1/ 75).

([4]) «أصول اعتقاد أهل السنة» (1/ 201).

فمن أنكر منهم أن الله عز و جل لا يعلم ما لم يكن قبل أن يكون فهو كافر.
وأن الجهمية كفار.

وأن الرافضة رفضوا الإسلام. والخوارج مرّاق. ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر. ومن شك في كلام الله عز و جل فوقف شاكا فيه يقول لا أدري مخلوق أو غير مخلوق فهو جهمي. ومن وقف في القرآن جاهلا علم وبدع ولم يكفروا من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي أو القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي.

قال أبو محمد وسمعت أبي يقول: وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار. وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة.

وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة. وعلامة المرجئية تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية. وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة. ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء.

قال أبو محمد: وسمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع يغلظان في ذلك أشد التغليظ وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار.

وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين ويقولان لا يفلح صاحب كلام أبدا، قال أبومحمد وبه أقول أنا».

❍ **قال ابن أبي داود**[1]:

ولا تـك مـن قـوم تلهـوا بـدينهم فتطعن في أهـل الحـديث وتقـدح

❍ **وقال أبو زرعة**: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة».

إلى غير ذلك من الآثار الجميلة وهي كثيرة ونسأل الله أن، ينفعنا بما نقول ونسمع وأن يجعل ما نكتبه وتقوله حجة لنا لا علينا وأن يثبتنا حتى الممات إنه سميع قريب.

✵ سادسا: طلب العلم الشرعي والتبصر في الدين

العلم نور وهدى ووسطية واعتدال، وطلبه يدل على الحب للدين والحق، ومن كان زاهدا في العلم وأهله كان ذاك دليلا على بعده عن الدين.

ولا بد من طلب الحق لمن أراده وابتغاه، ومن أراد أن يوفق للهدى والاعتدال والوسطية فلا بد من طلب العلم، قال تعالى لنبيه: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[2].

([1]) « العرش» (2/ 392).

([2]) (سورة طه: 114).

❍ **وقال الإمام أحمد بن حنبل** في خطبته المشهورة في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية[1]: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله تعالى الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيل لإبليس أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتنة المضلين» اهـ.

❍ **وقال ابن القيم**[2]: «فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون ولقلتهم في الناس جدًا سموا غرباء فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات فأهل الإسلام في الناس غرباء والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء وأهل العلم في المؤمنين غرباء وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًا فلا غربة عليهم وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله عز و جل فيهم: ﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ**

(1) نقلها ابن القيم في «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (1/ 7).

(2) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (3/ 195).

﴿فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1]، فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه وغربتهم هي الغربة الموحشة وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم كما قيل:

ولكن من تنأين عنه غريب» اهـ

❋ سابعا: معرفة قدر نعمة التمسك بالحق والوسطية المرضية

معرفة النعم جزء من شكرها، والنعم إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت، قال الله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[2].

فمن وفقه الله للاعتدال فعليه بالشكر، فإن من شكر الله تعالى زاده من فضله ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3].

([1]) (سورة الأنعام: 116).

([2]) (سورة البقرة: 152).

([3]) (سورة إبراهيم: 7).

❁ ثامنا: البعد عن أهل الأهواء والتطرف والغلو

من كان حريصا على دينه ووسطيته فعليه أن يحافظ عليه من سراق الهداية، وأن يبتعد عن أهل الغواية، فكل صاحب هوى وبدعة فإنه يحب أن يؤثر على الناس، ويكثر سواد غلوه وانحطاطه.

وهذا ما أوصانا الله به .**قال تعالى:** ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾(1).

وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾(2).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا**

(1) (سورة النساء: 140).

(2) (سورة الأنعام: 68).

أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1]، فقال: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**»[2].

وعن عائشة بلفظ: «**فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله** عز وجل **فاحذروهم**»[3].

وروى الإمام الدرامي[4]: عن أيوب قال قال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.

وروى الآجري رحمه الله بسنده إلى أبي الجوزاء أنه ذكر أصحاب الأهواء فقال: والذي نفس أبي الجوزاء بيده لأن تمتلئ داري قردة وخنازير أحب إلي من أن يجاورني رجل منهم، ولقد دخلوا في هذه الآية **﴿هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾**[5].

([1]) (سورة آل عمران: 7).

([2]) «صحيح البخاري» (4547).

([3]) «مسند الإمام أحمد» (6/ 47).

([4]) «مسند الدارمي» (1/ 120).

([5]) (سورة آل عمران: 119).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[1]

وبين نبينا ﷺ مدى أثر الجليس، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**»[2].

❋ تاسعا: مجالسة أهل الحق

وعلم مما سبق أن من ابتعد عن الشبهات وأهلها عليه أن يجالس أهل الحق والهدى.

❍ **قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾**[3].

---

(1) «الصحيح المسند».

(2) «صحيح البخاري» (2101)، و«صحيح مسلم» (2628).

(3) (سورة الكهف: 28).

❁ عاشرا: الحذر من الدواعي والأسباب المفضية للغلو والجفاء وترك الوسطية

بعد أن ذكرنا أسباب الهداية للوسطية والاعتدال نذكر أبرز الأسباب التي تجعل الكثير من المسلمين يتركون التوسط ويبتعدون عن الاعتدال باختصار، بعد مشيئة الله الكونية.

- الجهل بدين الله تعالى.
- عدم الحرص على التمسك بالدين.
- البعد عن العلماء والبعد عن مجالسة أهل الصلاح .
- مجالسة أهل البدع والأهواء وتلقي العقيدة منهم.
- عدم البحث عن الحق وأهله أو التقصير في ذلك.
- حسن الظن بالخوارج وأهل البدع، وتصديق دعاواهم الكاذبة.
- قراءة كتب الضلال والمنحرفين، والغلاة الحدادية.
- مخالطة الكفار سواء بالإقامة بين ظهراني الكفار، وعدم الهجرة كذلك من الأسباب التي جعلت الكثير من المسلمين يتشبهون بأعدائهم، أو ببقائهم في بلاد المسلمين.
- ظهور علماء الهوى والدنيا والمفتين بالباطل والشر، الذين يتشبهون بالكفار، فيكون ذلك فتنة لكل مفتون.
- الديمقراطية الكفرية التي تجعل كثيرًا من الناس متمرنا على ما يريد، وتسبب الخلل بين المسلمين ووجود النصارى وغيرهم من الكفار، وتسمح بالحرية في العقيدة والدين والعياذ بالله.

- عدم معرفة أحكام الإسلام والجهل بعزة هذا الدين ووسطيته، والجهل بسماحته وشموليته.
- حب الدنيا والتهالك عليها كذلك من الأسباب التي جعلت الكثير من المسلمين يتشبهون بأعدائهم ويتركون العزة بدينهم.
- الميل إلى الغلو إما بالطبع أو بالتأثر والمجالسة.
- الميل إلى الميوعة والتفريط إما بالطبع أو بالتأثر والمجالسة.
- الإعلام الفاسد والصور الخليعة إلى غير ذلك من الأسباب التي جعلت الكثير من المسلمين يقعون في الغلو والتميع.
- هذه أبرزها باختصار، وهناك غيرها، وكل سبب منها يحتاج إلى رسالة مستقلة، وبيان ذلك في الباب قبله.

✵ ✵ ✵ ✵ ✵

الوصايا والخاتمة

❃ وصايا

تبين من خلال ما سبق أنه لا بد على كل إنسان أن يوصي نفسه أولاً، وإخوانه، ومن يلي أمره، بالتمسك بدين الله الحق، فإنه ما من أحد إلا وله مسئولية، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[1].

فإقامة الدين هو التوسط الحق، وهي وصية الله للأولين والآخرين ووصية الله للرسل أجمعين.

(1) (صحيح البخاري (2554) صحيح مسلم (1829).

فلذا نوصي أنفسنا وإخواننا بوصية الله للأولين والآخرين ألا وهي تقوى الله ولا يتقي عبدٌ ربَهُ إلا بالتمسك بدين الله الحق المشتمل على الوسطية، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾** [1].

ونوصي بوصية الله تعالى للمرسلين وهي إقامة الدين المشتمل على الوسطية والاعتدال، والبعد عن التذبذب والتشدد والغلو والجفاء.: **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾**[2] .

ومن لم يتوسط فلا بد أن يقع في الباطل من غلو وجفاء، ومن لم ينصر الحق فسينصر الباطل، ومن لم يكفه الحق فلا تكفيه إلا نار جهنم، **قال تعالى**: **﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**[3].

ولا بد أن من وقع في الغلو في باب فيسقع في الجفاء في أبواب، وهكذا من وقع في الجفاء فسيقع في الغلو، فالتناقض ملازم للغلاة وهو سبيل الجفاة قال

([1]) (سورة النساء: 131).

([2]) (سورة الشورى: 13).

([3]) (سورة العنكبوت: 51).

تعالى: {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[1].

ونوصي من تبين له الحق من الجهال، من الفسق والبدع والضلال، ومن كان يريد الحق والهدى والتوبة أن يصدق مع الله في طلب الحق، وأن يجالس أهل الحق والاعتدال، وعليه بالتتلمذ على أيدي أهل السنة والهدى، الذين يدعون إلى الحق والوسطية، وإن كانوا فقراء فلا يغتروا بالإغراء الذي هو من سبل أهل الهوى في صد أهل الحق عن الهدى والسعي بالتحريش بين أهل الحق وعلمائهم بأساليبهم الشيطانية.

ونوصي من كان مكبلاً في الهوى، ومغرورا بالباطل، أن يبحث عن الحق، وأن يسأل الله الهداية بصدق، وليعلم أن الحق والنجاة في الوسطية الحق.

ونوصي أهل الوسطية أن يحمدوا الله تعالى على نعمته، وأن لا يغتروا بتوفيق الله لهم. فعين التوفيق رد النعمة إلى الله **قال تعالى**: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾[2].

- **وقال تعالى**: ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾[3].

ونوصي الذين لهم تعلق بإعلام العباد ورجال الدعوة والإرشاد أن يتقوا الله في الأمة، وأن ينشروا منهج أهل السنة الحق، وأن يعتدلوا في أحكامهم وعقيدتهم

([1]) (الرعد: 33).

([2]) (سورة الأعراف: 43).

([3]) (سورة النحل: 53).

ورؤيتهم، وأن يعلموا أنهم إن نشروا الخير كان لهم من خيره، ومهما نشروا الشر والبعد عن الوسطية، فعليهم من أوزار من أضلوا ووقع في الغلو والجفاء والبعد عن الحق.

ونوصي ولاة الأمور أن يتعلموا ويعلموا رعاياهم الوسطية، لأنهم مسؤولون عن رعيتهم، **والله تعالى يقول:** ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾[1].

ونوصي الطلاب بوصية الله تعالى لهم: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[2]، فسؤال أهل الذكر سبب من أسباب الوسطية.

ونوصي أنفسنا وإخواننا بالدعاء، فهو من أسباب الهداية إلى الاستقامة كما كان رسول الله ﷺ يوصي به المسافر وغيره، وأوصى عليا أن يدعوا: «**اللهم اهدني وسددني**».

ونوصي العلماء الذين هم مصابيح الدجى ونور الأمة ومرجعية العباد، أن يتمسكوا بالدين الحق ولا يتزحزحوا عنه، ولا يتأرجحوا في الصدع بالحق والنطق بالوسطية، فقد قال تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾[3].

([1]) (سورة الحج: 40، 41).

([2]) (سورة النحل: 43).

([3]) (سورة الحجر: 94).

ونوصي الآباء أن يتوسطوا مع أبنائهم في التربية، فلا يغلوا ولا يهملوا في تربيتهم، لأن الولد إن عومل بالإفراط أو التفريط، ضاع مع السفهاء إما عن رغبة أو هربة، وقد وصى الله تعالى بهم فقال: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ**﴾[1].

ونوصي الأزواج بوصية رسول الله ﷺ وبالتوسط مع بعضهم، والإحسان في القول، وترك ما لا فائدة منه من الكلام، قال تعالى: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا**﴾[2]، فهذه الوصية من الله تعالى، لو عمل بها الزوجان لسلما من كثير من الشقاق الذي سببه اللسان.

وهي وصية النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «**وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»[3].

ونوصي أهل السنة والجماعة الذين وفقهم الله للتوسط والعدالة أن ينظروا إلى غيرهم بنظرين، **نظر الشرع ونظر القدر، فبالنسبة للشرع** ندعوهم ونرفق بهم فمن عاند نتعامل معه بالتعامل الشرعي من هجر أو تحذير بكل عدل وتوسط، على قدر علمه بالحق وجهله، وعلى قدر عناده وبعده، **وبالنسبة للقدر** والإرادة

(1) (سورة النساء: 11).

(2) (سورة الإسراء: 53).

(3) «صحيح البخاري» (3331)، و«صحيح مسلم» (1468)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

الكونية ننظر إليهم بنظر الرحمة، لأنهم حرموا السعادة والحياة الطيبة الوسطية فنشفق عليهم ونسأل الله لهم الهداية.

ونوصي الأبناء بالطاعة والبر لآبائهم والاحسان معهم ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ونوصي ولاة الأمور بالرفق بالرعية والاحسان معهم وتعليمهم دين الله والوسطية في عقيدتهم ومعاملاتهم.

ونوصي الرعية بالاعتدال في طاعة ولاة الأمور وهي الطاعة بالمعروف والبر في الخير ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

✵ خاتمة

وفي الختام أحمد الله تعالى أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، الذي وفقنا وسهل لنا وهدانا لهذا، ﴿**وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾[1].

ولا أزعم أنني في هذا السِفّرْ أحصيت كل أنواع الوسطية التي مكرتها قوى الشر، ولكنني إن شاء الله قد نبهت على معظمها، ووجهت الأنظار إلى الاحتراس من نواقضها (الغلو والجفاء). ولجأت إلى طريقة السلف بسرد الأدلة،

([1]) (سورة الأعراف: 43).

وبيان ما يجب عمله حتى نتوسط كما يحب ربنا، ، فوصيتي لإخواني أن يصدقوا إيماناً وعملاً وجهاداً، ويحققوا في أنفسهم ما يجب عليهم للظفر بالوسطية كما أمرهم الله.

وأعداء الحق وأنصار الباطل هم أعداء الوسطية الشرعية الصحيحة، وهم الذين يصنعون الغلو في طريقه الأمة.

وأنصار الحق يبينون الحق ويواجهون قواه، وهم يقولون: "حسبنا الله ونعم الوكيل".

ولا يستغرب أن تكون نظرة الإسلام الوسطية المعتدلة شاملة لكل باب، وعامة شاملة لكل جوانب الحياة، مع تقويم كل شيء منها بميزان محكم.

وليس غريبًا أن تكون نظرة الإسلام بهذا الشمول الوسطي المعتدل، فالإسلام تنزيل من عليم حكيم، قال الله تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[1]. فهو العالم بمن خلق، وبما خلق، وبما خلق له، فهو أعلم بما يصلح العبد وما يفسده، وبما ينفعه وما يضره، لأن علمه سبحانه أحاط بكل شيء، فحري بالعبد أن يلزم الاستسلام لحدود الشرع التي حدها مولاه له، ولا يحكم عقله السقيم المخالف للشرع، فالعقل كالأعمى والشرع كالقائد البصير له، والتسليم ميزة المؤمن المستسلم.

فهذا ما يسر الله جمعه في باب الوسطية الشرعية السمحة كتبتها من باب

([1]) (سورة "الملك: 67).

قول الله تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، تذكيرا لنفسي وإخوتي المسلمين بهذه النعمة الوسطية، ليزداد شكراً من وفق للاعتدال، ويتذكر من نسي أو قصر في هذا المجال، وليتبصر من أراد الهداية من الضلال.

وهذا جهد المقل، فما كان من صواب وتوفيق وإحسان، فمن الله وحده، وما كان من خطأ وتقصير فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان، ونحن متقبلون من علمائنا وإخواننا أي نصيحة وتعديل فنحن بشر نسأل الله العفو والسداد والثبات على الإسلام والسنة حتى الممات، والحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ من كتابة هذا السِّفر المنقول، يسر الله إخراجه للمسلمين إنه خير مأمول، ورزق جامعه الإخلاص والقبول.

يوم الخميس/ 20 شهر شعبان / 1436 من العام الهجري القمري في دار السلام حرسها الله وصانها من الشر وأهله، وزادها أمناً وخيراً، ورزق أهلها استقامة وشكراً.

وسبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب اليك.

✵ ✵ ✵ ✵ ✵

([1]) (سورة الذاريات: 55).

فهرس المصادر والمراجع

1. «**أحاديث معلة ظاهرها الصحة**»، أبو عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار للنشر والتوزيع – صنعاء، الطبعة الثانية 1421 هـ.
2. «**أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**»، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، دار خضر – بيروت، الطبعة الثانية 1414.
3. «**أدب الدنيا والدين**»، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، طبعة 1986.
4. «**أصول اعتقاد أهل السنة**»، أبو القاسم اللالكائي ،دار طيبة السعودية، الطبعة الثامنة 1423
5. «**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**»، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر – بيروت، طبعة 1415.
6. «**اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**»، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار الكتب العلمية – بيروت.
7. «**إعلام الموقعين عن رب العالمين**»، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 1411.
8. «**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**»، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، دار عالم الكتب – بيروت، الطبعة السابعة 1419.
9. «**الأحاديث المختارة**»، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد

المقدسي، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثالثة 1420.

10. «**الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**»، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى 1408.

11. «**الأدب المفرد**»، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة 1409.

12. «**الاعتصام**»، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، دار ابن عفان- السعودية، الطبعة الأولى 1412.

13. «**الأصول من الكافي**»، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، المكتبة الإسلامية - طهران، طبعة 1388.

14. «**البرهان في علوم القرآن**»، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية - بيروت، الطبعة الأولى 1376 هـ.

15. «**البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**»، للسكسكي دار التراث العربي - مكتبة المنار، الطبعة الأولى 1408.

16. «**التدمرية**»، ابن تيمية، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة السادسة 1421.

17. «**كتاب التعريفات**» (ص/19)، دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الأولى 1403.

18. «**التحرير والتنوير** » لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس. عام: 1984 هـ

19. «**التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**»، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، طبعة 1387 هـ.

20. «**الجامع في الحديث لابن وهب**»، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1416.

21. «**الجامع لأحكام القرآن**»، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية 1384.

22. «**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**»، ابن تيمية، دار العاصمة – السعودية، الطبعة الثانية 1419.

23. «**الحوادث والبدع**»، أبو بكر الطرطوشي المالكي، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة 1419.

24. «**الروض الداني (المعجم الصغير)**»، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، عمان، الطبعة الأولى 1405.

25. «**الزهد**»، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 1420.

26. «**السنة**» لابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى 1400.

27. «**السنة**»، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى 1406.

28. «**السنة**»، للإمام أحمد، في ذيل كتاب «الرد على الجهمية»، للإمام أحمد، مطبعة عيسى البابي الحلبي – مصر.

29. «**السنن الصغرى للنسائي**»، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية 1406.

30. «**الشيعة وأهل البيت**» إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان.

31. «**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**»، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة 1407.

32. «**الصحيح المسند**» للشيخ مقبل، مكتبة صنعاء الأثرية، طبعة 1430.

33. «**الصلاة وأحكامها**» محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة .

34. «**العرش**» شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – السعودية، الطبعة الثانية 1424.

35. «**العقيدة الواسطية**»، ابن تيمية، أضواء السلف – الرياض، الطبعة الثانية 1420.

36. «**الفتاوى الكبرى لابن تيمية**»، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1408.

37. «**الفتوى الحموية الكبرى**»، ابن تيمية، دار الصميعي – الرياض، الطبعة الثانية 1425.

38. «**الفصل في الملل والأهواء والنحل**»، ابن حزم، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية 1395.

39. «**الفقيه والمتفقه**»، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة الثانية 1421.

40. «**الفوائد**»، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية 1393.

41. «**القاموس المحيط**»، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثامنة 1426.

42. «**القصيدة النونية**»، دار الذكرى، الطبعة الأولى.

43. «**المجموع شرح المهذب**»، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر.

44. «**المعلم بفوائد مسلم**»، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المالكي، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية 1988 م.

45. «**المنتخب من مسند عبد بن حميد**»، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي، دار بلنسية، الطبعة الثانية 1423.

46. «**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**»، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية 1392.

47. «**بحر العلوم** (تفسير السمرقندي)»، لنصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1413.

48. «**بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**»، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى 1426.

49. «**تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**»، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلمية - بيروت.

50. «**تخريج العقيدة الطحاوية**»، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية 1414.

51. «**تفسير القرآن العظيم**»، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1419.

52. "**تفسير النسفي**" مدارك التنزيل وحقائق التأويل دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

53. «**تهذيب اللغة**»، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، دار

إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى 2001.

54. «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420.

55. «**جامع البيان في تأويل القرآن**»، أبو جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420.

56. «**جامع الرسائل**»، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار العطاء - الرياض، الطبعة الأولى 1422.

57. «**جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**»، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السابعة 1422.

58. «**جامع المسائل لابن تيمية**»، ابن تيمية، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى 1422.

59. «**جامع بيان العلم وفضله**»، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة الأولى 1414.

60. «**جامع معمر بن راشد**»، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، توزيع المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية 1403 هـ.

61. «**جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**»، أبو البركات خير الدين الآلوسي، مطبعة المدني، طبعة 1401 هـ.

62. «**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**»، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة - مصر، طبعة

1394هـ.

63. «**رياض الصالحين**»، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة 1419.

64. «**زاد المسير في علم التفسير**»، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى 1422.

65. «**زاد المعاد في هدي خير العباد**» لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة: السابعة والعشرون ، 1415هـ /1994م

66. «**سنن ابن ماجه**»، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار إحياء الكتب العربية.

67. «**سنن أبي داود**»، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السّجِسْتاني، المكتبة العصرية - بيروت.

68. «**سنن الترمذي**»، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، طبعة 1997.

69. «**شرح العقيدة الواسطية**»، محمد بن خليل حسن هرّاس، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر، الطبعة الثالثة 1415.

70. «**شرح صحيح البخاري**» لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الثانية 1423هـ.

71. «**سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة**»، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، دار المعارف - الرياض، الطبعة الأولى 1412.

72. «**صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**»، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية 1414.

73. «**صحيح البخاري**»، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422.

74. «**صحيح مسلم**»، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

75. «**طرح التثريب في شرح التقريب**»، أبو الفضل زين الدين العراقي، الطبعة المصرية القديمة.

76. «**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**»، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي -بيروت.

77. «**غاية الأماني في الرد على النبهاني**»، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى 1422هـ.

78. "**غريب الحديث للقاسم بن سلام**" (3/ 325) لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن. الطبعة: الأولى، 1384 هـ -

1964 م.

79. «**فتاوى إسلامية**»، مجموعة علماء، محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند، دار الوطن للنشر - الرياض، الطبعة الثانية 1413.

80. «**فتح الباري شرح صحيح البخاري**»، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، طبعة 1379.

81. «**فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد**»، صفوت محمود سالم، دار نور المكتبات - جدة، الطبعة الثانية 1424.

82. «**فيض القدير شرح الجامع الصغير**»، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى 1356.

83. «**قواطع الأدلة في أصول الفقه**»، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1418.

84. "**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**" لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ) طبع مؤسسة الرسالة الطبعة: الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م

85. «**مجمل اللغة لابن فارس**»، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية 1406.

86. «**مجموع الفتاوى**»، ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الشريف - السعودية، طبعة 1416.

87. «**محاسن التأويل**»، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1418.

88. «**مختار الصحاح**»، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة 1420.

89. «**مختصر الفتاوى المصرية**»، محمد بن علي البعليّ، دار القيم - الدمام، الطبعة الثانية 1406.

90. «**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**» (468/2)، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة 1416.

91. «**مسند أبي داود الطيالسي**»، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار هجر - مصر، الطبعة الأولى 1419.

92. «**مسند أبي يعلى**»، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى 1404.

93. «**مسند الإمام أحمد بن حنبل**»، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

94. «**مسند الدارمي**»، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، دار البشائر - بيروت، الطبعة الأولى 1434.

95. «**معالم التنزيل في تفسير القرآن**»، أبو محمد الحسين بن مسعود

البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 1417 هـ.

96. «**معالم السنن**»، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، المطبعة العلمية – حلب، الطبعة الأولى 1351 هـ.

97. «**معجم ديوان الأدب**»، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، طبعة 1424.

98. «**معرفة علوم الحديث**»، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية 1397.

99. «**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**»، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.

100. « **ولاية الله والطريق إليها**»، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار الكتب الحديث – مصر.

101. «**مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**»، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى 1426هـ.

102. «**منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**»، ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى 1406.

❃ ❃ ❃ ❃ ❃

فهرس الموضوعات

الباب السابع 271

الباب الثامن 283